كنه المراد
في بيان بانت سعاد

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
٨٤٩هـ/١٤٤٥م - ٩١١هـ/١٥٠٥م

تحقيق ودراسة
الدكتور عبد الله محمد عيسى الغزالي

الكويت
يونيو ١٩٩٤

كتاب
كنه المراد في بيان بانت سعاد

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م

٩١١ هـ / ١٥٠٥م

تحقيق ودراسة

الدكتور عبد الله محمد عيسى الغزالي

الكويت

يونيو ١٩٩٤

الطبعة الأولى
١٩٩٤م

الناشر
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع
النقرة ـ شارع قتيبة ـ مقابل مجمع النقرة الشمالي
ص. ب : ٢٦٢٢٣ الصفاة ـ الرمز البريدي **13123** الكويت
هاتف: ٢٦٦٤٦٢٦ ـ فاكس: ٢٦١٠٨٤٢

الاهـــداء

- إلى الحاضرة ...... الغائبة
- إلى والدتي ...... رحمها الله تعالى
- أهدى هذا العمل الأدبي

المقـــدمــــة

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير قد حظيت بعناية لم تحظ بها قصيدة أخـرى في أدبنـا العـربي. فقد تناولها الشراح واللغويون والنحاة والبـلاغيون وأصحاب السير بالعناية والرعاية والدرس، منذ أن أنشدها كعب بن زهير، بحضرة رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا. فقد تناولها الشراح كل بطريقته الخاصة به. واستعان بها اللغويون ليعتمدوا على ماجاء فيها من لغة، فهي حجتهم في غريب اللغة، إذ لا يكاد يخلو معجم لغوي من الاستشهاد بأبيات أو كلمات منها، واستعان بها النحاة واعتنوا بها عناية فائقة، فبعض أبياتها شواهد نحوية اعتمد عليها النحاة في مسائلهم، كما أعربها أكثر من نحوي ضمن شرحه. كما جعلها البلاغيون حجة لهم وشاهدا على الكثير من المصطلحات البلاغية، كما تناولها أصحاب السير فأوردوا نص القصيدة وأخبار كعب وأخيه بجير وإسلامهما، وذكروا قصة مقدم كعب إلى رسول الله ﷺ واسلامه وكيفية إنشادها بحضرته ﷺ. هذا بالإضافة إلى الكثيرين من أصحاب البديعيات الذين نظموا قصائدهم على هدي «بانت سعاد»، والشعراء الذين قاموا بمعـارضـة قصيدة «بـانت سعـاد» أو تخميسهـا أو تشطيرها أو تضمينها. كما اهتم بالقصيدة غير العرب فشرحها الفرس والترك أكثر من شرح. وفي عصرنا الحديث اهتم بها غير العرب بشكل كبير أيضا، فمنهم من درسها وقدم لها، ومنهم من ترجمها إلى الانجليزية والإيطالية والفرنسية والبولونية والفارسية والتركية والأردية.

ولعل الاهتمام الفائق بهذه القصيدة مرجعه إلى سببين:

الأول، أنها أنشدت في مدح رسول الله ﷺ وبحضرته الشريفة، ونالت عظيم القبول والإعجاب من رسول الله ﷺ ليخلع بردته ويدفعها إلى كعب بن زهير إعجابا وإكراما.

والثـاني، أن «بـانت سعاد» أصبحت أسـاسـاً قويا لقصيدة المديح النبوي التي استمرت عبر القرون إلى اليوم.

وما تحقيق ونشر هذا الشرح «كنه المراد في بيان بانت سعاد» لجلال الدين السيوطي إلاّ استمراراً طبيعياً لاهتمام أبناء العربية بهذه القصيدة. وصلى الله على نبينا محمد المأمون وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المدائح النبوية

لم تكن قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير أول شعر قيل في رسول الله ﷺ فإن كتب السير النبوية والتاريخ قد ورد فيها الكثير من الأشعار التي قيلت في رسول الله ﷺ منذ ولادته وقبل أن يولد. فهذا أحمد بن حسين البيهقي يذكر أبياتا قيلت في رسول الله ﷺ حينما كانت أمه حاملا به، إذ يقول: «فكانت أمه آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدّث أنها أُتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسدْ
من كل برٍّ عاهد ... وكل عبد رائدْ
يرود غير رائدْ
فإنه عبد الحميد الماجد ... حتى أراه قد أتى المشاهدْ»[1].

ويذكر ابن سعد أبياتا لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ حين بُشّر بقدوم حفيده إذ يقول ابن سعد: «. . . ولما ولدت آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ أرسلت إلى عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالس في الحجر، معه ولده ورجال من قومه، فأخبره أن آمنة ولدت غلاماً، فسرّ ذلك عبد المطلب، وقام هو ومن كان معه فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أمرت به، قال: فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه. قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: وأُخبرتُ أن عبد المطلب قال يومئذ:

---

١ ـ أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٨٢/١. وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ١٦٦/١، وابن سعد، الطبقات الكبرى: ٩٨/١.

الحـمـد لله الـذي أعـطاني هذا الـغـلام الـطَّيِّب الأردانِ
قد ساد في المـهـد على الـغـلمان أعـيذه بالله ذي الأركـانِ
حتـى أراه بالـغ الـبـنـيان أعـيذه من شرّ ذي شنـآنِ
مـن حـاسـد مضطـرب العِنـانِ»[2].

ويذكر ابن سعد أيضا أبياتا لأم رسول الله ﷺ إذ يقول: «قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: وذكر بعض الناس أن حليمة لما خرجت برسول الله ﷺ إلى بلادهما قالت آمنة بنت وهب:

أعـيذه بالله ذي الجـلال من شرّ ما مرّ على الجـبـال
حتىٰ أراه حامـل الحـلال ويَفْـعـل الـعُـرْف إلى المـوالي
وغيـرهـم مـن حِشـوة الـرجـال»[3].

كما يذكر ابن سعد أبياتا أخرى لعبد المطلب في رسول الله ﷺ وهو ابن خمس سنين عندما أرادت مرضعته رده إلى أمه فأضلها في الناس إذ يقول: فقدمت به إلى أمه لترده وهـو ابن خمس سنـين فأضلهـا في النـاس فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فأخبرته، فالتمسه عبد المطلب فلم يجده فقام عند الكعبة فقال:

لا هُمّ أدّ راكـبـي محـمـدا أدّهْ إليّ واصـطـنـع عنـدي يدا
أنـت الـذي جعـلتـه لي عضـدا لا يُبـعـد الـدهـر به فيـبـعـدا
أنت الـذي سَمَّيتـه محمـــدا»[4].

ويذكـر البيهقي بيتـاً من الرجز لراجز أثر زواج رسول الله ﷺ من خديجة بنت خويلد وهو:
لا تزدهـي خديج في محمـد جَلْدٌ يضيء كإضـاء الـفـرقـد[5]

---

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/١٠٣.
٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبري: ١/١١١.
٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/١١٢.
٥ ـ أحمد بن حسين البيهقي، دلائل النبوة: ١/٩١.

إن هذه الأبيات الشعرية قد قيلت في رسول الله ﷺ قبل ولادته، وهي وإن لم تكن كتلك القصائد التي قيلت فيه ﷺ بعد بعثته إلا أنها تعد بدايات قصيدة المديح النبوي التي بلغت ذروتها بعد وفاة الرسول ﷺ.

وبالإضافة إلى هذه الابيات التي قيلت في رسول الله ﷺ قبل بعثته فإن أبياتا أخرى قيلت فيه ﷺ قبل قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير. وكتب التاريخ والسير، ولا سيما سيرة ابن هشام، مملوءة بأبيات في مدح رسول الله ﷺ لمجموعة من الشعراء كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ومالك بن نمط والعباس بن مرداس والعباس بن عبد المطلب، ولا مجال لسردها وقصصها في هذه المقدمة.

غير أن تلك الأبيات والقصائد التي قيلت في مناسبات أو غزواة مختلفة في مدح رسول الله ﷺ تعد هي الأخرى بدايات لقصيدة المديح النبوي حتى أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة «بانت سعاد». وتأتي هذه القصيدة لتكون القاعدة الصلبة لقصيدة المديح النبوي التي استمرت حتى اليوم، كما تعد الأساس الذي انطلقت منه المعارضات الشعرية كفن في شعرنا العربي.

شروح قصيدة كعب بن زهير

لقد اعتنى بقصيدة «بانت سعاد» جمهور كبير من الشراح، تناولوها بالشرح من جوانب مختلفة. وعلى الرغم من اعتناء الشراح بفراقية ابن زريق ونونية ابن زيدون ولامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي وسينية البحتري وغيرها من القصائد إلّا أن قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير قد حظيت بنصيب أكبر من العناية والإهتمام على مر العصور. فلقد تناولها بالشرح اللغويون والنحاة والبلاغيون وأصحاب السير، ومنهم من ركز على اللفظ، ومنهم من ركز على المعنى، ومنهم من جمع بين اللفظ والمعنى، ومنهم من أطال ومنهم من اختصر، ولعل تناول تلك الشروح بالتفصيل يحتاج إلى دراسة مطولة ليس هنا مجالها، ولذا تجدر هنا الإشارة الى هذه الشروح بشكل مختصر، وهي:

١ - يذكر بعض شراح قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير أن رسول الله ﷺ أول

من شرح بعض مفرداتها. وذلك أنه لما أنشد كعب بن زهير قوله:

قنــواء في حرّتـيهــا للبــصــير بها   عِتــق مبــين وفي الخــدين تســهـيل

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما حرتاها؟ فقال بعض صحابته: عيناها. فما كان من رسول الله ﷺ إلا أنه صححه فقال: هما أذناها[٦].

٢ ـ شرح أبي العباس محمد بن الحسن الأحول المتوفى سنة ٢٥٩هـ، وقد شرح الأحول ديوان كعب بن زهير بما فيه القصيدة «بانت سعاد».

٣ ـ شرح أبي سعيد الحسن بن الحسين السكريّ المتوفى سنة ٢٧٥هـ، وقد شرح السكري الديوان كله أيضا بما فيه القصيدة.

٤ ـ الشرح المنسوب لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، ثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ.

٥ ـ شر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المتوفى سنة ٣٢١هـ.

٦ ـ شرح إبراهيم بن محمد بن عرفة، المعروف بنفطويه والمتوفى سنة ٣٢٣هـ.

٧ ـ شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، المتوفى سنة ٣٢٨هـ.

٨ ـ شرح أبي زكريا يحيى بن علي الشيباني، المعروف بالخطيب التبريزي، المتوفى سنة ٥٠٢هـ.

٩ ـ شرح أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ. وقد طبع سنة ١٩٨٢م بتحقيق الدكتور محمود حسن زيني.

١٠ ـ شرح أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المتوفى سنة ٦٠٧هـ.

١١ ـ شرح أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، المتوفى سنة ٦٢٩هـ. وطبع سنة ١٩٨١م بتحقيق هلال ناجي.

١٢ ـ شرح أبي محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف، ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ. وقد طبع مرارا.

١٣ ـ شرح تاج الدين، أبو نصر، عبد الوهاب بن على السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ. ويقع ضمن كتاب طبقات الشافعية الكبرى، المطبوع سنة ١٩٦٤م

---

٦ ـ ابن هشام، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٧.

بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، وبتحقيق الدكتور محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو.

١٤ - مختصر شرح ابن هشام لجمال الدين إبراهيم محمد اللخمي الأميوطي المتوفى سنة ٧٩٠هـ.

١٥ - شرح أحمد بن محمد بن الحداد البجلي البغدادي، وهو من أدباء القرن الثامن الهجري، وذكر شرحه البغدادي في خزانة الأدب.

١٦ - شرح السيد عبد الله، نقره كار، المتوفى سنة ٨٠٠هـ.

١٧ - شرح أبي الحسن، جمال الدين، يوسف بن خالد البساطي، المتوفى سنة ٨٢٩هـ.

١٨ - شرح تقي الدين، أبوبكر بن عبد الله الحموي، المعروف بابن حجة الحموي، المتوفى سنة ٨٣٧هـ.

١٩ - شرح شهاب الدين أحمد بن عمر الهندي الدولتا بادي، ملك العلماء، المتوفى سنة ٨٤٩هـ. وطبع بحيد آباد سنة ١٣٢٣هـ.

٢٠ - شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ.

٢١ - شرح المولى خير الدين المتوفى سنة ٨٨٣هـ.

٢٢ - شرح الشيخ عبد القادر بن إبراهيم بن الشيبة المحلي، ابن السفيه، المتوفى سنة ٩٠٧هـ.

٢٣ - شرح جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد الصالحي المتوفى سنة ٩٠٩هـ، المعروف بابن المبرد.

٢٤ - شرح السيوطي، وسنفصل القول فيه، فهو الذي بيد أيدينا.

٢٥ - شرح شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي الأنصاري، المتوفى سنة ٩٧٤هـ.

٢٦ - شرح صالح بن الصديق النمازي المتوفى سنة ٩٧٥هـ.

٢٧ - شرح عبد العزيز بن علي الزمزمي، المتوفى سنة ٩٧٦هـ.

٢٨ - شرح محمود بن سليمان الرومي الكفوي، المتوفى سنة ٩٩٠هـ.

٢٩ - شرح الملا علي بن سلطان الهروي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

٣٠ - شرح محمد العربي بن يوسف الفاسي، المتوفى سنة ١٠٥٢هـ.

٣١ - شرح أحمد بن عبد الله بن حسن، باعنتر السيويّ الحضرمي، المتوفى سنة ١٠٩١هـ.

٣٢ - حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام، لعبد القادر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ. ونشرت سنة ١٩٩٠م بتحقيق نظيف محرّم خواجه، وتقع في ثلاث مجلدات ضخام.

٣٣ - مختصر في شرح «بانت سعاد» لزين الدين عبد العزيز بن محمد بن خليل، من القرن الحادي عشر الهجري.

٣٤ - شرح محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري، المتوفى سنة ١١٢٢هـ.

٣٥ - شرح إبراهيم بن حيدر أحمد بن حيدر الكرديّ الحسين آبادي، المتوفى سنة ١١٥١هـ.

٣٦ - شرح يوسف بن سالم بن أحمد الجفني، المتوفى سنة ١١٧٨هـ.

٣٧ - شرح عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري، المتوفى سنة ١١٨٦هـ.

٣٨ - شرح عبد الباقي الورنوي، المتوفى سنة ١١٨٧هـ.

٣٩ - شرح عبد الله بن فخر الدين بن يحي الحسيني الموصلي، المتوفى سنة ١١٨٨هـ.

٤٠ - شرح محمد بن أحمد بن عبد الله اللكوسي الجزولي الحضيكي، المتوفى سنة ١١٨٩هـ.

٤١ - شرح محمد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري الخلوتي، المتوفى سنة ١١٩١هـ.

٤٢ - شرح محمد بن الحسن بن مسعود بناني الفاسي، المتوفى سنة ١١٩٤هـ.

٤٣ - شرح محمد بن محمود بن صالح الطربزوني المدني، المتوفى سنة ١٢٠٠هـ.

٤٤ - شرح محمد بن حميد الكفوي، من القرن الثاني عشر الهجري.

٤٥ - شرح سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، الشهير بالجمل، المتوفى سنة ١٢٠٤هـ.

٤٦ - شرح مسعود بن الحسن بن أبي بكر بن سباط الحسيني المصري القنائي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ.

٤٧ - شرح أحمد بن عبد الله بن حسين السويدي العباسي البغدادي، المتوفى سنة

١٢١٠هـ.

٤٨ ـ شرح أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني اليمني، المتوفى سنة ١٢٥٣هـ. وطبع بكلكتا سنة ١٢٣١هـ.

٤٩ ـ شرح الشيخ محمد بن أحمد بن بدير الطوسي، المتوفي سنة ١٢١٩هـ.

٥٠ ـ شرح محمد بن صالح السباعي الحفناوي، المتوفى سنة ١٢٦٨هـ.

٥١ ـ شرح إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ. طبع مرارا على هامش شرح ابن هشام الأنصاري للقصيدة.

٥٢ ـ شرح محمد بن علي بن سعيد اليعقوبي الأيلاني، المتوفى سنة ١٢٩٦هـ.

٥٣ ـ شرح لطف علي التبريزي.

٥٤ ـ شرح مصطفى بن محمد.

٥٥ ـ شرح إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر.

٥٦ ـ شرح أبي بكر بن عمر بن عبد الله العزيز.

٥٧ ـ شرح عبد الله العكاشي.

٥٨ ـ شرح عبد الله الهيتي.

٥٩ ـ شرح محمد بن أحمد سعودي.

٦٠ ـ شرح السيد مهدي شمس الفقهاء.

٦١ ـ شرح محمد بن حسن نائل المرصفي، المتوفى سنة ١٩٣٥م.

٦٢ ـ شرح محمد الملكي بن محمد بن علي البطاوري الرباطي، المتوفى سنة ١٣٥٥هـ.

٦٣ ـ شرح حكمة بن محمد شريف الطرابلسي، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ.

٦٤ ـ شرح أبي المحاسن محمد المدني بن محمد الغازي الحسيني، المتوفى سنة ١٣٧٨هـ.

ولعل هذه أبرز شروح قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير، وهناك بالإضافة إليها، شروح لمجهولين وشروح أخرى باللغتين الفارسية والتركية. ولم نرد الإطالة في تفصيل هذه الشروح فقد اعتنى بذلك باحثون آخرون[٧].

---

٧ ـ انظر عن شروح قصيدة «بانت سعاد»: بروكلمان، ١/٣٨ـ٣٩، والذيل: ١/٦٨ـ٧٠، والزركلي، الأعلام: ٥/٢٢٦، كحالة، معجم المؤلفين: ٨/١٤٤، حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/٨٠٨ـ١٣٢٩ـ١٣٣٠، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين: ٦/٣٤٥،

حيـاة السيـوطي

لقد كتبت الكثير من الكتب عن السيوطي ومؤلفاته الكثيرة التي تجاوزت الخمسمائة مؤلف. وبطبيعة الحال فليس هنا المجال لدراسة حياة السيوطي ومؤلفاته إلا أننا نورد سيرة مختصرة جداً لحياة ومؤلفات السيوطي.

فهو العالم الجليل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أيوب بن ناصر الدين بن الشيخ العارف بالله تعالى همام الدين الخضيري السيوطي الشافعي، ولد في القاهرة في رجب سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥م. وتوفي والده في صفر سنة خمس وخمسين وثمانمائة، فأصبح العالم محمد بن عبد الواحد السيواسي، كمال الدين بن الهمام، وصياً عليه.

وقد حفظ السيوطي القرآن الكريم وهو ابن الثامنة، وبدأ رحلة طلب العلم على يد الكثير من العلماء مثل محمد بن أحمد بن محمد، جلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ، وصالح بن عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٦٨هـ، وأحمد بن محمد بن محمد التميمي الداري القسنطيني الشمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ. ومحمد بن سليمان بن سعد الرومي الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩هـ. وعبد القادر بن أبي القاسم المحيوي الأنصاري السعدي العبادي الملكي المتوفى سنة ٨٨٠هـ. وغيرهم، من العلماء والعالمات، وفي سبيل طلب العلم رحل السيوطي إلى أسيوط والفيوم والإسكندرية ودمياط داخل مصر، كما قام برحلات علمية إلى مكة والهند واليمن والشام، حتى أتم الدراسة وجلس للتدريس وتصدر للإفتاء، حتى زادت المضايقات له من قبل خصومه الكثيرين ولا سيما المتصوفة مما دفعه إلى اعتزال الناس في روضة المقياس على النيل وهو في الأربعين من عمره، والتفرغ للتأليف والكتابة في التفسير والحديث والفقة والنحو

المرزباني، معجم الشعراء: ٣٤٢-٣٤٣، ابن سيد الناس، عيون الأثر: ٢/٢٠٨، القرشي، جمهرة أشعار العرب: ١٤٨، الدكتور السيد إبراهيم محمد، قصيدة بانت سعاد وأثرها في الأدب العربي. وأحمد الشرقاوي إقبال، بانت سعاد في إلمامات شتى.

والمعاني والبيان والبديع واللغة والطبقات والتاريخ والمقامات والشروح وغيرها[8] إلى أن توفي في التاسع عشر من جمادي الأولى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م.

شــرح السيــوطي

كنــه المراد في بيان بانت سعاد

وكما اتضح فإن قصيدة كعب بن زهير قد حظيت بعناية الشراح عناية فائقة إذ تجاوزت شروحهـا الستين شرحا. منها الشروح اللغوية كشروح الأحول والسكري والخطيب التبريزي وأبي البركات الأنباري والشيخ زين الدين بن عبد العزيز والشيخ الحفني. ومنها الشروح النحوية كشروح عبد اللطيف البغدادي وابن هشام الأنصاري وعبـد القـادر البغدادي. ومنها الشروح الأدبية كشروح البجلي البغدادي والجمل والبـاجـوري والسبـاعي والنبازي والموصلي ومصطفى بن محمد والقناوي والتافلاتي وعطاء الله المصري والهندي. ومنها شروح صوفية كشرحي القدسي والهروي[9].

ويأتي شرح السيوطي «كنه المراد في بيان بانت سعاد» كواحد من الشروح الأدبية، حيث حرص السيوطي على اللفظ والمعنى. ويبين السيوطي في أول شرحه الدافع إلى وضع شرحه فيقول: «. . . فلما كان المدح أرفع مقاصد الشعراء وأعلاها، وأنفسها وأغلاها. . . وكانت قصيدة كعب بن زهير المعروفة ببانت سعاد هي أنفس المدائح عقداً و أعلاها مقاما وأعذبها وردا، أنشدت بين يديه ﷺ فنالت أعلا المفاخر، وقضت بالتقـدم في الفضل على ما بعدها ما ترك الأول للآخر. وكانت الشروح الموضوعة عليها، فيما وقفت عليه، قاصرة على شرح غريبها، وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حل تركيبها، دون التعرض لمعانيها، التي هي قصد طلابها، وأعربت مقدمتي شرح غريبها

---

٨ - عن حياة السيوطي ومصادره انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٢٨/٥ وما بعدها، الزركلي، الأعلام: ٣٠١/٣ وما بعدها، والدكتور مصطفى الشكعة، جلال الدين السيوطي، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية.

٩ - انظر: الدكتور السيد إبراهيم محمد، قصيدة «بانت سعاد» وأثرها في التراث العربي: ٧٥ وما بعدها.

وإعرابها، اقتضى ذلك إشارة بعض أخواني في الله تعالى، فمن تؤثر طاعته، ولا تسع مخالفته، أن اقتضب عليها شرحا يجمع إلى حل ألفاظها، وبيان معانيها، ويقرب ما بعـد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها. . . ». فالسيوطي يرى أن المـدح هو أرفـع مقاصد الشعراء وأن قصيدة «بانت سعاد» أرفع قصائد المدح، إذ أنشدت بين يدى رسول الله ﷺ وفي مدحه، وقد لاحظ السيوطي أن شروح القصيدة اقتصرت على شرح ألفاظها الغريبة وإعرابها دون التعرض لمعانيها، لذا وجد السيوطي ضرورة شرح القصيدة شرحاً يعتمد على شرح الألفاظ وبيان المعاني وإيضاح المقاصد.
ولقد بدأ السيوطي شرحه بتمهيد شمل ثلاث مقاصد:
١ ـ في ترجمة ناظمها، رضي الله عنه، وهو كعب بن زهير.
٢ ـ في سبب نظمه هذه القصيدة.
٢ ـ في بيان ترتيب هذه القصيدة وسياقتها التي سيقت عليها.

وينص السيوطي صراحة على اطلاعه على شروح القصيدة السابقة لشرحه بقوله: « . . . وكـانت الشروح المـوضـوعـة عليهـا، فيما وقفت عليه، قاصرة على شرح غريبهـا. . . ». غير أنـه لم يذكـر هذه الشروح على وجه التحديد. إلا أن المتتبع والفـاحص لشرح السيوطي يلاحظ بشكـل قاطـع اعتـماده على شرح ابن هشـام الأنصاري على قصيدة بانت سعاد. وعلى الرغم من الإشارة، في بضع مواضع، إلى رأى ابن هشـام في شرح بعض الكلمات، كما فعـل في البيت الخمسـين والسادس والخمسين، إلا أنه ينقل عبارات طويلة من ابن هشام، بما فيها الآيات القرآنية وأبيات الشعـر وآراء اللغـويين والبلاغيين والشراح، من غير إشارة إليها. وعند تتبع شرح السيوطي هذا يمكن الخروج ببعض الملاحظات المتعلقة بشرحه وهى:

أولا : اللفظ:

فعلى الرغم من معرفة السيوطي بأن الشروح السابقة لشرحه قد اهتمت بالجانب اللغوي وشرح الألفاظ إلاّ أنه لم يغفل اللغة بل ركز في شرحه على شكل الكلمات من ناحية وتفسيرها من ناحية ثانية. ولعله في ذلك حذا حذو ابن هشام في شرحه، ولا نبالغ إن قلنا أنه اعتمد اعتماداً شبه كلي في هذا الجانب على ماجاء في شرح ابن هشام، غير أنه في بعض المواضع يشير إلى غيره.

ويرد في شرح السيوطي هذا اسم أكثر من لغوي اعتمد السيوطي على آرائهم أو اعترض عليها مثل: أبو عمرو الشيباني والأنباري وابن سيده والجوهري والخطيب التبريزي وابن الأثير الجزري وابن عبد البر وأبو عبيدة والأصمعي. ويبدو أن السيوطي يعرض آراء اللغويين هؤلاء نقلا عن ابن هشام دون الرجوع إلى المصادر ذاتها باستثناء ابن عبد البروابن الأثير الجزري والخطيب التبريزي والجوهري، إذ يبدو واضحا رجوع السيوطي إلى مصادرهم للنقل منها ولا سيما شرح قصيدة بانت سعاد للخطيب التبريزي، والاستيعاب لابن عبدالبر، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، والصحاح للجوهري.

فقد تتبعنا نقولاته منهم، وهو يشير إليها في مواضعها، كما هو مبين في الحواشي، والملاحظ أن هذه النقولات غير واردة في شرح ابن هشام. وإن كان ابن هشام يشير إلى آراء الخطيب التبريزي في شرحه لبعض الأبيات أو الكلمات إلا أنه لم يشر الى آراء ابن الأثير الجزري ولا لابن عبد البر.

أما آراء وتفسيرات وتعليقات اللغويين وهم أبو عمرو والأنباري وابن سيده وأبو عبيدة والأصمعي فيبدو واضحا أن السيوطي أخذهما من شرح ابن هشام دون الرجوع إلي مصادرهما الاصلية. ففي البيت الثالث والعشرين وهو قول كعب:

كأنَّ ما فَاتَ عَيْنَيْهـا ومَـذبحهـا   من خطمهـا ومـن اللَّحْيَيْنِ بَرْطيل

يقول ابن هشام ما نصه: «(ما) في كأنما اسم بمعنى الذي، موضعه نصب بكان، والخبر قوله: برطيل، وفات، قال أبوعمرو: معناها تقدم. وقال الأصمعي: الوجه كله فائت العينين إلا الجبهة، وقال: هو ما انقطع من المذبح وفات العينين، ومذبحها منصوب بالعطف على عينيها، والمذبح والمنحر واحد. والخطم، قال أبو عبيدة: الأنف، وردّ عليه بأن ذلك لا يختص بالأنف، بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام، فيشمل الأنف وغيره. ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن مرسناً وقد يستعمل في الآدمي كقول العجاج يصف امرأة:

أزمان أبدت واضحـا مفلجـا   أغـر براقـا وطـرفـا أبـرجـا

ومـقـلة وحـاجـبا مزجـجـا وفـاحمـاً ومـرسـنـا مسرجـا

الأبرج الذي بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شيء يقال منه: امرأة برجاء بينة البرج، ورجل أبرج، وجمعهما برج بوزن البرج واحد البروج. ولم يسمع وصف لأنف مسرج قبل العجاج. واختلف أهل اللغة في معناه على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كالسراج في البريق، والثاني: أنه محسن من قولهم: سرج الله وجهه، أي حسنه، ولم يذكر صاحب المحكم سواه، والثالث: أنه كالسيف السريجي في الدقة والاستواء، وهو منسوب إلى قين يقال له سريج، ولم يذكر التبريزي غير هذا القول. وقال الأصمعي: ما كنت أعرف المسرج ولم أسمعه إلاّ في بيت العجاج، فسألت عنه أعـرابيا فقال: تعرف السريجيات، يعني السيوف؟ فقلت: نعم، فقال: ذلك أراد انتهى. وأرجح الأقول. . . »[10]. إلى آخر شرح البيت، والملاحظ أن شرح السيوطي لهذا البيت بما فيه من آراء اللغويين والشعر قد جاء نقلا حرفيا من شرح ابن هشام، باستثناء كلمة واحدة حرفت وهي قول ابن هشام: «وهو منسوب إلى قين يسمى سريجا» وعند السيوطي: «وهو منسوب إلى قبيلة يقال لها سريج». ولقد اعتمدت في تحقيق النص الكلمة «قين» على ما جاء في المصدر وليس تحريف السيوطي أو الناسخ لهذه الكلمة التي أثبتت «قبيلة». ولا شك أيضا أن آراء أبي عمرو والأصمعي وأبي عبيدة وابن سيده والخطيب التبريزي وبيتي العجاج منقولة من شرح ابن هشام صراحة وليست من مصادرها الأصلية، دون إشارة إلى ذلك. غير أن السيوطي في مواضع كثيرة يشير صراحة إلى مصدره وهو شرح ابن هشام مثل:

١ ـ في البيت الثاني عشر:

أرجـو وآمـل أنْ تدنـو مَوَدَّتُهَـا وما إخـال لدينـا منـكِ تنـويل

يشير السيوطي إلى رأى ابن هشام صراحة إذ يقول: «. . . فإن قيل: كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله: وما إخال لدينا منك تنويل، بعد رجائه، بقوله: أرجو وآمل أن تدنوا مودتها؟ فالجواب من وجهين: أحدهما، ما أجاب به ابن هشام: أن المودة والتنويل شيئان لا شيء واحد.

---

١٠ ـ انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٥.

٢ ـ وفي البيت الرابع عشر:

وما يبلغها إلاّ عذافرة   فيها على الأيْن إرقالٌ وتبغيل

فعند شرح كلمة «إرقال» يقول السيوطي مشيرا إلى رأى ابن هشام : « . . . قال الجوهري: هو نوع من الخبب، وتبعه على ذلك ابن هشام. . . ».

٣ ـ وفي البيت الخامس عشر:

من كل نَضّاخَة الذِّفرى إذا عَرِقَتْ   عُرْضَتُهَا طامسُ الأعلام مجهول

فعند الحديث عن معنى «من كل نضاحة الذفرى» يقول السيوطي : « . . . ويكن ذلك وصفا لها لأنه وصفها بكرم الأصل، وهذا هو الذي رجحه ابن هشام في إعرابه القصيدة. . ».

٤ ـ وفي البيت الخامس عشر أيضا يشير السيوطي إلى رأى ابن هشام في معنى «إذا عرقت عرضتها» فيقول: « . . . ويكون المعنى : إذا عرضت لها طريق دارس استخرجته. قال ابن هشام: ولا مساغ لواحد من المعنيين. . . ».

٥ ـ وفي البيت الثامن عشر:

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عَلْكُومٌ مُذكَّرةٌ   في دَفِّها سَعَةٌ قُدَّامَها مِيْلُ

يقول السيوطي في شرح «قدامها ميل»: « . . . يحتمل معنيين: أحدهما: أن يريد طول العنق، وأن عنقها مدّ ميل، للمبالغة في طوله. وعليه اقتصر ابن هشام في شرحه. . ».

٦ ـ في البيت الحادي والعشرين:

يمشي القُرادُ عليها ثم يُزلِقُهُ   منها لَبَانٌ وأقرابٌ زهاليل

فيقول السيوطي مشيرا إلى رأى ابن هشام: « . . . وهذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله: وجلدها من أطوم . . . البيت المتقدم. قال ابن هشام: ولو ذكره إلى جانبه كان أولى . . . ».

وفي مواضع أخرى يشير السيوطي إلى رأى الخطيب التبريزي في شرحه على القصيدة من مثل:

١ - في البيت الخامس عشر:

من كلِّ نضاخة الـذِّفرى إذا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طامِسُ الأعلام مَجْهُول

إذ يقول السيوطي مشيرا إلى رأي الخطيب التبريزي: «. . . وقد ذكر التبريزي في تفسير هذا البيت معنيين. . .».

٢ - في البيت الثالث والعشرين:

كأَنَّ ما فات عينيها ومذبحها مِنْ خطمها ومِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيل

ففي التعليق علي بيتي العجاج يشير السيوطي إلى رأى الخطيب التبريزي بقوله: «. . . والثالث، أنه كالسيف السريجي في الدقة والاستواء، وهو منسوب إلى قين يسمى سريجا ولم يذكر التبريزي غير هذا القول. . .».

٣ - وفي البيت الرابع والعشرين:

تمرُّ مثل عسيب النخلِ ذا خُصَلٍ في غارزٍ لم تُخَوِّنْه الأحاليلُ

حيث يشير السيوطي إلى رأى الخطيب التبريزي عند الوقوف على شرح كلمة «غارز» فيقول: : «. . . وجعل التبريزي أصله من قوله: غرزت الناقة. . .».

٤ - وفي البيت الخمسين

إن الرسولَ لسيف يستضاء به مُهَنَّدٌ مِن سُيوف الله مَسلُول

إذ يشير السيوطي صراحة إلى رأي الخطيب التبريزي بقوله: «. . . قال التبريزي: وجعله سيفا استعارة. . .».

وفي مواضع أخرى يثبت السيوطي صراحة، رأى ابن الأثير الجزري صاحب النهاية، في مثل:

١ - في البيت الرابع عشر:

وما يبلغها إلا عُذافرة فيها على الأَيْنِ إرْقَالٌ وتبغيلُ

ففي تفسير كلمة «إرقال» يقول السيوطي مثبتا رأى ابن الأثير: «. . . وقال ابن الأثير: هو فوق الخبب. . .».

٢ ـ وفي البيت الخامس عشر:

من كُلِّ نضاخَة الذِّفرى إذا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طامسُ الأعلام مجهول

إذ يقول السيوطي في معنى البيت، مشيرا إلى رأى ابن الأثير: «. . . وقد ذكر التبريزي في تفسير هذا البيت معنيين: الأول، أنه من قولهم: بعير عرضة للسفر، أي قوي عليه، وعلى هذا اقتصر ابن الأثير في نهايته. . .».

٣ ـ وفي البيت السادس والأربعين:

يَغْدُو فَيَلْحَم ضِرغَامين عَيْشُهُما لَحْمٌ من القومِ مَعْفُور خَرَاديلُ

فعند شرح كلمة «ضرغامين» يشير السيوطي إلى رأي ابن الأثير إذ يقول: «. . . قال ابن الأثير: هو الأسد الضاري الشديد الإقدام. . .».

وفي التمهيد لشرحه يذكر السيوطي رأي ابن عبد البر من كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب في موضعين:

١ ـ في المقصد الأول وهو ترجمة حياة كعب بن زهير يقول السيوطي مشيرا إلى ابن عبد البر ورأيه: «. . . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر. رحمه الله تعالى: وما وقع من أن هذه النسبة إلى غطفان مستندة أن زهيرا وبنيه كانت محلتهم بني غطفان فوقع الظن به أنه منهم. . .» وعند مقارنة ما نقله السيوطي وما هو مثبت في الاستيعاب يلاحظ اتفاق المعنى واختلاف اللفظ، إذ يبدو أن السيوطي قد تصرف في النقل فيما يبدو، غير أنه ذكر المصدر بأمانة.

٢ ـ وفي المقصد الثاني من التمهيد يشير السيوطي ثانية إلى رأي ابن عبد البر بقوله: «. . . وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنه لما بلغ إلى قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

أشار رسول الله ﷺ إلى من حوله أن اسمعوا. . .». فهي إشارة واضحة وصريحة إلى مصدره، وإن كان فيها بعض تصرف في النقل مقارنة بالاستيعاب المطبوع الذي بين أيدينا. ويبدو أنه اطَّلَعَ على صحاح الجوهري وذلك في شرح كلمة «ظلم» في البيت الثالث:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاح مَعْلول

إذ يقول السيوطي: «. . قال الجوهري: هو كالسواد داخل عظم السن من شدة البياض. .» والملاحظ أنَّ ابن هشام والخطيب التبريزي لم يشيرا إلى قول الجوهري هذا في شرحيهما، مما يدل بشكل واضح رجوع السيوطي إلى مصدره وهو صحاح الجوهري.

وخلاصة القول هنا أن السيوطي في هذا الجانب اللغوي قد اعتمد اعتماداً كبيرا على شرح ابن هشام للقصيدة، كما اعتمد بشكل أقل بكثير على شرح الخطيب التبريزي. بالإضافة إلى اعتماده على النهاية لابن الأثير الجزري والاستيعاب لابن عبد البر والصحاح للجوهري، وهو في شرحه يشير صراحة إليهم، وفيما عدا ذلك فالراجح أن السيوطي ينقل آراء ابي عمرو والأنباري وابن سيده وأبي عبيدة والأصمعي من شرح ابن هشام. وعلى أية حال فالسيوطي قد غطى جانب الشرح اللغوي لمفردات القصيدة بشكل ساعد كثيرا على فهمها واستيعاب معانيها وهو مقصده كما أوضح في أول شرحه.

ثانيا: المعنى:

وبعد أن يستوفي السيوطي شرح الألفاظ في القصيدة «بانت سعاد» يعمد إلي بيان المعاني المؤدية إليها تلك الألفاظ أولا ثم معنى البيت بشكل عام ثانيا. لذا نجده فى شرح أكثر أبيات القصيدة يقف وقفات تختلف طولاً وقصراً ليتناول معاني المفردات في مثل:

١ ـ في البيت الأول:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　متيم إثرها لم يفد مكبول

إذ يعرض معنين للقلب في البيت، الأول، أنه يريد به الفؤاد، والثاني، أنه يريد به العقل، ثم يدعم كل معنى بالآيات والآراء الدالة عليه.

٢ ـ وفي البيت الثاني:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا　　إلاّ أغنّ غضيض الطرف مكحول

فهو يقول: «. . . وكلام البيت يحتمل أمرين: أحدهما، أن يريد كسر الجفون وفتورها، على عادة الشعراء في مثل ذلك. والثاني، أن يريد به الحياء والخفر. . .».

٣ ـ وفي البيت الثالث:

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت كأنّه مُنْهَلٌ بالراح معلول

يقول السيوطي في بيان معنى لفظ «ظلم»: «.. فإن فسرنا الظلم بماء الأسنان وبريقها كان المدح لها من وجهين: الأول، أن ماء الأسنان من الأوصاف المستحسنة، ومازالت المحبون تستعذبه، والعشاق تستلذ به وتستطيبه... الوجه الثاني، أن بريق الأسنان مما يمتدح به ويرغب إليه...».

وعلى هذا النسق يمضي السيوطي في الوقوف على معاني الألفاظ ويضع أكثر من احتمال لمعنى اللفظ، ويقدم الأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآراء وأبيات الشعر ليبين صحة الإحتمال ليبرز المعنى المراد لذلك اللفظ، وهو بذلك يطبق بحق المنهج الذي وضعه لنفسه في أول الشرح.

كما أن السيوطي لم يكتف بإبراز مدلولات الألفاظ واحتمالات معانيها بل إنه بعد أن ينتهي من شرح اللفظ لغويا وبيان معانيه يلجأ في نهاية شرح البيت إلى إيراد المعنى العام في البيت إذ هو مقصده النهائي كما بَيَّنَ في أول شرحه. لذا نجده في الغالب وعند نهاية البيت يكرر قوله: و معني البيت، وهذا يجعل من شرح القصيدة أشبه ما يكون شرحا تعليميا القصد منه مساعدة الدارسين لفهم ألفاظ القصيدة وفهم معانيها الكلية أيضا.

ثالثا: الإستعانة بالآيات القرآنية الكريمة:

وفي سبيل الوصول إلى هدفه ومقصده وتحقيقا لمنهجه الذي وضعه في بداية الشرح يستعين السيوطي لإثبات الرأى في تفسير الكلمة أو شرح اللفظ بالآيات القرآنية. غير أن اهتمام السيوطي بالقرآن الكريم، كما هو الحال عند أصحاب اللغة والمعاجم والحديث والفقه وغيرهم، جعله يكثر من اللجوء إلى الآيات القرآنية بشكل كبير ليدعم الرأي. إذ بلغ عدد الآيات القرآنية التي استعان بها، أو بجزء منها، في شرحه أكثر من مائة وعشر آيات قرآنية. وهذا على أية حال أسلوب يتبعه الشراح وأصحاب اللغة لدعم آرائهم، فالقرآن الكريم هو قبلة اللغويين قبل الحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي.

ثالثا: الاستعانة بالحديث النبوي الشريف:

وانطلاقا من المنهج الذي وضعه السيوطي لشرحه في أوله نجده يستعين بالأحاديث النبوية الشريفة. وإذا كان يستعين بالآيات القرآنية من الجانب اللغوي لشرح لفظ أو بيان معناه من ألفاظ قصيدة كعب، فإنه يلجأ إلى الحديث النبوي الشريف ليؤكد على المعاني التي تشير إليها ألفاظ القصيدة. وعند تتبع تلك الأحاديث النبوية نجدها تقارب الخمسة وأربعين حديثا، يوردها السيوطي، في أكثر المواضع بطولها، ليؤكد ما ذهب إليه. ولا عجب من ذلك فالسيوطي أحد علماء الحديث والمشتغلين به وله به عدة مؤلفات. غير أن الملاحظ أن السيوطي قد أسرف في إيراد تلك الأحاديث بما لا يفيد كثيرا في شرح لفظ أو بيان معنى. ففي البيت الثامن والثلاثين:

أنـبئـت أنَّ رسـولَ الله أوعـدني   والـعـفـو عنـد رسـول الله مَأمـولُ

يسترسل السيوطي ويتحمس كثيرا لبيان عفو رسول الله ﷺ وصفحه وحلمه فيورد عشرة أحاديث نبوية شريفة لا تخدم الشرح في شيء إذ يقول: «. . . وكان النبي ﷺ أبعد الناس غضبا، وأسرعهم رضى، والأحاديث بحلمه واردة، والأخبار والآثار بعفوه وصفحه الجميل مشاهدة. . .» ثم يمضي بعدها بذكر تلك الأحاديث. وإن كان البيت نص على عفو رسول الله ﷺ إلا أن الإطالة في سرد تلك الأحاديث النبوية قد لا يفيد كثيرا في فهم اللفظ أو فهم معناه، ولكن يبدو أن السيوطي بحكم اشتغاله بالحديث، كما سلف، ولكون شرحه مما يستفيد منه الدارسون حرص على إيراد كل هذه الأحاديث النبوية. غير أنه في المواضع الأخرى لا يسرف كثيرا في إيراد الحديث إلا بما يخدم منهجه الذي أشار إليه في أول الشرح.

رابعا: الاستشهاد بالشعر:

وكما استشهد السيوطي بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات رأى أو تفسير معنى كلمة فقد استشهد بالكثير من أبيات الشعر أيضا. ولم يقف السيوطي للاستشهاد بشعر عصر معين بل استشهد بشعر العصر الجاهلي والأموي والعباسي. فمن شعراء العصر الجاهلي فقد استشهد السيوطي بشعر كل من تأبط شرا وامرىء القيس وطرفة بن العبد والشماخ بن ضرار وعلقمة بن عبدة الفحل وعمرو بن كلثوم

والأعشى وحسان بن ثابت والحصين بن الحمام. ومن العصر الاسلامي والأموي استشهد باشعار مجنون ليلى وجرير والفرزدق والراعي النميري وجميل بن عبد الله وكثير بن عبد الرحمن والأحنف بن قيس وابن الطثرية. ومن العصر العباسي استشهد السيوطي باشعار ابن سناء الملك والعفيف التلمساني والصرصري والصفدي والمعري والوأواء الدمشقي وابن القطان البغدادي والتهامي وكشاجم وأبي تمام والطغرائي وبشار بن برد وسليمان بن الحكم وابن الفارض والبحتري وديك الجن وابن وكيع وابن بسام وابن خفاجه وابن نباتة والعباس بن الأحنف والسري الرفاء والبوصيري وأبي نواس وعكاشة. وتجاوز عدد أبيات الشعر في شرح السيوطي المائة وهي وإن كانت كثيرة بعض الشيء إلّا أنها جاءت مناسبة وفي مكانها لدعم رأي في شرح لفظ أو بيان معنى. وإن كان هناك بعض اختلاف في الأبيات الشعرية من حيث القوة والضعف فلا شك أن ذلك ناتج عن اختلاف عصور الشعراء، فطرفة بن العبد ليس ابن نباتة ولا تأبط شرا كابن بسام لاختلاف العصرين وشعرهما. والملاحظ أيضا أن السيوطي لا يسترسل في نقل أبيات الشعر لينقل القصائد كاملة أو مطولة بل يقتصر ببيت أو بيتين في أكثر الأحيان ليثبت رأياً في مسأله من مسائله التي تعترضه في شرح الألفاظ أو المعاني في القصيدة. كما يلاحظ أيضا بعض اختلاف بين ما ينقله السيوطي من أبيات شعر عن ما هو مثبت في الدواوين المطبوعة، سواء اختلافات في بعض الكلمات أو في ترتيب الأبيات، وقد لا أعثر على البيت الشعري في الدواوين المطبوعة اليوم، وهذا على أية حال أمر يكثر حصوله إما لاعتماد المؤلف على حفظه أو لاختلاف النسخ التي اطلع عليها المؤلف آنذاك عن تلك التي وصلتنا اليوم. وأخيرا فإن الإستشهاد بالشعر جاء متناسبا مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يتوافق مع منهج السيوطي في شرحه للقصيدة الذي بينه في أول الشرح دون أن يطغى جانب على آخر.

خامسا: تأثير المنطق والفقه:

ولاشتغال السيوطي بالفقه، الذي يعتمد على المنطق، ولاشتغالة بالفتوى، التي تعتمد على المنطق والعقل أيضا، نرى أثر ذلك في شرح السيوطي لقصيدة «بانت سعاد» من أوله إلى آخره. ولا نستطيع تقديم الأمثلة على ذلك فهي منتشرة في كل جزء من أجزاء الشرح إلّا أننا نوضحها بالآتي:

كثرة التقسيمات والتفريعات والتشعيبات للآراء التي يحتملها اللفظ الواحد أو البيت الـواحـد أو جزء البيت. ويمكن ملاحظة بعض العبارات المتكررة في الشرح مثـل: ويحتمـل اللفظ معنيين، وذلك من وجهين، ويحتمل اللفظ ثلاث معان. وأفضل مثال على ذلك ماجاء من شرح العوارض الأربع في البيت الأول، وكثرة تفريعات وتشعبات تلك العوارض وما يصاحب ذلك من المعاني. وكذلك حديثه عن الصفات التي تستحسن في الظبي في البيت الثاني، وهي ثلاث صفات يسترسل السيوطي في الحديث عنها. والشرح المطول والتقسيمات المطولة لكلمة «عوارض» في البيت الثالث، وما صاحب ذلك من شرح مطول لأسماء وتقسيمات الأسنان ومواضعها.

كما يحرص السيوطي، بناء على ذلك،على إيراد أكثر من معنى للبيت الواحد، لذا يورد السيوطي في شرحه عبارات مثل: وإذا أخذنا المعنى الأول للفظ كذا كان المعنى كذا وكذا، وإن أخذنا المعني الثاني للفظ كذا كان المعنى كذا وكذا، كما في البيت الثالث والبيت السادس والعشرين والسابع والعشرين على سبيل المثال لا الحصر.

أما في البيت الثاني وعند الحديث عن التشبيه بالظباء فقد بدا الاتجاه الفقهي جلياً عند السيوطي في شرحه إذ يقول: «... ولذلك قال الفقهاء، رحمهم الله تعالى، لو قال لزوجته: إن لم تكوني أحسن من الشمس والقمر فأنت طالق، لم تطلق، وإن كانت زنجية سوداء...».

وعلى أية حال فإن هذه التقسيمات لأجزاء الكلام، وأساليب الفقهاء في الافتراض والرد على ذلك الافتراض، وتلك الآراء الفقهية لم تخل بالشرح ولم تخرجه من المنهج الذي وضعه السيوطي لنفسه في أول شرحه.

سادساً: ملاحظات أخرى:

والملاحظ على شرح السيوطي الاختلاف في شرح الأبيات من حيث طول الشرح. فعلى سبيل المثال نلاحظ طول شرح البيت الأول والاسترسال في التعليق على المعاني التي يحتملها لفظ «القلب» الذي ورد في البيت الأول من القصيدة:

بَانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُول   متيمٌ إثْرَهَا لم يُفْدَ مَكبُول

إذ استرسل السيوطي بشكل لا يفيد كثيرا في الوقوف على المعنى، وذهب إلى نقل رأي أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين عن القلب، وأطال في النقل من ذلك المصدر بما لا يخدم شرح البيت بشكل عام، أو شرح كلمة «قلب» بشكل خاص.

كما أطال واسترسل في شرح البيت الثاني:

وما سعاد غداة البين إذْ رحلوا　　إلاّ أغَنُّ غضيضَ الطرف مكحول

ولا سيما عندما استرسل في الحديث عن أمر الصوت، وإيراده لقصة صدقة الحادي مع الرشيد، وقصة عمرو الوادي، وقصة الرجل الذي أخبر السيوطي برحلته من اليمن إلى مكة وكيف أن الشجرة تمايلت لما سمعت غناءه، وقصة بعض أهل بلاد اليمن بالديار المصرية بأن هذه الشجرة مازالت موجودة، إن كل هذه القصص التي أوردها السيوطي كان يمكن الاستغناء عنها إذ أنها قد لا تخدم شرح البيت أو إحدى مفرداته كثيرا. وفي ذات الوقت نراه يقتصد في شرح الأبيات الأخرى. كما يلاحظ أن السيوطي اطلع على إحياء علوم الدين للغزالي وتفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين ومصارع العشاق للسراج ونقل منها بعض الفقرات، وهو يشير إلى تلك النقولات بأمانة، وإن كانت تلك النقولات استطرادات كان بالإمكان الاستغناء عنها.

وخلاصة القول، أن شرح السيوطي «كنه المراد في بيان بانت سعاد» شرح التزم فيه السيوطي بالمنهج الذي وضعه في أوله، فشرح الألفاظ وفك غموضها، ثم بين معانيها، وشرح المعني العام لكل بيت على حدة، وبين مقاصدها، معتمدا بذلك على شرح ابن هشام الأنصاري للقصيدة، ومستعينا بمصادر أخرى ليجعل من شرحه واحدا من أفضل شروح قصيدة كعب بن زهير.

وصف المخطوطات

لقد اعتمدت على نسختين، كتبتا بخط واضح، في تحقيق «كنه المراد في بيان بانت سعاد» للعلامة السيوطي، وهما نسخة مكتبة جامعة كيمبرج البريطانية ونسخة مكتبة برلين الوطنية الألمانية.

أولا: نسخة مكتبة جامعة كيمبرج:

وهي نسخة واضحة مقروءة بشكل ميسر، وكتبت بخط نسخ جيد. وتقع في ٧٦ ورقـة، قياس ٢٠×١٤,٤ سـم، بواقـع ٢١ سطـراً في الصفحـة. وتحمـل الرقم ٢١٥ ق ق.

وجاء في صفحة العنوان اسم الكتاب ومؤلفه كما يلي: «كتاب كنه المراد في بيان بانت سعاد. تأليف الشيخ الهمام والحبر الكامل الإمام جلال الدين السيوطي، رحمه الله تعالى، ونفعنا به وبعلومه في الدنيا والدين والآخرة، آمين».

وأول المخطوط قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب. .».

وآخـره: «تم شرح بانت سعاد، في مدح خير العباد، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، في يوم الأثنين المبارك، سابع رجب الفرد الحرام من شهور سنة ألف ومائة وأربع عشر من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد الفقير عمر بن عمر بن علي البدراوي الأزهري الشافعي الأجدي، عفي عنه». وكما ظهر في نهاية المخطوط، فهو كتب يوم الاثنين السابع من رجب سنة ١١١٤هـ بيد ناسخه عمر بن عمر بن علي البدراوي الأزهري. .

ثانيا: نسخة مكتبة برلين الوطنية:

وهي نسخة واضحة أيضا ومقروءة بشكل ميسر، وكتبت بخط نسخ جيد. وتقع في ٩٠ ورقة، قياس ١٤×٩ سم، بواقع ١٩ سطرا في الصفحة. وتحمل الرقم ٧٤٩٧ في فهرس الورد.

وقد جاء في صفحة العنوان اسم الكتاب ومؤلفه على النحو التالي: «هذا كتاب شرح بانت سعـاد للإمام العلامة الجلال السيوطي، رحمه الله تعالى، ونفعنا به في الدنيا والآخرة، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وأولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب. . .».

وآخـرها: «تم شرح بانت سعاد لخاتمة الحفاظ الشيخ عبد الرحمن جلال الدين

السيوطي، نفعنا الله به وعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين، في يوم السبت المبارك تاسع عشر المحرم الحرام سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين».

وكما اتضح في نهاية المخطوطة فإنها كتبت يوم السبت التاسع عشر من شهر محرم سنة ١١٤٥هـ، غير أن اسم الناسخ لم يظهر على المخطوطة ولم يشر إليه الورد في فهرسه.

منهــج التحقيــق

اعتمدت في تحقيق نص الشرح «كنه المراد في بيان بانت سعاد» على نسختين:

١ ـ نسخة مكتبة جامعة كيمبرج البريطانية، ورمزت لها بالحرف «ج».

٢ ـ نسخة مكتبة برلين الوطنية الألمانية، ورمزت لها بالحرف «ب».

وقد اعتمدت على نسخة مكتبة جامعة كيمبرج كأصل، لقدم تاريخ نسخها، وإثبات اسم الناسخ فيها ولوضوحها وتمامها، فنسختها، ثم قابلت نسخة مكتبة برلين الوطنية عليها، وأثبت الفروق والاختلافات بين النسختين في الحواشي كلما رأيت ذلك مفيدا للنص. وتكملة للفائدة وتوضيحا للكثير من النقولات والآيات والأحاديث والأشعار والشخصيات والمؤلفات والأراء والألفاظ اللغوية التي وردت في النص فقد بذلت جهوى في حاشية النص المحقق على:

١ ـ تخريج الآيات القرآنية، وإكمالها إن كانت ناقصة.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية، وترك نصوص الأحاديث كما أوردها المؤلف في النص وإن اختلفت عن المصادر، وإحالة القارىء إلى تلك المصادر للوقوف على أي اختلافات فيها.

٣ ـ تخريج أبيات الشعر التي أوردها المؤلف في النص، مع التعريف المختصر بالشاعر.

٤ ـ التعريف بأسماء المؤلفات التي جاءت في النص.

٥ ـ التعريف بالأعلام الواردة أسماؤها في النص.

٦ ـ ذكر مصادر نقولات وإشارات السيوطي ولا سيما من شرح ابن هشام الأنصاري.

٧ ـ وضع فهارس للكتاب .

وأخيرا فقد حاولت جاهداً، بقدر استطاعتي، أن أخرج هذا الشرح بشكل يتناسب مع مقام القصيدة الرفيع خدمة لتراثنا العربي والإسلامي، وتقديرا لجهود العالم الجليل الإمام السيوطي، عليه رحمة الله .

د. عبد الله الغزالي
١٥/٦/١٩٩٤م

كتـــاب
كنه المـــراد في بيـــان
بانت سعــــــاد

[١ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب، وأنطقه بذكر سعاد تفاؤلاً، ففاز من الإسعاد بما سهّل عليه من طرق الرشاد كلّ صعب، وأفاض على المدّاح صيب سيل منهمر. فمن مغترف بكف، ومانح بدلو، ونازح بِغَرْب. وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة تجنب قائلها موارد الإكدار، وتحمي منتهلها عن مواقع السوء في الدارين، فتحقن الدماء من السيف، وتصون الوجوه من النار. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي جذب بمغناطيس محبته القلوب فألّفها بعد النفار، وعرف بالعفو والصفح لذي القدرة، فأمه الخائف، وأسرع إليه المطار. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين تأبدوا في محبته،الأخلاء، فَسَموا إلى رتب الكمال، وتنوعت في طلب رضاه مقاصدهم، فمن مادح بلسان، و ذائد بسيف، وجائد بمال، صلاة تفوق ببهجتها جميع المادح، ويترقب لها أسنى الجوائز، فيظفر قائلها بأكرم المنائح.

وبعد، فلما كان المدح أرفع مقاصد الشعراء وأعلاها، وأنفسها وأغلاها، إذ هو رأس مال الشاعر، الذي يعُوّل عليه، ومقصده الذي يرجع في التوصل للمقاصد السنية إليه، وكان مبناه على المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة تعاطيه، مع ما فيه عما لا يليق بجلالة قدره، وعوّضه سبحانه وتعالى من ذلك بأن جعل الناس مطبقين على مدحه، سارعين إليه، متنافسين في الإكثار منه، مكبين عليه، مُلِئَتْ بمدحه الدواوين، وشحنت [٢أ] به الدفاتر، وحُفيت بكثرته الأقلام، ونفدت دون نفاده المحابر.

وكانت قصيدة كعب بن زهير المعروفة ببانت سعاد هي[1] أنفس المدائح عقداً، وأعلاها مقاما، وأعذبها وردا، أنشدت بين يديه ﷺ، فنالت أعلا المفاخر، وقضت بالتقدم، في الفضل، على ما بعدها، ما ترك الأول للآخر. وكانت الشروح الموضوعة

١ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: بين أنفس المدائح عقدا.

عليها، فيما وقفت عليه، قاصرة على شرح غريبها، وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حل تركيبها، دون التعرض لمعانيها، التي هي قصد طلابها، وأعربت مقدمتي شرح غريبها وإعرابها، اقتضى ذلك إشارة بعض أخواني في الله تعالى، ممن تؤثر طاعته، ولا تسع مخالفته، أن اقتضب عليها شرحاً يجمع إلى حل ألفاظها، وبيان معانيها، ويقرب ما بعد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها، فاستخرت الله تعالى، وبادرت إلى ما أشار عليّ على الوجه الذي يقصد، والمعنى الذي يريد. متيمناً في ذلك، ورأي السعيد سعيد. وسميته كنه المراد في بيان بانت سعاد. وإلى الله تعالى أرغب أن يجعله وسيلة إلى الممدوح بها في الشفاعة في المحشر، وأماناً من النار إذا اشتد الخوف يوم الفزع الأكبر، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

٢ ـ من الآية رقم ٨٨ من سورة هود، وتمامها ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

تمهيـــد:

لابد للمتصدى لهذه القصيدة، قبل الخوض في شرحها، من الإحاطة بثلاث مقاصد:

المقصد الأول، في ترجمة ناظمها، رضي الله عنه.

وهو أبو المطرف كعب بن زهير بن أبي سُلمى، بضم السين، واسمه ربيعة بن أبي رياح، بالراء [٢ ب] المهملة والياء آخر الحروف[٣]، المزني، من مُزَيْنة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان. قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر[٤]، رحمه الله تعالى: وما وقع من أن هذه النسبة إلى غطفان مستندة أن زهيرا وبنيه كانت محلتهم بني غطفان فوقع الظن به أنه منهم. قال: كان كعب، رضي الله عنه، من فحول شعراء العرب المجيدين، والمهرة المفلقين ومن مستحسن شعره:

لو كنتُ أعـجب من شيء لأعـجبني   سَعْيُ الفتى وهـو مخبـوء له القَـدَرُ
يسـعى الفتى لأمـورٍ ليس يدركهـا   فالنـفسُ واحـدةٌ، والهـمُّ منـتشرُ
والمـرؤ ما عاش ممدودٌ له أمَـلٌ   لا ينتهي الـطرفُ حتى ينتهي الأثـرُ

المقصد الثاني، في سبب نظمه هذه القصيدة:

ذكر أصحاب السير أنّه كان لكعب أخ اسمه بُجير، فخرج هو وأخوه إلى أبرق العزّاف، وهو رملة بالحجاز لبني سعد بالقرب من زَرُود، فقال بجير لكعب: إثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل، يعني النبي ﷺ، فاسمع كلامه واعرف ما عنده.

---

٣ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: «والياء وحاء آخر الحروف».

٤ ـ هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي المالكي، أبو عمر. محدث، حافظ، مؤرخ، مقرىء، فقيه، نحوي، عالم بالأنساب. ولد في قرطبة وتوفي في شاطبة بشرقي الأندلس سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. له الكثير من المؤلفات، أشهرها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/ ٣١٥، والزركلي، الأعلام: ٨/ ٢٤٠. وعن نسب كعب انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٣١٣، والأبيات: ٣/ ١٣١٥.

فأقام كعب، ومضى بجير فأتى رسول الله ﷺ، فسمع كلامه، فآمن به. وذلك أنّ زهيرا، أباهما، فيما زعموا، كان يجالس أهل الكتاب وسمع منهم أنّه قد آن مبعث النبي ﷺ، الذي يبعث في آخر الزمان. ورأى زهير في منامه أنه قد مدّ بسبب من السماء وأنه مدّ يده ليتناوله ففاته، فتأوله بالنبي ﷺ، وأنه لا يدركه، وأخبر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوا ذلك، وهو النبي ﷺ، أن يسلموا، فأسلم بجير [٣أ]، فعند ذلك شق إسلام بجير على أخيه كعب فكتب إليه بهذه الأبيات:

ألا بلغا عنّي بجيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلت، ويحك هل لكا؟
سقاك بها المأمون كأساً رَوِيَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلّكا
ففارقت أسباب الهدى وتبعته ... على أي شيء - ويب غيرك - دلّكا
على مذهب لم تُلْفِ أمّا ولا أباً ... عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تعرف فلست بآسفٍ ... ولا قائل إما عثرت: لعا لكا(٥)

وأرسل بها إلى بجير، فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ قوله: سقاك بها المأمون، قال: مأمون والله، وكانوا يسمون رسول الله ﷺ الأمين، فقال رسول الله ﷺ: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله. فكتب إليه أخوه بجير بهذه الأبيات:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزمُ
إلى الله، لا العزى ولا اللات، وحده ... فتنجو إذا كان النجاة فتسلمُ
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من النّار إلّا طاهر القلب مُسلمُ
فدين زهير، وهو لا دين دينه ... ودين أبي سلمى عليّ مُحَرّمُ(٦)

وكتب بعدها يخبره أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه، وأنه قتل رجالا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، وأن ممن بقي من شعراء قريش، كابن الزبعرى وهبيرة بن وهب، قد

٥ - كذا في «ك»، وفي «ب» ورد البيت كالآتي:
«فان أنت لم تفعل فلست بآسفٍ ... ولا قائلٍ إما عثرت: لعا لكا»
وهناك اختلاف في ترتيب هذه الأبيات والفاظها في المصادر، انظر: كعب بن زهير، الديوان: ١٧
٦ - كذا في «ك»، و«ب»، «وهو لا شيء دينه».

هربوا في كل وجهة، وما أحسبك ناجيا، فإن كان لك في نفسك فِطرٌ إليه فإنه يقبل من أتاه تائبا، ولا يطالب بها تقدم قبل الإسلام. فلما بلغ كعبا الكتاب أتى إلى قبيلة مزينة [٣ب] لتجيره من رسول الله ﷺ، فأبت ذلك. فضاقت عليه الأرض بما رحبت وأشفق على نفسه وأرجف به من كان من عدّوه فقالوا: هو مقتول، فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ، ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى وصل المدينة، فنزل على رجل من جُهينة، كانت له به معرفة. فأتى به إلى المسجد، ثم أشار الى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله ﷺ، فقم إليه واستأمنه. وعرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التي وصفه بها الناس. وكان مجلس رسول الله ﷺ من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم، يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم، ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم. فقام إليه كعب حتى جلس بين يديه، فوضع يده في يده ثم قال: يا رسول الله إنّ كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائبا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: نعم. قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير. فقال: الذي يقول ما يقول؟ ثم أقبل على أبي بكر فاستنشده الشعر فأنشده أبوبكر: سقاك بها المأمون كأسا روية... البيت فقال له: لم أقل هذا إنّما قلت: سقاك أبوبكر بكأس روية وأنهلك المأمون. فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال: دعه عنك، فإنه قد جاءنا تائبا نازعا. ثم أنشد القصيدة بين يدى [٤أ] رسول الله ﷺ وهو يسمع. وفي رواية أبي بكر بن الأنباري (٧) أنه لما وصل إلى قوله:

إنّ الرّسولَ لَسَيْفٌ يستضاء به   مُهَنَّدٌ من سُيُوف الله مسلول

فعندها رمى رسول الله ﷺ بردة كانت عليه، وأنّ معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، بذل له فيها عشرة آلاف درهم، فقال: ما كنت أوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا. فلما مات كعب، رضي الله تعالى عنه، بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا

٧ـ هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبوبكر الأنباري: عالم باللغة والأدب والشعر والأخبار. ولد في الأنبار على الفرات، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. له مؤلفات كثيرة أشهرها: الأمالي. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١/ ١٤٣، والزركلي، الأعلام: ٦/ ٣٣٤. وانظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٣١٥.

فأخذها منهم. وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم. وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنه لما بلغ إلى قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

أشار رسول الله ﷺ إلى من حوله أن اسمعوا[8].

المقصد الثالث: في بيان ترتيب هذه القصيدة وسياقتها التي سيقت عليها:

اعلم أنه كان عادة أكثر شعراء العرب أنهم إذا أتوا بقصيدة مدح افتتحوها بالتشبب، وهو المعبر عنه بالغزل. وهو عند المحققين من أهل الأدب يشتمل على أربعة أنواع:

النوع الأول: ذكر ما في المحب من الصفات التي هي أسباب المحبة الدالة على المحبة، كالشغف والنحول والذبول والحزن [٤ب] والأرق ونحوذ لك.

النوع الثاني: ذكر ما في المحبوب من الصفات التي هي أسباب المحبة، سواء كانت حسية، كحمرة الخدود، ورشاقة القد، وما في معناهما، أو معنوية، كالجلالة والخفر، وما أشبه ذلك، ويسمى هذا النوع من التشبيب نسيباً أيضا.

النوع الثالث: ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد، ووصل وسلوى، واعتذار ووفاء، واختلاف، ونحو ذلك.

النوع الرابع: ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء، ونحوهما. فإن الناظم، رحمه الله تعالى، قد أتى في قصيدته قبل التخلص إلى المدح بالأنواع الأربعة. وذلك أن القصيدة اشتملت على سبعة وخمسين بيتا. فابتدأ بالنوع الأول، يذكر حال نفسه، وما عراه بسبب الفراق في البيت الأول بقوله: بانت سعاد. ثم أخذ في ذكر النوع الثاني، وهو ما يتعلق بمحبوبته، فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات في البيت الثاني بقوله: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلاّ أغن غضيض الطرف... البيت. ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث. ثم ذكر مزج الراح بالماء، واستطرد فوصف ذلك الماء، ثم الأبطح الذي أخذ منه الماء في البيت الرابع.

٨ـ ابن عبد البر. الاستيعاب: ٣/١٣١٤ـ١٣١٥.

ثم أكمل وصف ذلك الأبطح في البيت الخامس. ثم أخذ في ذكر النوع الثالث وهو ما يتعلق بهما جميعا، فذكر إخلافها للوعد، وعدم قبولها النصح في البيت السادس بقوله: أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها. . .البيت، ثم أكمل ذلك في البيت السابع. ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن [٥أ] ثم وصفها بعدم الوفاء في البيت التاسع. ثم أكد ذلك، فأخبر بأنّ ما تعدُه أماني لا حقيقة لها في البيت العاشر. ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا في البيت الحادي عشر. ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها في البيت الثاني عشر. ثم ذكر بُعْد ما بينه وبينها من المسافة في البيت الثالث عشر. ثم ذكر أنه لا يبلغه إليها إلاّ ناقة من صفتها كذا وكذا. وأطال في وصفها على عادة العرب في ذلك من أول البيت الرابع عشر إلى آخر البيت الثاني والثلاثين. فاستوفى في وصفها تسعة عشر بيتا. ثم أخذ في ذكر النوع الرابع، وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما، فذكر الوشاة، وحاله معهم في البيت الثالث والثلاثين بقوله: تسعى الوشاة. . . البيت، واستطرد في ذلك الى آخر البيت الخامس والثلاثين بقوله: أنبئت أن رسول الله أوعدني. . . البيت. واستطرد في ذلك إلى آخر البيت الثامن والأربعين. ثم خرج إلى مدح المهاجرين من الصحابة، رضي الله عنهم، في البيت التاسع والأربعين بقوله: في فتية من قريش. . . البيت، واستطرد في ذلك إلى آخر البيت السابع والخمسين، وهو آخر القصيدة[٩]. ولم يتعرض فيها لمدح الأنصار. قيل: إنه وجد في نفسه من الذي قال منهم: دَعْني يا رسول الله وعدو الله أضرب عنقه، على ما تقدم ذكره. فإن صحّ ذلك فيكون قوله ارتجالا للوقت، ولا يبعد ذلك لأنه من فحول [٥ب] الشعراء، على ما تقدم ذكره. خصوصا وقد حصل له الإمداد النبوي، والإسعاد المحمدي. ويقال: إنّ النبي ﷺ قال له بعد ذلك: لو ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل، فقال:

من سرَّه كرم الحياة فلم يَزَل ... في مِقْنَبٍ من صالح الاذكارِ
ورثوا المكارم، كابرا عن كابر ... إنّ الخيار هم بنو الانصارِ
المكرمين السَّمْهَري بأذْرُعٍ ... كسوالف الهندي غير قِصارِ

٩ ـ كذا في النسختين، والصواب «تسعى الوشاة» رقم ٣٤ والبيت: «أنبئت أن رسول الله أوعدني» رقم ٣٨، وأن البيت: في فتيه من قريش» رقم ٥١. وهو ثابت في الشرح كما سيأتي.

والبـــائعــين نفــوسهـم لنبـيّهــم | للمــوت يوم تعــانــق وكِــرارِ
والــنــاظــرين بأعــين مُحْمَــرّة | كالجــمــر غير كليلة الأبـصــارِ
يتـهــطرون بروية نســكــا لهم | بدمــاء من علقــوا من الــكــفــارِ
[وإذا حللت ليمــنــعــوك إلــيهــم | أصـبحت عنــد مفــاقــد الأغفــارِ
لو تعــلم الأقــوام علمــي كلّه | فيهـم لصــدقني الــذين أمــاري][10]

البيت الأول

بانـت سعــادُ فقـلبي اليـوم مَتْبُـولُ | مُتَـيَّـمٌ إثـرهــا لم يُفْـدَ مَكــبُـولُ

يقال: بانت المرأة من زوجها إذا فارقته. وهو معروف في عرف الشرع بالطلاق غير الرجعي. وسعاد اسم لمحبوبته التي بنى مطلع القصيدة على التشبيب بها، والتغزل فيها، كما كان مجنون ليلى يشبب [بليلي وذو الرمة يشبب بمي وقيس يشبب بلبنى وكثيرّ يشــبــب بعــزة][11]. إلى غيرهــم من المــتــيمــين في الجــاهــلية والإســلام. والقلب في كلامه يحتمل معنيين: الأول، أنه يريد به الفؤاد، وهو الظاهر، ومنه قوله تعالى ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾[12] ومحله من البدن الصدر، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ [٦أ] وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[13] ومحله من الصدر الجانب الأيسر منه. قال بعض أهل الحقائق: وهذا هو السر في كون الطائف يجعل البيت عن يساره ويطوف، لأن القلب كالملك في الجسد والبيت كالملك في الأرض، فإذا جعل البيت على يساره وطاف كأنه قد جمع بيت الملكين في جهة واحدة. قال أهل

---

١٠ ـ البيتان زيادة من «ب». وفي «ك» أضاف: «وأبيات أخر تركتها خوف الإطالة. واقتصرت على ذلك».
انظر: الديوان: ٥٨ وما بعدها، وهناك اختلاف في ترتيب الأبيات والألفاظ عن السيوطي.

١١ ـ العبارة زيادة من «ك».

١٢ ـ من الآية رقم ٢٣ من سورة الجاثية، وتمامها: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾.

١٣ ـ من الآية رقم ٤٦ من سورة الحج، وتمامها ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

التشريح: وهو جسم صنوبرى الشكل، لحمي الجوهر، له جوف يحوى الدم والروح الحيواني، ومنه ينصب في الشرايين، وهي عروق دقاق، فيسرى منها إلى جميع البدن، وبينه وبين الدماغ شعبة دقيقة متصلة بغشائه، منبثة في جميع جرمه يدرك بها القوى الحيوانية التي تنفعل بالانفعالات النفسانية، كالغضب والخوف والحزن والسرور، بواسطة أن الحواس تدركها[١٤] من الخارج فتؤديها إلى النفس فتصل آثارها بالقلب فينفعل عنها. قال الغزالي[١٥] في الإحياء: وهذا القلب لا تتعلق به الأغراض الدينية وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء. وهذا القلب موجود للبهائم بل للميت فإنه قطعة لحم لا قدر لها، وهو من عالم الملك والشهادة، إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين، بل المراد بالقلب عندنا لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف، وهو المخاطب والمطالب والمعاقب. قال: وقد تحار عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقتها بالقلب الجسماني، فإن تعلقها به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف [٦ب] بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بها، أو المتمكن بالمكان الثاني، أن يريد بالقلب العقل كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[١٦]. ويكون المعنى حينئذ: أن عقله من شدة الحب وغلبة العشق قد ضعف حتى صار كالولهان الهائم الذي لا يفيق ولا يعي. واليوم، المراد به هنا مطلق الزمان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[١٧] وقوله ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ

---

١٤ - كذا في «ك» وفي «ب»: «تديرها».

١٥ - هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، حجة الإسلام، أبو حامد فقيه، متكلم، أصولي، صوفي. ولد بالطابران بطوس، وتوفي بالطابران سنة ٥٠٥هـ/١١١١م. وله مؤلفات كثيرة أشهرها إحياء علوم الدين. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١/٢٦٦، الزركلي، الأعلام: ٧/٢٢. و انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين: ٣/٨-٩، وقد نقل عنه السيوطي بتصرف.

١٦ - من الآية رقم ٣٧ من سورة ق، وتمامها: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

١٧ - من الآية رقم ١٤١ من سورة الأنعام، وتمامها ﴿وهو الذي أنشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾

﴿مَن يَشَآءُ﴾(18) ونحو ذلك. والمتبول، بفتح الميم وإسكان التاء المثناة من فوق وضم الباء الموحدة، الفاني من شدة الضنى والسقم. يقال: تبله وأتبله إذا أسقمه، وتبلهم الدهر وأتبلهم إذا أفناهم. قوله: متيم إثرها لم يفد مكبول، أي: فقلبي اليوم متبول على ما تقدم، متيم إثر سعاد، ولم يفد من أسرها، مكبول في هواها، والمتيم المستعبد الذليل، يقال: تيّمه الحب وتامَهَ إذا استعبده، وتامه أذلّه. والمراد هنا الأسير، بدليل قوله فيما بعد: لم يفدُ. والإثر في كلامه، بكسر الهمزة، وإسكان الثاء المثلثة، محل المشي، وموضع القدم من الأرض. ويقال فيه: أَثَر بالتحريك. وقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(19). ومعنى لم يُفْدَ: لم يقع له فداء من أسره الذي وقع فيه، إمّا بمعنى أنه لم يجد من يفديه ويُخلصه من الأسر، وإما بمعنى أنه لم يختر الفداء بل كان أَسْرُ المحبة إليه أحب. ويروى: لم يُشْفَ، بدل يُفْدَ، بمعنى: أنه بعد تبل قلبه ومرضه لم يجعل له شفاء منه، ويكون ذلك عائدا على قوله: متبول، لا على قوله متيم. والمَكْبُول، بفتح الميم وإسكان الكاف وضم الباء يحتمل معنيين: أحدهما، أن [7أ] يريد به المقيد، يقال: كَبَلَ الأسير بالتخفيف، وكَبَّلَهُ بالتشديد إذا قيّده. الثاني، أن يريد به المسجون، يقال: كَبَلَه بالتخفيف إذا حَبَسَه في سجن أو غيره، والمعنى: أن قلبه بسبب فراق محبوبته صار في غاية الضنى والسقم والأسر والذل والقيد والسجن، لا يجد له هربا من الأسر، ولا فكاكا من الرق، وذلك أنه لما كان مبنى ابتداء هذه القصيدة على الغزل والتشبيب، جَرْيا على عادة الشعراء في ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك، على ما تقدم ذكره في مقدمة هذا الشرح، وكان من جملة أنواع التشبيب ذكر ما في المحب من صفات المحبة والشغف ونحوه، على ما تقدم بيانه، مع أن تأجيج نار المحبة وتهييج بلابل الشوق إنما يعظم ويشتد عند حصول الفراق، صَدَّرَ كلامه بذكر الفراق المقتضي لذلك، ليرتب عليه ما يأتي عليه من لوازم المحبة وعوارضها. ولا شك أن فراق الأحبة من أشد الآلام وأعظم الأحزان. وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن يعقوب، عليه الصلاة والسلام، في فراقه ليوسف بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ

---

18 - من الآيتين ٤، ٥ من سورة الروم، وتمامها: ﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.

19 - من الآية رقم ١٢ من سورة يس، وتمامها ﴿إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾

﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٢٠].

قيل: ما غفت عينا يعقوب عليه الصلاة والسلام، من حين فراقه يوسف إلى حين لقاءه، ثمانين عاما، ولله در القائل:

إنـي لأكـره أنْ أنـام فالـتـقـى   بك في الكـرى خوف الفـراق الثـاني

ويروى: أن الحسن، رضي الله عنه بكى على ولد أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب. ومن المعاني المستحسنة ما قيل: إن الشمس تحمرّ عند الطلوع لمعنى [٧ب] اللقاء، وتصفّر عند الغروب لمعنى الفراق. وإلى ذلك يشير أبو العباس الضبي[٢١] بقوله:

لا تركـنـن الـى الـفـرا ق فإنـه مـر المـذاق
فالـشـمس عنـد غـروبهـا تصـفـرُّ مـن ألـم الـفـراق

ومن كلام بعضهم: ما خلق الفراق إلا لتعذيب العشاق. وكان يقال: حق الفراق أن يطير له القلب، وتطيش معه العقول، وتطيح معه النفوس، ويقال: هول السباق أهون من ألم الفراق، ولو كان صورة لراعت منه القلوب، وهدّت منه الجبال، ولجمر الغضا أهون توبيخا من نار الفراق، ولله در أبي تمام الطائي[٢٢] حيث يقول:

لو حَارَ مُرتـادُ المـنـيَّة لم يَجِدْ   غير الـفـراق إلى النـفـوس دلـيلا
إنّي نظرتُ إلى الـفـراق فَلَم أجِـدْ   للمـوت لو فَقَـدَ الـفـراقُ سَبـيلا

---

٢٠ ـ سورة يوسف/ الآية رقم ٨٤.

٢١ ـ هو المفضل بن محمد الضبي، أبو العباس. أديب، نحوي، لغوي، عالم بالشعر، له الكثير من المؤلفات أشهرها: معاني الشعر، والأمثال، والمفضليات. توفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٢/٣١٦، الزركلي، الأعلام: ٧/٢٨٠.

٢٢ ـ هو حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، أحد أمراء الشعر والبيان. ولد في جاسم من قرى حوران السورية، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/١٨٣، الزركلي، الأعلام: ٢/١٦٥. انظر: الديوان: ٤٤٧، ولم يرد البيت الثاني في الديوان. كما أن رواية السيوطي لبعض الألفاظ تختلف عن الديوان.

وما أحلى قول الطغرائي[٢٣] حيث يقول:

إني لأذْكُـرُكُـم وقـد بلَغَ الـظَّما مِنِّي فاشرقُ بالـزلال الـبـارِدِ
وأقـول: ليت أحبـتي عاينتـهـم قَبْـلَ المـمات ولـو بيومٍ واحـدِ

ثم لما ذكر الفراق أشار إلى أن قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض من منغصات الحب تأثر بها، وخص ذلك بالقلب دون سائر الجسد، إشارة إلى أن القلب هو المتأثر بالمحبة، وعنه تنشأ عوارضها من الضنى والسقم وغير ذلك. قال الزمخشري: لا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألما بأذى إذا لمسه منه. وأيضا فإن القلب هو المعتبر والمعول عليه في الجسد وسائر [٨أ] الأعضاء أتباعه. قال بعض الحكماء:

القلب ملك الأعضاء وجميع الجوارح جنوده، والأعضاء تخدمه. فالعقل وزيره، والفهم عماده، والعينان رائده، والأذنان طليعته. على أن بعضهم قد خالف فجعل ابتداء الحب إنما ينشأ عن القلب بواسطة الفكر دون الحواس. وإلى ذلك يشير بشار[٢٤] بقوله:

ومـا تبصر العينـان في موضـع الهـوى ولا تسـمـع الأذْنَـان إلا من الـقلـبِ

ثم ذكر أنه عرض لقلبه بسبب الفراق أربع عوارض: الأول، التبل، وهو المراد بقوله: متبول. فإن حملنا القلب في كلامه على الفؤاد كان المراد بالتبل الضنى والسقم كما تقدم ذلك. وذلك أنه استولى عليه الحب وغلب عليه العشق وعراه السهر، وتقليل الطعام والشراب، واستولى عليه الفكر والوسواس، فربما عرض له من ذلك أرق أثر

---

٢٣ ـ هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الإصبهاني الطغرائي. وزير شاعر. ولد باصبهان، ومات مقتولا سنة ٥١٣هـ/١١١٩م. من أبرز آثاره لامية العجم وديوان شعر. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٤/٣٦، الزركلي، الأعلام: ٢/٢٤٦ والديوان: ١٤١.

٢٤ ـ هو بشار بن برد العقيلي ولاء، أبو معاذ. أشعر المولدين، أصله من طخارستان، مات مقتولا سنة ١٦٧هـ/٧٨٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/٤٤، والزركلي، الأعلام: ٢/٥٢.
وانظر: الديوان: ١٨٦.

الضنى والسقم في قلبه، وسرى منه إلى سائر جسده. قال الأحنف بن قيس[٢٥]:

بينما أنا أطوف وإذا بثلاث جواري أتراب، فدنت إليّ إحداهن وقالت: يا أبا البشر أنت القائل:

ماذا لقيت من الهوى وعذابه فتحت عليّ بلية من بابه

فقلت: نعم، قالت: كذبت والله، لو كنت عاشقا لكنت مثلي، وكَشَفَتْ عن أشاح على ريّة من اللحم وأنشأت تقول:

إذا ما شكوتُ الحُبَّ قالت: كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
[٨ب] فلا حبّ حتى يلصقُ الحبُّ بالحشا وتخرسُ حتى لا تجيب المناديا

بل ربما أدى به الحب إلى الموت والهلاك كما اتفق لكثير من المتيمين. وكتاب مصارع العشاق لأبي جعفر بن السراج[٢٦]: وطوق الحمامة لابن حزم[٢٧] مشحونان بذكر أخبارهم من ذلك. ولله در الشيخ شرف الدين بن الفارض[٢٨] حيث يقول:

---

٢٥ ـ هو الأحنف ين قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبو بحر. أحد الدهاة الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم. ولد بالبصرة وتوفي في الكوفة سنة ٧٢هـ/٦٩١م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٢٧٦/١. وانظر:السراج، مصارع العشاق: ١٠٩/١.

٢٦ ـ هو جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، القارىء البغدادي، أبو محمد. أديب، عالم باللغة والنحو والقراءات. ولد وتوفي في بغداد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م. أشهر مؤلفاته: مصارع العشاق. انظر كحالة، معجم المؤلفين: ١٣١/٣، الزركلي، الأعلام: ٢١/٢/. وانظر الرواية السابقة والشعر عند السراج، مصارع العشاق: ١٠٩/١.

٢٧ ـ هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد. عالم عصره بالأندلس. ولد بقرطبة، توفي في لبلة بالأندلس سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م. له عدة مؤلفات أشهرها: المحلى وجمهرة الأنساب ومصارع العشاق. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٦/٧، ٤٠٥/١٣، الزركلي، الأعلام: ٢٥٤/٤.

٢٨ ـ هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري الموالد والدار، أبو حفص، وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض. أشعر المتصوفين، ويلقب بسلطان العاشقين. توفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م. انظر: معجم المؤلفين: ٣٠١/٧، الزركلي، الأعلام: ٥٥/٥. وانظر الديوان: ص ١٣٤، وفي الديوان: وعش خاليا.

وَعِش سالماً فالحُبُّ راحَتُهُ عناً وأوَّلُهُ سُقْمٌ وآخِرُهُ قَتْلُ

وإن حملنا القلب في كلامه على العقل كان المراد بالتبل ضعف العقل. ويكون المعنى: أنه انتهى به الحب الى الوله والهيام، بحيث اختل عقله، فصار كالمجنون الهائم على وجهه، الذي لا يدري أين يقصد، ولا أين يتوجه. وهو موافق لما يقوله الأطباء من أن العشق نوع من الماليخوليا، وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله:

قالوا جُنِنْتَ بمَنْ تهوى، فقلت لهم: العِشْقُ أعْظَمُ مما بالمجانين
العشْقُ لا يستفيقُ الدَّهْرَ صاحِبُهُ وإنّما يُصْرَعُ المجنونُ في الحين

ثم قد تقدم أن المراد باليوم مطلق الزمان، وحينئذ فيقول: إنه صار في الضنى والسقم والهيام والوله على ممر الزمان وتعاقب الأيام.

العارض الثاني: وهو الأسر والرق والذل، وإليه أشار بقوله: متيم، وذلك أن المحب إذا تعلق قلبه بالمحبوب، واشتغل خاطره به صار قلبه في يد محبوبه، يتصرف فيه كيف شاء، ويدبره في قبضته كيف شاء، فليس منه تخلص، ولا إلى غيره منه مهرب، فأشبه الأسير المستعبد في يد مَنْ أَسَرَه وإلى ذلك يشير المستعين بالله تعالى ابن الحكم الأموي[29]، أحد خلفاء الأندلس حيث يقول: [٩ أ]

عجباً يهابُ الليثُ حَدَّ سناني وأهابُ لَحْظَ فَواتِرِ الأجْفانِ
وأُقارِعُ الأهوالَ لا متهيِّباً منها سوى الإعراضِ والهجرانِ
وتَمَلَّكَتْ نفسي ثلاث كالدما زهر النجوم[30]، نواعم الأبدانِ
حاكَمْتُ فيهن السُّلُوَّ إلى الضنى[31] فقضى لسُلطان على سلطانِ
فأبحنَ من قلبي الحِمى وتركنني في عِزِّ مُلكي كالأسيرِ الفاني

٢٩ ـ هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الأموي، أبو أيوب، أحد ملوك الدولة الأموية في الأندلس، كان أديبا شاعرا. توفي سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م. انظر: الزركلي، الأعلام: /١٢٣.

٣٠ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: «زهر الوجوه».

٣١ ـ كذا في «ب»، وفي «ك»: «إلى الصبا».

ثم أنشد على الرواية المشهورة وهي: متيم إثْرها، كان المعنى: أن قلبه صار مقتضيا لإثرها يرحل لرحيلها، ويقيم بإقامتها. كما أن العبد الذي قيده الرق وذل العبودية يسير بسير سيده ويقيم بإقامته. ولله در القائل حيث قال:

قال لي مَنْ أحِبُّ والبينُ قد جَدَّ وفي مهجتي لهيب الحريق:
ما الذي في الطريق تَصْنَعُ بي؟[33] قلت: أبكي عليكَ طول الطريق

فعند ذلك بقي استمراره في الأسر والرق. وهو المراد بقوله: لم يُفْدَ. فإن حملناه على أنه لم يجد مَنْ يفديه فيخلص من الأسر، فإذا طال أسره ودام رقُّه، مع ما هو عليه من الضنى والسقم [انظم][34] إلى ما هو عليه من ذلك ألم اليأس من الخلاص، فزاد ألماً إلى ألمه، وشجى إلى شجنه. وإن حملناه على أنّ منع الفداء لعدم اختياره له كان المعنى: أن في العشق ملاذاً يتحمل على الصبر على الأمد، وتبعث على الازدياد منه.

وقد قال الجنيد[35]، رضي الله عنه: العشق آلة رحمانية، وإلهام شوقي، أوجبهما كرم الله تعالى على كل ذي روح، لتحصل اللذة العظمى، التي لا يقدر على مثلها إلّا بتلك الألفة. وما أحسن قول القائل:

[٩ب] ومن عجبي أنّي جَرِيحٌ وكلّما رمتني بِسَهْمٍ بعد سَهْمٍ يلذُّ لي

العارض الثالث: التقييد وهو المراد بقوله: مكبول، وذلك أنّ فيه تأكيدا بعدم الخلاص إذ الأسير [إذا][36] كان عريا عن القيد ربما أمكنه الهرب، إذا اختار الفراق، فإذا كان مقيدا ضعفت قوته، وقلت حيلته، وأيضا فإن القيد زيادة مذلة وإهانة.

---

٣٢ ـ ساقطة من «ب».
٣٣ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: «تصنع بعدي».
٣٤ ـ ساقطة من «ب».
٣٥ ـ هو الجنيد بن محمد القواريري، الخراز، أبو القاسم. أحد أبرز شيوخ التصوف، مولده ونشأته ببغداد، وتوفي فيها سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٦٢/٣، الزركلي، الأعلام: ١٤١/٢.
٣٦ ـ ساقطة من «ب».

واعلم أنّ هذه العوارض الأربع[37] التي ذكرناها ترجع إلى وصفين من أوصاف الحب وهما: التبل والتتيم. والعارضان الآخران وهما: عدم الفداء والكبل، من لزوم التتيم الذي هو الأسر. ولما كان التبل والتتيم من أعلا مراتب الحب اقتصر في تغزله، واكتفى بهما عما دونهم. فإن قيل: كيف ساغ أن يتغزل بامرأة في قصيدة أنشدها بين يدي النبي ﷺ؟ فالجواب: أنه جرى في ذلك على عادة العرب في أشعارهم، وسماع النبي ﷺ ذلك وإقراره عليه دليل الجواز. إذ يحتمل أنه قصد امرأة معينة كانت حليلته، وبانت عنه، فتغزل فيها. وقد نص العلماء، رضي الله تعالى عنهم، على أنه يمتنع التغزل إذا كان لشخص معين، أو امرأة أجنبية، أما إذا كان بحليلة، أو غير معين فلا مانع فيه، كما تقدم. على أنّ محبتهم كانت غير مفضية الى الخَنَا والقبيح، ويحتمل أنه لم يقصد بذلك امرأة معينة بل جرى فيه على أكثر عادة الشعراء في ذلك، ولا مانع فيه، كما تقدم. ولذلك هلك كثير من المتيمين في عشق من أحبوه صبرا على الوصال، أو تقديما للمروءة على الشهوة. وربما اجتمع الواحد منهم بمن يحبه في الخلوة ثم لا يكون بينهما أمر، عفة من الرجال [١٠أ] وصيانة من النساء. وقد قيل لرجل من عُذْرة: ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة؟ قال: لأن فينا جمالا وعفة. وقد ذكر المرزباني[38]: أن اعرابيا قال: علقت بامرأة كنت آتيها فأحدثها وما جرت بيننا وبينها [ريبة][39] قط إلاّ أني رأيت بياض كفها في ليلة ظلماء، فوضعت يدها على يدي وقالت: مه، لا تفسد ما صلح فإنه ما نُكِح الحب إلاّ فَسَدْ. ولله در القائل حيث يقول:

أنـزّه في روض المـحـاسـنِ مُقْلتي وأمْـنَـعُ نَفْسِي أنْ تَنَـال مُحَرَّمَـا

ولذلك نص العلماء، رضي الله عنهم، على أن الميت عشقاً معدود من الشهداء،

---

٣٧ ـ لم يرد في المخطوطتين إلا ثلاث عوارض، رغم أنه ذكر أنها أربعة. وما أثبتناه من «ب» أما في «ك» فقد سمى العارض الثالث العارض الرابع، دون ذكر الثالث.

٣٨ ـ هو محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني، إخباري، مؤرخ، أديب. مولده ووفاته ببغداد. توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م. له عدة مؤلفات أشهرها: المفيد والأزمنة والمونق ومعجم الشعراء وغيرها. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١/٩٧، والزركلي، الأعلام: ٦/٣١٩.

٣٩ ـ ساقة من «ب».

كالمبطون والمطعون والغريق ونحوهم، محتجين بما رواه الدارقطني في جزئيه من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد[40]، وإن كان الحديث فيه ضعف. وإلى هذا المعنى يشير أبو القاسم القشيري[41] بقوله:

إن المحِبَّ إذا تُوفي صابِرا كانت منازِلُهُ مع الشُّهَداء

البيت الثاني

وما سُعادُ غَداةَ البَينِ إذ رَحلوا إلّا أغَنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مكْحُول

أي وما سعاد غداة البين إذ رحلوا، وهي معهم، إلّا ظبي أغن الصوت، غضيض الطرف، مكحول العين. وسعاد هي محبوبته التي أشار إليها في البيت الأول. والغداة اسم لمقابل العشي، قال [١٠ب] تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾[42] وقد يراد بها مطلق الزمان، كما تقدم في قوله: فقلبي اليوم متبول. وكلامه في البيت يحتملها. والبين الفراق، وأتى في قوله: رحلوا، بضمير الجمع، وإن كان المحدث عنه إنما هو سعاد فقط، إشارة إليها أنها دخلت مع قومها، ويحتمل أنه قصد تعظيمها فعبر عنها بلفظ الجمع. والأغن من صفات الظبي، فصار لغلبه الإستعمال كأنه مختص به. وغضيض بمعنى مغضوض، كذبيح بمعنى مذبوح، وكسير بمعنى مكسور، ونحو

---

٤٠ ـ لم أعثر عليه في سنن الدارقطني. وانظر: الغزالي، إحياء علوم الدين: ١٥٧/٣. وانظر: السيوطي، الجامع الصغير: الحديث رقم ٨٨٥٢، ورقم ٨٨٥٣. وهو عنده حديث ضعيف.

٤١ ـ هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، أبو القاسم. صوفي، مفسر، أصولي، ناظم، ناثر. توفي في نيسابور سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٦/٦، الزركلي، الأعلام: ٥٧/٤.

٤٢ ـ وردت في آيتين: الأولى، رقم ٥٢ من سورة الأنعام، وتمامها: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾، والثانية، رقم ٢٨ من سورة الكهف، وتمامها ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾.

ذلـك. والـطرف، المراد به هنا العين، ثم الأصل في غض الطرف ترك التحديق واستيفاء النظر. وكلام البيت يحتمل أمرين: أحدهما، أن يريد كسر الجفون وفتورها، على عادة الشعراء في مثل ذلك. والثاني، أن يريد به الحياء والخفر، وكلاهما مما يُمتدح به على ما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالى. والمكحول، وصف الظبي الأغن. وهو إما من الكَحَل، بفتح الكاف والحاء، وهو سواد يعلو العين، وإما من الكُحل، بضم الكاف وهو الأثمد. والمعنى في البيت ظاهر، وحاصله: أنه لما ذكر حال نفسه، وما أعقبه الفراق من الضنك، شرع في وصف ذكر محبوبته التي هواها، وما اشتملت عليه من المحاسن التي لا يقدر معها على الأسف على فراقها، وتلاف المهجة في محبتها، فشبهها بظبي موصوف بأحسن الصفات، وأعاد ذكرها للتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[٤٣]، ولأن اسم المحبوب مما يلتذ بذكره، ولله در القائل حيث يقول:

يا مَنْ إذا ذُكِـرَ اسْـمُـهُ في مَجْلسٍ　　لَذَّ الحـديثُ بِه وطَـابَ المـجـلسُ

[١١أ] وخص التشبيه بالظبي جريا على عادة العرب في التشبيه بها، لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الأودية، إذ كل أحد إنما يقع له التشبيه بما في خزانة خياله، ألا ترى تشبيهات ابن المعتز في شعره إنما هي باللآلي واليواقيت وأصناف الجوهر، وتشبيهات العرب إنما هي بالشيح والقيصوم وأزهار البادية وما شاكل ذلك. وأوضح شاهد لذلك ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن حكاية الهدهد بقوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤٤] فعبر بإخراج الخبء دون علم الغيب، وإن كان علم الغيب أعم منه، إذ كان من عادته إخراج المخبآت لسليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، على يد الهدهد، حتى يقال: إنه ينظر الماء تحت الأرض، ولـذلـك تراه يضرب بمنقاره في الأرض ليخرج الدود من داخلها فيأكله. واعلم: أن التشبيه بالظباء إنما هو من استحسانها في جنس الوحش لا أنها أحسن من الآدمي في نفس الأمر. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ

---

٤٣ ـ من الآية رقم ٢٧ من سورة الواقعة، وتمامها: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾.

٤٤ ـ من الآية رقم ٢٥ من سورة النمل، وتمامها ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾.

تَقۡوِيمٖ﴾[٤٥]، وقال عزوجل ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[٤٦] ولذلك قال الفقهاء، رحمهم الله تعالى: لو قال لزوجته: إن لم تكوني أحسن من الشمس والقمر فأنت طالق، لم تطلق، وإن كانت زنجية سوداء. ثم لما شبهها بالظبي وصفه بثلاث صفات، تستحسن في الظبي. الصفة الأولى، الغنة في الصوت وهو مما يلتذ بسماعه، ولذلك قيل في وصف الرياض الحسنة: روضة غنّاء، من حيث أن صوت [١١ب] الرياض في الشجر الملتفّة يشبه صوت الخارج بغنة. وقد جاء في وصف الحسين، عليه السلام، أنه كان فيه غنة حسنة. واعلم: أن العشق كما يقع بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة سماع الصوت. فقد قيل: إن سبب المحبة ثلاثة أشياء: رؤية صورة، أو سماع نغمة، أو سماع صفة. حكي: أن أبا تمام الطائي[٤٧] سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها، ولم يفهم كلامها، فأنشد وهو يقول: هذه الأبيات:

فَلَمْ أفهم معانيها ولكنْ   شَجَت قلبي فلم أحمل شَجَاها
فكُنْتُ كأنَّني أعمى معنى   بحبٍّ الغانيات ولا يَرَاها

قال أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل: وأمر الصوت عجب، منه ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق، ومنه ما يزيل العقل ويورث الغش، وبه ينوّمون الصبيان، وبه تستخرج الحية من حجرها. وأهل الصناعات إذا خافوا الملال ترنموا، وتسقى الدواب بالصفير، وتُصغى بأُذنها إذا غنى لها المكاري، وتزيد الإبل في مشيتها إذا حدا بها الحادي. وفي أمور أخرى ذكرها من تأثير الصوت. وقد قيل: إن صدقة الحادي سأله الرشيد، أو غيره من الخلفاء، عما

٤٥ ـ سورة التين/ الآية ٤.

٤٦ ـ من الآية رقم ٦٤ من سورة غافر، وتمامها: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾.

٤٧ ـ انظر الحاشية رقم ٢٢.

٤٨ ـ هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب واللغة، نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز. توفي بعد سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م. له عدة مؤلفات أبرزها: الأوائل والصناعتين والتلخيص وجمهرة الأمثال وغيرهما. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/٢٤٠، ١٣/٣٨١، الزركلي، الأعلام: ٢/١٩٦. وانظر: أبو هلال العسكري، الأوائل: ٦٠، تحت عنوان: أول من أحدث الحداء، وقد نقل عنه السيو طي بتصرف.

بلغه من حسن حدائه فقال: أن تعطش الإبل ثلاثا، ثم أحدو فتدع الشرب وتصغي إلى صوتي، فأمَرَ بالإبل فعطشت، ثم أحضره فَأَمَرَ بالإبل فنودي لها بالماء، فلما بحت بحتين أو ثلاثا أمر صدقة بالحداء، فحدا بها،فقطعت الشرب[١٢أ] ورفعت رؤوسها إليه، فسكت، فعادت إلى الشرب، ثم حدا فتركت الشرب وأقبلت، ففعل ذلك مرار فقال الخليفة: قتلتها عطشا، ويلك، دعها تشرب. وعن عمرو الوادي قال: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج إذ سمعت إنسانا يغني غناء، لم أسمع مثله، فأصغيت إليه، فإذا هو يتغنى:

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى أزورها   أرَى الأرضَ تطوى لي، ويدنو بعيدُها(٤٤٩)
من الخفراتِ البيضِ ودَّ جليسُها   إذا ما انقضتْ أُحْدُوثةٌ لو تعيدُها

فكدت أسقط طربا عن راحلتي، وقلت: لألتمس صاحب هذا الصوت فأصير إليه، ولو بذهاب نفسي، فيممته إلى أنْ وصلت إليه، فإذا هو راعي غنم، فسألته أن يعيد الصوت إليّ، فقال: نعم لو حضرني قِرىً أقريكه ما أعدته، ولكني أجعله قراك، فربما ترنمت به والله، وأنا غَرثان فأشبع، وظمآن فأروى، ومستوحش فآنس، وكسلان فأنشط. قال: فأعادها عليّ حتى أخذت لحنها عنه، فوالله ما كان زادي حتى ولجت المدينة غيرها. قلت: وأخبرني بعض الأصحاب عمن أخبره أنه سافر من اليمن إلى مكة، ومعه رفيق من بوادي اليمن، فمر في طريقه بشجرة فوق الذراع فوقف تجاهها، وصفّق وغنّى لها بغناء مخصوص فجعلت تتمايل يمينا [وشمالا فلما سكتَ سكتت، وكنت في شك من ذلك إلى أن أخبر من أثق به: أنّ [١٢ب] الشيخ ناصر الدين، رحمه الله، قبل أن يلي قاضي القضاة بالديار المصرية كان ساكنا بمنظرة بغيظ السناني بالقرب من بولاق وكان فيه شجرة من هذا النوع، وكان يقف أمامها ويصفق لها بيديه ويغنيها بأبيات فتتمايل يمينا وشمالا](٤٩). ثم سكن المنظرة بعده آخر من أهل العلم وكان يفعل لتلك الشجرة كذلك. ثم أخبرني بعض أهل البلاد اليمنية بالديار المصرية أن هذه الشجرة موجودة عندهم إلى الآن. ولما كان أمر الصوت من التأثير على ذلك حق له يتغزل بالغنة التي هي من ألذّ الأصوات.

---

(٤٤٩) البيتان لكثير عزة، انظر: الديوان/ ٢٠٠.

٤٩ ـ الفقرة ساقطة من «ب».

الصفة الثانية، غض الطرف فإن حملناه على كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال، إذ النفوس تميل إلى ذلك في الغالب وترغب إليه، ولم تزل الشعراء في القديم والحديث تتغزل في ذلك. وقد قيل: أغزل بيت قالته العرب قول جرير(٥٠):

إنّ العُيونَ التي في طرفها حَوَرٌ قتلننا ثُمّ لم يُحْيينَ قتلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حراكَ بِهِ وهُنَّ أضْعفُ خَلْقِ الله أرْكانا

وإن حملناه على الحياء والخفر كان أبلغ في ذلك، إذ الحياء مما يمتدح به عقلا وشرعا. وقد مدح الله تعالى الحور العين بقوله ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾(٥١) مع كونهم عين إشارة إلى أنّ غض الطرف فيهن ليس لضعف في العيون، ولا مرض في الجفون. وأَمَرَ الله تعالى بغض البصر حياء وعفة، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾(٥٢)، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾(٥٣). [١٣أ]

الصفة الثالثة، سواد العيون، وهو المراد بقوله: مكحول. فإن جعلناه من الكحل الذي هو سواد جفون العين، من غير تكحيل، فهو في غاية المدحة، لاستغنائه عن التكحيل. وقد جاء في وصفه ﷺ: في عينيه كحل. وبالجملة فسواد العين مما يستحسن، وتميل إليه النفوس. ولله در القائل:

---

٥٠ - هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم، أشعر أهل زمانه، ولد ومات في اليمامة. توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٢٩/٣، الزركلي، الأعلام: ١١٩/٢ وانظر: الديوان: ٤٩٢.

٥١ - من الآية رقم ٤٨ من سورة الصافات، وتمامها: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾.

٥٢ - من الآية رقم ٣٠ من سورة النور، وتمامها ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم إن الله خبير بما تصنعون﴾.

٥٣ - من الآية رقم ٣١ من سورة النور، وتمامها ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾

تغــارُ الــشــمسُ منهــا حين تبــدو كغــصــنِ الــبــانِ في خضر الــبُرودِ
بأطــرافٍ من الحــنّــاء حُمْرٍ وألحــاظٍ كبــيضِ الهــنــدِ سُودِ

بل هو أكمل من الحسن في الفتور في الجفون، وأعلا رتبة في الجمال، وأشد تأثيرا في القلوب. وإلى ذلك يشير أبو اسحاق الغزي[٥٤] بقوله:

رَاشَ الــفــتــورُ لهُ سهــما فأخْــطَأهُ حتّى أبيح لهُ سَهْــمٌ مِن الْكُحْــلِ

وإن جعلناه من التكحيل بالأثمد لكونه يكسو العين سوادا، والذي يظهر أنه يريد انضمام ذلك إلى الكحل الخلقي، لا أنّ التكحل لفقد الكحل في العينين، فإن ذلك نقص في الحسن، وهو خلاف المعهود. ولله در القائل:

زَادَتْ على كُحْــلِ الــعيونِ تَكَحُّــلا أيُسَمُّ نصــلُ السَّيْفِ وهو قَتُول؟[١٣ب]

فإن قيل لم خصّ تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل؟ فالجواب من وجهين: الأول، يحتمل أنه أشار بذلك إلى صفة رابعة مما يمتدح بها، وهي أنها كانت مُخَدَّرة لا تُرى لاختبائها، وإنما توصل إلى رؤيتها عند الرحيل لاقتضاءه البروز من الخبء، والخروج من الخِدْر، فكان ذلك أول وقوع بصره عليها، وعلى ذلك ينطبق حمل قوله في البيت: غضيض الـطرف، على الحياء والخفـر. ثم أنـه قد يجوز أنـه أحبها على الوصف، وعشقها على السماع. فإن العشق قد يقع بمثل ذلك، على ما تقدم ذكره. ولذلك نهى النبي ﷺ، أنه قال: إنّ المرأة لزوجها، كأنه ينظر إليها خشية من تعلق قلبه بها، وميل نفسه إليها، ولله در بشار حيث يقول:

يا قوم أذني لبعض الحيِّ عاشِقـةٌ والأذْنُ تَعْشَقُ قبـلَ العَـينِ أحْيانــا
قالــوا بِمَنْ لا تَرى تَهْذي؟ فقلت لهم الأذْنُ كالعَـينِ توتي القَلْبَ ما كانـا[٥٥]

---

٥٤ ـ لعله محمد بن محمد محمد الغزي. له مائة وبضعة عشر مؤلفا. توفي سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٧م.
انظر: الزركلي، الأعلام: ٧/٥٩.
٥٥ ـ أنظر: الديوان: ٦١٢-٦١٣، والحاشية رقم ٢٤.

ويجوز أن يكون قد أحبّها على حالة وقوع بصره عليها، فإنّ النظر بريد العشق، ورائد المحبة، قال إعرابي: العشق نبت، بذره النظر، وماؤه المزاورة، وثماره الوصل، وحصاده التجني. ومن كلام بعض الحكماء: المرأة تمرّ على الرجل فتتحرك نفسه بمجرد النظر إليها، فإن كرر النظر إليها زداد حبه فيها، فإن جلس حتى يراها كان الذي به أضعاف ما كان، فإن نظرت إليه نظرة أفتتن بها، وصار في جملة العاشقين. وقد قيل: [١٤أ] من أطلق ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته دامت حسراته. ولله در القائل:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً ... لِقلبك يوما أتعبتْه المناظرُ
رأيْتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ ... عليه ولا عن بعضِهِ أنْتَ صابرُ

الثاني، يحتمل أن يكون خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل مبالغة في حسنها، فإن الشخص عند الرحيل يكون في أرقّ حالاته، مع مايصم إلى ذلك من التأثر بفراق الوطن، خصوصا إذا كان مع ذلك فراق حبيب وتوديع صديق. فإن قيل: لما قدّم وصف الكحل؟ فالجواب: أنّ الغنة من صفات الصوت، والغالب سماعه مع عدم الرؤية. ثم تلاه بوصف غض الطرف، الذي لا يمكن النظر إليه إلا مع انطباق الجفن، ثم تبعه بذكر الكحل، الذي لا يمكن رؤيته إلاّ مع انفتاح العين، وكأنه لما سمع صوتها استحلاه، فدعاه ذلك إلى رؤيتها، فاحتال على نظرها فرأى جفنها منسدلا، لغلبة الحياء عليها، فدعاه ذلك إلى رؤية داخل عينها، وسارقها النظر حتى رآها، فرأى في كل الحالات ما أبهج خاطره، وهيّج بلابله، والله تعالى أعلم.

البيت الثالث

[١٤ب] تَجْلُو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كأنَّه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلولُ

قوله: تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت، أي تجلو سعادُ عوارض ثغر ذي ظلم إذا ابتسمت. وتجلو معناه: تكشف، يقال: جلوت الخبر أي كشفته. والعوارض جمع

عارض، واختلف في معناها، فقيل: هي الأسنان كلها، وهي اثنان وثلاثون سناً: ستة عشر من أعلا، وستة عشر من أسفل، وهي أربع ثنايا: ثنتان من أعلا وثنتان من أسفـل، متوسطة بين الأسنان، وأربع رَباعيات، بفتح الراء، وتخفيف ما بعد العين: ثنتان من أعلاه وثنتان من أسفل، إلى جانب كل ثنية رباعية، وأربع أنياب: اثنان من أعلا واثنان من أسفل، إلى جانب كل رباعية ناب، وأربعة ضواحك: اثنان من أعلا، واثنان من أسفل إلى جانب كل ناب ضاحك، واثنا عشر رحى: ستة من أعـلا، وستة من أسفل الى جانب كل ضاحك ثلاث رُحِيّ وأربعة نَواجِذ، بفتح النون، وكسر الجيم، إلى جانب كل ثلاث رُحِيّ ناجذ، وهو ضرس الحلم، الذي في أقصى الأسنان. قيل: وهي الضواحك خاصة، وقيل: الضواحك والأنياب، وقيل: الضواحك والرَّباعيات والأنياب، وقيل: من الثنايا، إلى أقصى الأسنان، وقيل: من أقصى الثنايا إلى أقصى الأسنان، وذي، بمعنى صاحب، والظَلم، بفتح الظاء، هي الأسنان وبريقها، وقيل: شدة بياضها ورقتها، قال الجوهري[٥٦]: هو كالسواد داخل عظم السن من شدة البياض. والابتسام الضحك بغير صوت، وهو خلاف القهقهة. قوله [١٥أ] كأنه منهل بالراح معلول، أي: كأنّ ذلك الثغر شارب خمر مُنْهَلٌ بالراح، معلول بها. ومُنْهَل، بضم الميم وفتح الهاء «الشارب مرة أولى، والراح، بالراء والحاء، من أسماء الخمر، والمعلول، بفتح الميم وإسكان العين، الشارب مرة ثانية. والأصل في ذلك أنّ الإبل إذا وردت الماء وشربت نُحِّيَتْ عنه إلى مكان تقف فيه حتى يشرب غيرها، ثم تعود إليه فتشرب ثانياً، فيقال: شربت الإبل عَلَلاً بعد نهل.

ومعنى البيت: أن سعاد تكشف في مبسمها عن أسنان ذات ماء وبريق، وذات بياض ورقة، ولطيب ثغرها كأنه شارب راح شربت منه مرة بعد أخرى. وذلك أنه لما كانت الغُنّة وغض الطرف وكحل العين مما يستحسن في الظباء المستحسنة في جنس الوحش شبه سعاد بظبي ثم وصفه بهذه الصفات، على ما تقدم ذكره في البيت الذي قبله. ولما كان الثغر مما يستحسن في البشر دون الظبي أعاد القول به إلى سعاد، فذكر أولا السبب الموجب إلى رؤية ثغرها، وهو الابتسام، مشيرا إلى ذلك بوصفين من

٥٦- هو إسماعيل بن حماد الجوهري، ابو نصر، من أكبر ائمة اللغة. توفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م. ومن أشهر كتبه: الصحاح. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٢/٢٦٧، الرزكلي، الأعلام: ١/٣١٣. وانظر: الجوهري، الصحاح ٥/١٩٧٨.

أوصاف المدح: الصفة الأولى، طلاقة الوجه وبشاشته، إذ الشخص قد يكون في غاية الحسن والجمال الفائق ولكنه قُطْرُبُ الوجه، عبوسه، فيؤدي به ذلك إلى ذهاب بهجة حسنة ورونق جماله. وما أحسن قول السري الرفاء(٥٧)، عُفي عنه:

بروحي مَنْ ردّ التحية ضاحكاً فَجَدَّدَ، بعد اليأس، في الوصل، مَطْمَعِي

[١٥ب] وأيضا فإن طلاقة الوجه تدل على الكرم، وعبوسته تدل على اللؤم، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله:

تَلْقى الكريمَ فَتَسْتَدلُّ ببشرِهِ وتَرَى العُبُوسَ على اللئيم دليلا

الوصف الثاني، الحياء والخفر. فإنّ الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل الخفة وسقوط المروءة، ولا يليق بذوي الجلالة والخفر. ولذلك وردت الشريعة بذم ذلك والنهي عنه. وقد جاء في وصفه ﷺ أن ضحكه كان تبسما. وإلى ذلك يشير الفرزدق(٥٨) في قصيدته التي مدح بها زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، بقوله:

يُغْضِي حياءً ويُغْضى مِنْ مَهَابتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حينَ يَبْتَسِمُ

فجعل التبسم غير قادح في الحياء، ولا مزيلاً للمهيبة، وغايته الطلاقة والبشر، كما قيل في ذلك:

٥٧ـ هو السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن. شاعر وأديب من الموصل. عمل بالتطريز في صباه فعرف بالرفاء. توفي ببغداد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٢٠٨/٤. الزركلي، الأعلام: ٨١/٣ وانظر البيت في الديوان: ١٧٠، وهو كما يلي:
بنفسي من رد التحية ضاحكا فجدد فيه بعد يأسي مطمعي

٥٨ـ هو همام بن غالب بن صعصعة المعروف بالفرزدق، توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين ١٥٢/١٣، الزركلي، الأعلام: ٩٣/٨. وانظر البيت في الديوان: ١٧٩/١.

بِطَلاقـةٍ أبـدت بصـفـحـةِ خَدِّه   وضـح الـصـبـاح لمن له عينـان

ثم لما ذكر أنّ ثغرها ينكشف ويبدو عند ابتسامها وصفه بأنه ذو ظلم. فإن فسرنا الظلم بماء الأسنان وبريقها كان المدح لها من وجهين: الأول، أنّ ماء الأسنان من الأوصاف المستحسنة، وما زال المحبون تستعذبه، والعشّاق تستلذ به وتستطيبه، ولله در القائل:

أهـيمُ إلى الـعـذبِ من ريقـهِ   إذا هَيَّمَ الـعـاشـقـينَ الـعُـذَيْبُ
شهـدتُ عليه ومـا ذُقْـتُـهُ   ولـكـن عنـدي من الـغـيبِ غيبُ

[١٦أ] الوجه الثاني، أنّ بريق الأسنان مما يمتدح به ويرغب إليه، وقد جاء في وصفه ﷺ، برّاق الثنايا. وما أحسن قول النميري(٥٩) في ذلك، رضي الله عنه:

كأنَّ ومـيضَ الـبرقِ بيني وبـينهـا   إذا كان من بعض البيوت ابتسـامُهـا

وإذا فسرنا الظلم برقة الأسنان وشدة بياضها كان المدح به من وجهين: الوجه الأول، أنّ رقة الأسنان مما يستحسن في الإنسان، ويعد من أوصاف الجمال، وقد قيل: يستحسن في المرأة رقّة أربعة: سنها وخصرها وأنفها وبنانها، وغلظ أربعة: ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنا لك، وسعة أربعة: جبينها وجبهتها وعينها وصدرها، وضيق أربعة: فمها ومنخرها ومنفذ أذنها وما هنا لك، وطول أربعة: أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها، وقصر أربعة: يدها ورجلها ولسانها وعينها، بمعنى أنها تقصر يدها عن بذل ما في بيتها، ورجلها عن الخروج منه، ولسانها عن الاستطالة به، وعينها عن ما في يد غيرها.

الوجه الثاني، أنّ بياض الأسنان مما يستحسن في الإنسان، وتتطلع إليه النفوس، وتنبعث إليه الخواطر، ولله در القائل:

---

٥٩ ـ هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل، أو أبو نوح. من فحول الشعراء المحدثين. لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٩م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٤/١٨٨ ـ ١٨٩. ولم أعثر على البيت في الديوان.

روحي الفـداء لثغـرٍ راق مبسمـه وزانـه شَنَـبٌ ناهـيك من شَنَـب
يفـتر عن لؤلـؤٍ رَطْـبٍ وعـن بَرَدٍ وعـن أُقَـاحٍ وعـن طلْعٍ وعـن حَبَبَ

فشبه ثغرها باللؤلؤ لشدة بياضه ونقاءه، ففيه دلالة على [١٦ب] وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب إليه: الأول، حداثة السن، فإن الإنسان كلما طعن في السن تغير لون أسنانه من البياض إلى الصفرة أو الخضرة. الثاني، النظافة، لأن تغير الأسنان إنما يصدر عن ترك السواك، وعدم تعهد الأسنان، وقد روي أن بعض السلف رأى امرأته وهي تخلل أسنانها فطلقها، فسألَتْه عن ذلك فقال: إنْ كان شيء بقي من فضلة عشائك بين أسنانك فأنت قذرة، وإنْ كان عن غداء استعجلتيه ليومك فأنت شرهة، وكانت صالحة فقالت: إنما ذلك لنفاثة من السواك تخللت أسناني، فساءه ذلك. وما أحسن قول الشيخ شرف الدين البوصيري[٦٠]، رحمه الله تعالى، في قصيدة يهجو بها النصارى، مشيرا إلى خضرة أسنانهم:

مُقلحـَـة أسنانهـم فكـأنّمـا
أصابهـا الـريحـان أحجار كهرباء

ولما وصف ثغرها بأنه ذو ظَلْم، على ما تقدم، شبهه بشارب راح، شرب منه مرة بعد أخرى. وهو يحتمل تأويلين: الأول، أن يريد أن ريقها امتزج بالراح، واختلط به، واكتسب من معانيها، وصار شبيها بها، وإلى ذلك يشير بعضهم، رضي الله عنه، بقوله:

تُديرُ لنـا مراشِـفُـهـا عقـاراً قريبَ العَهْـدِ من كأسٍ يُدارُ

ثم يحتمل أنه يريد أنّ في فمها طعم الخمر، كما قال بعضهم:

إذا ذُقْتُ فاهـا قُلْتُ: طعمّ مدامـةٍ مُعَـتّـقـةٍ مما تَجيءُ بهِ الـتُّـجْـرُ

٦٠ ـ هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر. توفي سنة بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٠/٢٨، الزركلي، الأعلام: ٦/١٣٩. ولم أعثر على البيت في الديوان.

ومعنى التجر جمع تجّار، ككتب جمع كُتّاب. ويحتمل أنْ يريد هما جميعا، أي أنّ فيه [١٧أ] رائحة الخمر، كما قال بعضهم، رضي الله عنه:

لنكهتُها يحكي المدامةَ ريقُها وكالشّهد بل أحلى من الشّهد ريقُها

ويحتمل أنْ يريدهما جميعا. الوجه الثاني، أنْ يريد أنّ ريقها نفسه في معنى الخمر، وعلى ذلك مدار أكثر الشعراء في أشعارهم، ولله در القائل:

والله ما أدري لأيّةِ علةٍ يدعون هذا الرُّوحَ باسمِ الرَّاح؟
ألِريحها أم رُوحها أم رَوْحها أم لارتياحِ نديمِها المرتاح؟

فإن قيل: كيف ساغ أنْ يتغزل في مثل هذه القصيدة بذكر الخمر التي هي أم الخبائث مع كون تحريمها سابقا على إسلامه، فإن تحريم الخمر في سنة ثلاث من الهجرة، وإسلامه بعد منصرف النبي ﷺ من الطائف في سنة ثمان؟ فالجواب: أنّه جرى في ذلك على عادة العرب في أشعارهم مع قرب عهده بالإسلام، كما تقدم في الكلام عن التغزل في المرأة. وإذا تعرض لذكر الراح ومتعلقاتها في هذا البيت، والذي بعده، فلا بد من متابعته على ذلك وإيراد ما ترجع إليه معاني كلامه في مثل الأديب الذي يخوض في كل فن. وقد حكى الحريري[٦١] في درة الغواص عن حماد بن العباس أنه سأل علي بن عيسى، في ديوان الوزارة، عن دواء الخُمار؟ فأعرض عن كلامه وقال: ما أنا وهذه المسألة! فخجل حماد منه، ثم التفت إلى قاضي القضاة أبي عمر فسأل منه عن ذلك، فتنحنح القاضي لإصلاح [١٧ب] صوته ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٦٢]. وقال رسول الله ﷺ: استعينوا على

٦١ـ هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، صاحب المقامات، ولد بالمشان، وتوفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م. له درة الغواص في أوهام الخواص. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٠٨/٨، الزركلي، الأعلام: ١٧٧/٥. وانظر: الحريري، درة الغواص: ١٢٢، وقد ورد فيها: «عن حامد بن العباس».

٦٢ـ من الآية رقم ٧ من سورة الحشر، وتمامها: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

كل صنعة بصالح من أهلها[٦٣]. والأعشى[٦٤] هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال:

وكـأسٍ شَرِبْـتُ على لذةٍ وأخـرى تداويتُ منهـا بها

ثم تلاه أبو نواس[٦٥] فقال:

دَعْ عَنْـكَ لومـي فإنّ الـلوم إغـراءُ وداوني بالـتي كانـت هي الـدّاءُ

فأسفر حينئذ وجه حماد وقال: ما ضرك يا بارد لو تجيب بما أجاب به القاضي؟ وقد استظهر في الجواب عن المسألة بقول الله أولا، ثم بقول الرسول ﷺ ثانيا، وبيَّن الفُتْيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة. فكان خجل على بن عيسى من حماد بهذا الكلام أكثر من خجل حماد منه لما ابتدأ بالمسألة، والله تعالى أعلم بالصواب.

البيت الرابع

شُجّـت بذي شَبَـمٍ من ماء مَحْنِيَـةٍ صافٍ بأبطَحَ أضحَى وهـو مَشْمُـول

قولـه: شجت بذي شبم من ماء محنية صاف، أي شجت تلك الراح بماء ذي شبم. من ماء محنية صاف عن الكدر، أي مزجت مزجا يكسر سؤرتها. والأصل في الشج الشق والكسر، ومنه الشجاج في الرأس، وذي، بمعنى صاحب، كما في البيت الذي قبله. والشبم، بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة، شدة البرد. والمحنية، بفتح

---

٦٣ ـ انظر: الحريري، درة الغواص: ١٢٢.

٦٤ ـ الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير. أحد شعراء المعلقات. توفي سنة ٧هـ/ ٦٢٩م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/ ٦٥، الزركلي، الأعلام: ٧/ ٣٤١. وانظر: الديوان: ٢٤.

٦٥ ـ أبو نواس هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمي ولاء، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد وتوفي فيها سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٠، والزركلي، الأعلام: ٢/ ٢٢٥. وانظر: الديوان: ٧.

الميم وإسكان الحاء وكسر النون وفتح الياء آخر الحروف بعدها تاء التأنيث، ما انعطف من الوادي، أخذا من قولهم [١٨أ]: حنوت القوس إذا عطفته بالأوتار، والصافي خلاف الكدر. قوله بأبطح أضحى، ذلك الماء، وهو مشمول، والأبطح، مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى. ومنه سمّي مسيل مكة أبطح. وأضحى أي دخل وقت الضحى. والمشمول، بفتح الميم وإسكان الشين، الماء الذي ضربته ريح الشمال حتى برد، ومنه قيل: خمرة مشمولة، إذا كانت باردة الطعم.

ومعنى البيت: أنّ الماء الذي مزجت به تلك الراح بارد صاف، أُخذ من منعطف الوادي في مسيل واسع، تربته دقاق الحصى، وكان أخذه منه وقت الضحى، بعد أن ضربته ريح الشمال حتى برد، وذلك أنّه لما شبه ثغرها بمنهل معلول بالراح، على ما تقدم في البيت الذي قبله، شرع في وصف الراح التي شبه الثغر بها، فوصفها أولا، بأنّها مُزِجت بالماء. واعلم: أن الخمر إذا بقيت على صرافتها من غير خلط ماء بها قيل: صرف، فإن صبّ عليها ماء قيل: مُزِجَتْ، قَلّ المزج أو كثر، فإن كان بحيث رققها ولطفها ولم يكسر سؤرتها قيل: شُعْشِعَتْ، فإن زيد على ذلك حتى كُسرت سؤرتها قيل: شُجّتْ، فإن زيد على ذلك حتى ذهبت قوتها قيل: قُتِلتْ. وقد اختلف ندماؤها:

هل الأولى شربها صرفا أو ممزوجة؟ فذهب قوم إلى اختيار الصرف، وإلى ذلك يشير حسان بن ثابت[٦٦]، رضي الله عنه، بقوله: في الجاهلية، شعرا:

إنَّ التي ناولْتَني فَرَدَدْتُها ... قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فهاتِها لم تُقتلِ
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ

أنه ردّ الكأس على ساقيها حيث قتلها بالمزج بقوله: إنّ التي ناولتني فرددتها قتلت، ثم دعا عليه لكونه قتلها بالمزج بقوله: قُتِلْتَ، ثم [١٨ب] طلبها صرفا بقوله: فهاتها لم تقتل، ثم سوّى بين الصرف والممزوجة في الرجوع إلى أصل واحد، وهو العصير،

٦٦ ـ هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول ﷺ. توفي سنة ٥٤هـ/٦٧٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/١٩١، الزركلي، الأعلام: ٢/١٧٥. وانظر: الديوان: ١٨١.

بقـولـه: كلتـاهما حلب العصير، ثم طلب أشدهما تأثيرا في السكر بقوله: فعاطني بزجـاجة أرخاهما للمِفْصَل، بكسر الميم وفتح الصاد، يعني اللسان، سمي بذلك لفصله بين الحق والباطل. وأصرح منه في المقصود قول الآخر:

واصْرِفْ، بصرف الرّاح، عنك الأسَى   وصرِّف الهـم ولا تكـتئـب

والأشعار في ذلك كثيرة، خارجة عن الحصر. وذهب آخرون إلى اختيار المزوجة، إلا أنّ الشعراء لم يستعملوه إلاّ على سبيل الوصف، كما في قوله في بيت القصيدة: شجت بذى شبم، وكقول أبي نؤاس، مصراع:

وحمراءُ قبل المزج، صفراءُ بعده(٦٧)

وقول الشيخ شرف الدين بن الفارض، رحمه الله، شعرا:

لها البدرُ كأسٌ، وهي شَمْسٌ يُدِيرها   هِلالٌ، وكمْ يبـدو، إذا مُزِجَتْ، نجمُ(٦٨)

وما أحسن قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في قصيدته الميمية، جامعا بين المذهبين، وحاويا لكل الطريقتين، شعرا:

عليك بها صرْفـاً، وإن شئت مَزْجَهَـا   فعـدلُـكَ عن ظَلْمِ الحبيبِ هو الظلْمُ(٦٩)

فإن قيل: لأي معنى اختـار ذكـر المزوجة في كلامه على الصرف حيث قال: شجت؟ فالجواب من وجهين: الوجه الأول، أنّ الصرف، من حيث الطب، حار

---

٦٧ ـ حمراء صفـراء عنـد المـزج تحسبهـا   كالـدر طوقـهـا نظم من الحـبـب
كذا البيت في الديوان: ٤٩، وورد بيتان آخران في نفس المعنى:
وصـفــراء قبــل المـزج، بيضـاء بعــده   كأن شعـاع الـشـمس يلقـاك دونها
ص ٢٥٩.
صفـراء كرخـيه حمراء إذ مرجـت   كأنها وجـل يعـلوه لونـان
ص ٦١٥.

٦٨ ـ الديوان ١٤٠. وعن ابن الفارض انظر: الحاسية رقم ٢٨.
٦٩ ـ الديوان ١٤٣، وعن ابن الفارض انظر: الحاشية رقم ٢٨.

يابس، والممـزوجة حار رطب، فالمزج ينقلها من اليبوسة إلى الرطوبة، ويردها إلى التعـديل بعـد الإفـراط. الثـاني، أنّ الصرف قد يؤدي إلى زوال الشعـور وذهاب الإحساس [١٩أ] فيصير إلى حيث لا يدري ما يقال عنده، ولا يدرك ما يجري في مجلسه، فيذهب بذلك نشوتها، وتبقي خمارها، ويرجع شاربها من حال اليقظة إلى حال النوم، ومن الصحة إلى حال يشبه الموت. فإن قيل: لم خُصَّ بالشج دون سائر إنـواع المزج المتقدمة؟ فالجواب أيضا من وجهين: الأول، أنّ الشجّ أعدل حالات المزج، والشعشعة لم تنته إلى حد كسر سؤرتها لمقارنتها الصِّرف، في أفعالها، والقتل يذهب سؤورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها. والشج يذهب حدّ السؤرة، وتبقى منها بقية، تحصـل منهـا النشـوة. الثـاني، أنّ بين الشـجّ في الرأس والشج في الكأس منـاسبتـان: ظاهرة وخفية، فأمّا الظاهرة فهي أنّ شج رأس الكأس يوجب خروج الحبـاب منه، وظهوره على سطحه، كما أنّ شج رأس الإنسان يوجب خروج الدم منها، وظهوره على سطح الجلد، وإلى هذا المعنى يشير عكاشة الأعمى[٧٠] بقوله شعرا:

وإذا المـزاج علا فَشَـجَّ جبـينهـا نفـثـت بألسـنـة المـزاج حبـابـا

وأما الخفي، فهو أن أعلا الشجاج في الرأس الموضحة، وهي أنْ توضح العظم. فالواجب فيها خمس من الإبل، ثم إنْ كانت عمداً أُقتص فيها من الجاني، فإن عفا فيهـا على الـدية وجب الخمس من الإبل عليه، وإنْ كانت خطأ، أو شبه عمد، تحملتها العاقلة عنه، كما يتحمل دية النفس في الخطأ. والكأس في يد النديم يعقله بأصابعه الخمس، بمعنى أنه يمنعه من الحركة ونحوها. والعَقْل في أصل اللغة المنع، وبه سميت العاقلة، لمنعها الجاني عن الوقوع في مثل هذه الجناية. وإلى هذا المعنى يشير الشيخ صدر الدين بن الوكيل[٧١] الشافعي يقوله [١٩ب] شعرا:

---

٧٠ ـ هو عكـاشـة عبـد الصمـد العمي، أحـد فحـول الشعـراء في العصر العباسي توفي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٤/ ٢٤٤.

٧١ ـ هو محمـد بن عمـر بن مكي، صدر الـدين، المعـروف بابن الـوكيل: شاعر، توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٧م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين ١١/ ٩٤، الزركلي، الأعلام: ٦/ ٣١٤.

ما الكأس عندي بأطرافِ الأناملِ بل بالخمس تُقبض، لا يحلو لها الهَرَبُ
شجّجت بالماء منها الرأس موضحة فحين أعقلها بالخمس لا عجب

ثم إنه لما ذكر أنها مُزجَت بالماء وصف الماء الذي مُزجت به بستة أوصاف: الوصف الأول، كونه ذا شبم، وهو الشديد البرد، على ما تقدم تفسيره، وذلك أنّ البرد في الماء مما يستطاب به شرب الماء القراح ويستعذب، وقد ورد في الحديث: خير الماء الشبم(٧٢)، يعني البارد، فإذا مزجت الخمر به كانت أطيب وألذّ. كما في الماء ضرورة، وإلى ذلك يشير نصيب(٧٣) شعرا بقوله:

كأنّ على أنْيابِها الخمرَ شابها بماء النَّدَى من آخرِ الليلِ غابقُ

وذلك أنّ الماء آخر الليل يكون قد برد، خصوصا ماء الندى، فإنه في تلك الساعة ينزل، وأكثر ما يكون في زمن البرد. واعلم: أنّ ما ذكره من وصف ماء المزج بالبرد جرى فيه على الغالب. وربما وقع في كلامهم مزجها بالماء الحار، كما أشار إليه عمرو بن كلثوم(٧٤) بقوله:

مشعشعةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالَطَهَا سَخينا

قال أبو عمرو الشيباني(٧٥): كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء. والحص في البيت،

---

٧٢ ـ انظر: السيوطي، الجامع الصغير: الحديث رقم ٤٠٣٠، وهو عنده ضعيف.

٧٣ ـ هو نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، من فحول الشعراء الأمويين. برع في النسيب والمدح، والأرجح أنه توفي سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٨/٣١-٣٢. وانظر: شعر نصيب بن رباح: ١٠٨.

٧٤ ـ هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، أبو الأسود، أحد شعراء المعلقات. توفي سنة ٤٠ ق. هـ/٥٨٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٨/١١، الزركلي، الأعلام: ٥/٨٤. وانظر: شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس: ٢/٦١٥.

٧٥ ـ هو إسحاق بن مرار الشيباني، الكوفي، أبو عمرو، من أبرز علماء اللغة والشعر والحديث. من رمادة الكوفة، سكن بغداد ومات فيها سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م. من أشهر مؤلفاته: كتاب اللغات وكتاب النوادر وكتاب الخيل وغريب الحديث. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: =

بضم الحاء وبالصاد المهملتين، الوَرْسُ، وقيل: الزعفران، جعل أنّ الماء إذا خالطها سُخْنا أثار منها رائحة طيبة. ولعل ذلك كان يقع بهم في البرد الشديد الذي تجمد فيه الخمر لشدته، فإذا وضع [٢٠أ] الماء السخن فيها لطفها ورققها. بخلاف البارد فإنها تزيد جمودا إلى جمودها. وإلى هذا المعنى يشير القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى، واصفا لشدة البرد في ليلة قد جمد خمرها، وخمد جمرها إلى يوم تود البصلة لو زادت قميصا إلى قُمْصِهَا، والشمس لو جرّت النار إلى قرصها، ولله در القائل:

ويوم يودّ الطيرُ من بردٍ به   لو ذاق حَرَّ النار والسّفودا
وإذا رميتَ بفضل كأسكَ في الهوى   رَجَعَتْ عليكَ من السُّلافِ عُقودا

الوصف الثاني، كونه من ماء محنية، وهو ما انعطف من الوادي، على ما تقدم، قال أبو السعادات بن الأثير في نهايته[٧٦]:

وإنما خَصَّ ماء محنية بالذكر لأنّه يكون أصفى وأبرد وكأن المعنى فيه: أن الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتبرده، كما أشار إليه في آخر البيت بقوله: وهو مشمول. وإنْ كان فيه قذى أزالته، كما أشار إليه في البيت الذي يليه بقوله: تنفي الرياح القذى عنه، على ما سيأتي بيانه. الوصف الثالث، كونه صافيا وهو المراد بقوله: صاف، وذلك أنّ الماء إنما يصفو لخلوصه عما يخالطه من أجزاء الارض، فإذا كان صافيا ومُزِجَت به الخمر لا يكدرها، بخلاف ما إذا كان كدراً فإنه يكدرها بمخالطته لها، ويخرجها عن وصف الصفاء المطلوب فيها. الوصف الرابع، كونه أبطح، وهو المسيل الواسع الذي تربته دقاق الحصى، على ما تقدم بيانه، فباتساعه يكون مضنته الكثرة،

= ٢٣٨/٢، الزركلي، الأعلام: ٢٩٦/١. وانظر: شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس: ٦١٥، في شرح البيت الثاني من معلقة عمرو بن كلثوم.

٧٦ ـ هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين، المعروف بابن الأثير الجزري. عالم باللغة والأدب والتفسير والحديث والفقة وغيرها. ولد في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل وتوفي فيها سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م. له مؤلفات أشهرها: النهاية في غريب الحديث وجامع الأصول في أحاديث الرسول. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٧٤/٨، الزركلي، الأعلام: ٢٧٢/٥. وانظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث: ٤٥٥/١.

ويكون تربته دقاق الحصى يكون مضنته الصفاء. الوصف الخامس [٢٠ب]: كونه أخذ في وقت الضحى، وهو أولى وقت يستسقى فيه الماء لقرب عهده من آخر الليل، فيكون الماء فيه بارداً، بخلاف ما بعد ذلك من أوقات النهار التي يشتد فيها حر الشمس إلى آخر النهار وأوائل الليل تبقى فيها آثار حر النهار. الوصف السادس، كونه مشمولا، وهو الذي ضربته ريح الشمال حتى برد، لأنّ المطلوب فيه البرد، كما تقدم.
فإنْ قيل: لم خص ريح الشّمال بالذكر دون غيرها؟ فالجواب: أنّ ريح الشّمال أشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح، خصوصا بأرض الحجاز، لرقتها ولطافتها، وغيرها من الرياح ليس كذلك، بل ربما هلنت بعض الرياح على الماء فسخن بمرورها عليه.
وسيأتي ذكر أنواع الرياح في البيت الذي يليه عند قوله: تنفى الرياح القذى عنه، إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

البيت الخامس

تنفى الرياحُ القَذَى عنه وأفْرَطَه   من صوبِ ساريةٍ بِيضٍ يَعاليلُ

قوله: تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه، أي تنفي الرياح القذى عن ذلك الأبطح.
وقوله: تنفى أي تطرد، يقال: نفاه أي طرده. والرياح جمع ريح. قال الإمام فخر الدين[٧٧]: والريح عبارة عن هواء يتحرك. قال: وكونه متحركا ليس لذاته وإلا لدامت الحركة بدوام ذاته. فلا بد وأن يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله، سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾[٧٨] وزعم الفلاسفة: [٢١أ] أنّ سبب ذلك ارتفاع أجزاء دخانية لطيفة من الأرض قد سخنت تسخينا شديدا، وسبب

---

٧٧ - هو محمد بن عمر الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، ولد بالري وإليها نسب وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م. أكبر أئمة زمانه في علوم العقل والنقل ومن مؤلفاته الكثيرة: أسرار التنزيل، والمحصول في علم الأصول. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١/٧٩، الزركلي، الأعلام: ٦/٣١٣.

٧٨ - من الآية رقم ٤٨ من سورة الروم، وتمامها ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾.

تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فإذا وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بعنصر الفلك متحركا على استدارات الفلك المستدير التي جعلت لتلك الطبيعة من الهواء يمنع نفوذ الأدخنة، فتتفرق في الجوانب، وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح. وهو مردود بأجوبة ليس هذا موضع ذكرها. ثم أصول الرياح أربعة: الأولى، الصَّبا، وتسمى القَبول، بفتح القاف، لأنها تقابل بهبوبها المشرق، وتأتي من مطلع الشمس. قال أبو جعفر النحاس[٧٩]: وهي التي تسميها أهل مصر: الشرقية، لأنها تأتي من المشرق. الثانية، الدَّبور، وهي التي تأتي من مغرب الشمس، سميت بذلك لأنّ من استقبل المشرق استدبرها، وأهل مصر يسمونها: الغربية، ومهبها من مغرب الشمس إلى حد القطب الأسفل، وهو الجنوبي، الثالثة، الشَمال، بفتح الشين، سميت بذلك لأنّها عن شمال مَنْ استقبل المشرق، قال أبو جعفر النحاس: ويقال لها: البحرية، لأنّه يسار بها في البحر على كل حال، والاسم الذي ذكره يعرف عند المصريين. والعامة منهم يعتقدون أنّها سُميّت بذلك لهبوبها عليهم من جهة البحر، ومهبها من خط القطب الشمالي إلى مغرب الشمس. الرابعة، الجنوب، وهي التي يسميها المصريون: القبلية، وعامتهم يعبرون عنها بالمرسي، لأنها تهب من بلاد المرس، وهم طائفة من السودان حسان الوجوه، ومهبها من حد القطب الأسفل إلى مطلع الشمس. وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها: النكباء. سميت بذلك لأنها نكبت عن مهب تلك الرياح [٢١ب] الأربع، أي عدلت عنها، ولأهل البحر والملاحين في ذلك المعرفة التامة، وهم كما يقال: علم نفيس في جنس خسيس.

والقذى، بفتح القاف والذال المعجمة، ما يسقط في العين والشراب، والمراد هنا ما يقع في الماء مما يشوبه ويكدره. قوله: وأفرطه مِنْ صوب سارية بيض يعاليل، أي: وأفرط ذلك الأبطح بالماء بيض يعاليل من صوب سارية. وقوله: وأفرطه يعني ملأه ملئاً خارجا. وأصل الإفراط الزيادة في الشيء، ومجاوزة الحد. والمراد هنا: أنّ البيض اليعاليل، على الخلاف الآتي في تفسيرها، قد ملأت ذلك الأبطح بالماء، حتى خرج

٧٩ ـ هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس. عالم بالتفسير والأدب. ولد بمصر، وتوفي فيها سنة ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م. من أبرز مؤلفاته: تفسير القرآن واعراب القرآن، وتفسير أبيات سيبويه وناسخ القرآن ومنسوخه وشرح المعلقات التسع. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٢/ ٨٢، ٨/ ٢٣٤، ١٣/ ٣٦٧، الزركلي، الأعلام: ١/ ٢٠٨.

في امتلاءه عن الحد. والصوب، في كلامه، بمعنى المطر، والسارية، تحتمل معنيين: الأول، أنْ يريد من صوب سحابة سارية، وهي التي تأتي بالليل، أخذا من السُّرى، وهو سير الليل، يقال: سرى يسري، إذا سار ليلاً، وقد سارت على السحابة حتى صارت علماً عليها لا يفهم منها عند الإطلاق في كلام العرب عند ذكرها غيرها. الثاني، أنْ يريد من صوب سحابة سارية، على معنى الجمع، ويكون المراد السحب التي تأتي في الليل. وقد أختلف في معنى البيض اليعاليل، فقيل: البيض الجبال، واليعاليل الشديدة البياض، وهو الظاهر الذي يرشد إليه المعنى. ويكون البيض الجبال، على ما تقدم، اليعاليل التي منها الماء مرة بعد أخرى أخذا من العلل، وهو الشرب مرة بعد مرة، كما تقدم في البيت قبله. وقيل: البيض الجبال، واليعاليل المرتفعة، وقيل: البيض السحب، واليعاليل التي تجيء مرة بعد أخرى. ورد بأنه يصير التقدير: وأفرطه سحب يعاليل من صوب سحابة سارية. ويكون المعنى: أنّ السحب البيض [٢٢أ] التي ملأت الأبطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة السارية، وذلك يؤدي أن بعض السحب تستمد المطر من بعض، وهو خلاف المراد، وغير الواقع. بل السحب لا تكون بيضاء إلاّ إذا كانت خالية من المطر، وأمّا إذا كانت حاملة للمطر فإن لونها يكون أغبر.

ومعنى البيت: أنّ الرياح عند صبوبها تطرد ما بذلك الأبطح الذي أخذ منه الماء المشجوج به الراح، المشبه بها ثغر سعاد، حتى لم يبق به ما يكدره. وجاءت سحابة أو سحب بالليل فأمطرته حتى امتلأ وفاض، فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة. وذلك أنّه لما وصف الماء الذي شجت به الرياح، في البيت الذي قبله، بما يرجع حاصله إلى الكثرة والبرودة والصفاء، على ما تقدم تقديره هناك، أتبعه في البيت بما يؤكده، فوصفه بخمسة أوصاف: الوصف الأول، نفي القذى عن الأبطح الذي فيه الماء وهو محتمل معنيين: الأول، أنْ يكون نفذي القذى عنه قبل وجود الماء فيه، بمعنى أنّ الرياح تهب عليه فتنسف ما فيه من تراب ونحوه، مما يكدره إذا نزل عليه الماء، فلا يبقى فيه إلاّ دقاق الحصى، التي هي أصل تربته، فلا يجد الماء عند حلوله فيه ما يكدره، فيبقى على صفاءه. الثاني، أنْ يكون نفي القذى عنه بعد وجود الماء فيه، بمعنى أنّ الرياح تهب على الماء، وهو في الأبطح فتقذف ما على وجهه مما كان في الأبطح [قبل وجود الماء فيه فطفا على وجه الماء، أو سقط في الماء بعد حصوله في

الأبطح][80] فتطرده إلى شاطىء الوادي. والمعنى الأول أبلغ في الصفاء لعدم ملاقات القذى للماء جملة، وهو أقرب إلى مراد الناظم، رضي الله عنه. الوصف الثاني، الزيادة والكثرة وهو المراد بقوله: وأفرطه، لأن الماء قد يكون بارداً صافيا [٢٢ب] ولكن فيه ما يستقذر مما لا يغيره ولا يكدره، كعظم الميتة ونحوه، فإذا كان كثيرا لا يتأثر بذلك، ولم تعف النفس شربه، ولذلك قال النبي ﷺ: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً[81]، إشارة إلى أنّ ما دون القلتين يتأثر بالنجاسة وغيرها، وإنْ لم يتغير. الوصف الثالث، كونه من ماء المطر، وهو المراد بقوله: من صوب، على ما تقدم تفسيره، فإنْ قيل: لِمَ خصَّ ماء المطر دون غيره من المياه؟ فالجواب من خمسة أوجه: الأول، أنّ الغالب في أرض الحجاز ماء المطر ومنه تمتلىء الجبال والأودية، وتستمد العيون، فتجرى في ذلك على الغالب في أرضه، وهو الأقرب إلى مراده. الوجه الثاني، أنْ يكون ماء المطر مشتملا من أصله على وصفين هن أوصاف الماء المطلوبة فيه وهما الصفاء والبرودة، أما الصفاء فلأنه ليس في السحاب ما يكدره، وإنما تطرأ عليه الكدورة بعد ذلك مما يصيبه من أجزاء الأرض بخلاف المياه الأرضية فإنها مخالطة لأجزاء الأرض من أصلها، وأما البرودة فلأن ماء المطر ينزل من السحاب باردا، وإنما تطرأ عليه السخونة بعد ذلك لما يصيبه من حر الشمس وحرارة الأرض. وما أحسن قول بعضهم يرثي شيخه، وقد أمطرت السماء في اليوم الذي مات فيه:

بكت السماءُ عليه يوم مماتِهِ ... بمدافعٍ كاللؤلؤ المنثورِ
وأظنها مُزِجَتْ بمصعدِ روحِهِ ... لما سمَتْ وتعلقت بالنورِ
أَوَ ليس دَمْعُ الغيثِ يهمي بارداً ... وكذا تكون مدامعُ المسرورِ

الثالث، أنّ المطر أفضل من غيره من المياه، ولذلك وردت [٢٣أ] السنة بأن يكشف الإنسان ما سوى عورته لأول مطر العام لصبيه. وقد جاء أنّ الرياح تحمل الماء من السماء فتصبه في السحاب فيمطر منه. وعليه قُرِىء في الشواذ ﴿وأنزلنا ماء

---

٨٠ ـ ساقطة من «ك». وفي «ب»: بعد قوله: «وهو محتمل معنيين».
جعل البند الأول البند الثاني، وجعل البند الثاني البند الأول.
٨١ ـ أبوداود: الطهارة: ٣٣، الترمذي: الطهارة/ ٥٠، النسائي: الطهارة/ ٤٣. الدارمي: الوضوء/ ٥٥، ابن حنبل: ٢/ ١٢، ٣٨.

المعصرات ماءً ثَجاجاً﴾ تفسير للمعصرات بالرياح دون السحاب وإن كان الأكثرون على تفسير المعصرات بالسحاب وعليه قراءة السبع: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾.[82] الرابع، قيل: إنّ الماء الذي ينبع من الأرض هو الذي من السماء، إحتجاجا بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[83] وحينئذ يكون ماء السماء هو الأصل وماء الأرض نوع منه.

الخامس، قيل: إن ماء المطر أخف، وذلك أنّ الفلاسفة تزعم أنّ ماء المطر من أبخرة متصاعدة من البحر، على ما هو مقرر عند الطبيعين، ولا يتصاعد من الماء إلا ما هو أخف وألطف، وإلى هذا المعنى يشير بعضهم في الاعتذار عن هدية أرسل بها الي من عَمَّهُ برّه بقوله شعرا:

كالبحر يمطره السحابُ وماله فضل عليه لأنه من مائه

الوصف الرابع، كونه من سحابة أو سحب أتت بالليل، وهو المراد بقول: سارية، على ما تقدم، وذلك أنّ السحاب إذا أتت ليلا بقي المطر على أصله في البرودة فإذا أخذ من صبيحة تلك الليلة كان في غاية من البَرْد، وهو من أكد المطلوب فيه، وإن جعلنا سارية وصفا لسحب على معنى الجمع كان فيه معنى الكثرة أيضا، فيكون مؤكدا لمعنى قوله: وأفرطه، خصوصا إذا فسرنا يعاليل بالتي تأتي مرة بعد أخرى. الوصف الخامس، كونه ينزل من السماء قبل مصيره[84] إلى الأبطح على جبال بيض صافية ليس عليها ما يكدر الماء إذا وقع عليها [٢٣ب] وهو المراد بقوله: بيض يعاليل، على أقوى التفاسير المتقدمة. وخص الجبال المذكورة بنزوله عليها قبل نزوله إلى الأبطح الذي هو مقره، لأن الجبال على صفائها لا ينفصل منها شيء بوقوع المطر عليها، بخلاف الأبطح فإنه ربما أثار المطر تربته بشدة وقعه عليه. ثم إنْ فسرنا يعاليل بالشديدة البياض كان مبالغة في صفاء الماء الذي ينزل عليها، لغلبة الصفاء عليها، وإن فسرناها بالتي تأتي مرة بعد أخرى، كان مبالغة في الكثرة، وكلاهما من الأوصاف

٨٢ـ سورة النباء/ ١٤.

٨٣ـ من الآية رقم ١٨ من سورة «المؤمنون»، وتمامها ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾.

٨٤ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: «قبل خضرته».

المستحسنة في الماء. وإنْ فسرناها بالمرتفعة كانت مبالغة في الصفاء أيضا، وذلك أنه إذا كانت مرتفعة كان هبوب الرياح عليها أشد، فربما نسفت مابها من تُربة إن كانت، فتبقى على نقائها وصفائها، والله تعالى أعلم بالصواب.

البيت السادس

أكــرِمْ بها خُلَّةً لو أنَّها صَدَقَــتْ مَوْعُــودَهـا أو لو أنَّ النُصْـحَ مَقْبُـولُ

قوله أكْرِمْ بها خلّة لو أنها صدقت موعودها، الخ، أي أكرِم بسعاد. ومعناه: ما أكـرمها، كما في قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾[٨٥] أي ما أسمعهم وأبصرهم في ذلـك اليوم، ثم أكرم في كلامه يحتمل معنيتن: الأول، وهو الأقرب لمراده, أن يريد كرم الحسب والشرف وطيب الأرومـة، الثاني، أن يريد به خلاف [٢٤أ] البخل وهو الجود، وهو المتبادر إلى أفهام العامة. والخُلّة، بضـم الخاء وتشديد اللام ويعدها تاء التأنيث الخليلة، وهي الصديقة. ويروى: فيالها خلة، بدل أكرم بها خُلَّة. أي فيا قوم أعجبو لها خلة. ويُروى أيضا: ياويحهاخُلة. وويح كلمة تقال لمن وقع في هَلْكَة لا يَستحقها فيرثى له رحمة، كما في قوله ﷺ: وَيْحَ عمار تقتله الفئة الباغية[٨٦] ويروى: يا ويلها خُلَّة. وويل كلمة لمن يستحق الهلكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾[٨٧]. ولو في كلامه يحتمل معنيين: أحدهما، أن يكون للمتمني، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[٨٨] ويكـون المعنـى فيهـا: فياليْتَها صـدقت موعودها لكانت خلـة كريمة أو لـو صدقت موعودها لتمت

٨٥ ـ من الآية رقم ٣٨ من سورة مريم، وتمامها ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ظلال مبين﴾.

٨٦ ـ البخاري: الصلاة/٦٣، مسلم: الفتن/٧٠، ٧٢، ٧٣، الترمذي: المناقب/٣٤، ابن حنبل: ٢/١٦١، ١٦٤، ٢٠٦.

٨٧ ـ من الآية رقم ١٧ من سورة الأحقاف، وتمامها ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إنّ وعد الله حق فيقول ماهذا الآ أساطير الأولين﴾.

٨٨ ـ من الآية رقم ١٠٢ من سورة الشعراء، وتمامها ﴿فلو أنّ لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾.

خلافها. والصدق خلاف الكذب، وموعودها يحتمل ثلاث معان، الأول، أنه يريد به نفس الوعد، بتقدير: لو صدقت وَعْدها، الثاني، أنْ يريد به الشيء الموعود به، بتقدير: لو صدقت ما وعدت، الثالث، إنه يريد به الشيء الموعود به بتقدير: لو صدقت الوعد الذي وعدته، وقوله: لو أن النصح مقبول: أي أكرِمْ بها خُلة لو أنها صدقت موعودها، على ما تقدم، أو لو أنّ النصح مقبول عندها، و أو في كلام تحتمل معنيين: الأول، أن تكون على بابها، الثاني، أن تكون بمعنى الواو، كما في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[٨٩] والنصح خلاف الغش، قال ابن الأثير[٩٠]: وهي كلمة يعبر بها عن جملة، هي إيراد الخير للمنصوح، قال: وليس يمكن أن يعبر على هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناهما وغيره، وأصل النصح الخلوص ومنه [٢٤ب] قولهم: نصح اللبن إذا خلص من رَغْوَتِهِ. والمقبول خلاف المردود.

ومعنى البيت: أنها صديقة كريمة إلا أنّ فيها خصلتين منافيتين لأفعال الكرم:

وهما إخلاف الوعد، وعدم قبول النصح، فلو أنها خَلَتْ من هاتين الخصلتين لكانت على أتم الخلال وأكملها. وحاصل الأمر أنّ الإنسان كما يحتاج إلى حُسْن الصورة وكرم الأصل كذلك يحتاج إلى حسن المعاشرة من الوفاء والصدق والودّ والمصافاة ولين الجانب ونحو ذلك، إذ لو كان الإنسان في غاية الحسن والجمال ولكنه سيء المعاشرة وقليل الموافاة لمجّته النفوس ونَفَرت عنه القلوب وجفته الأصدقاء ورفضته الأصحاب، بل حسن السيرة يقدم على حسن الصورة. فقد قال الإمام فخر الدين، رحمه الله تعالى في أسرار التنزيل[٩١]: حسن الصورة، وإنْ كان مرفوعا فيه، فإن حسن السيرة أفضل منه، إذ حسن الصورة إنما يبقى أياما، وحسن الصورة ربما أدى بصاحبه في المحن والبلاء، وحسن السيرة ينجيه من الهلاك وينقذه من المهاوي. ألا ترى أن حسن الصورة أدّى بيوسف، عليه السلام، إلى السجن، وحسن سيرته أوجب له الخروج من السجن، وجلوسه على سرير الملك: ولمّا كانت سعاد من الحسن والجمال على الوصف الذي قدم ذكره إلا أنها كانت سيئة العشرة قليلة الموافاة تأسف عليها لكونها

٨٩ـ سورة الصافات/ ١٤٧ .

٩٠ـ انظر: الحاشية رقم ٧٦، و ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٦٣.

٩١ـ انظر: الحاشية رقم ٧٧ .

لم تكتمل خلالها، ولم تتم خصا لها، ولم يصده ما لاقاه من سوء عشرتها، وقلة موافاتها عن محبته لها، ولم يُثْنِ عنانه عن مودتها، بل لم [٢٥أ] يزد فيها إلا هياما، ولم يحدث عنده جفاها إلا وداً، ولله القائل:

العقل عقيلة الرجال	والحب محلل العقال
العقل يقول: لا تبالغ	والحب يقول: لا تبال

ثم إنْ أنشد على الرواية المشهورة، وهي: أكرِمْ بها خلة، كان ذلك في غاية المدح، فإن فسرنا الكرم بالشرف والحسب وطيب الأرومة، كان هو الغاية القصوى، إذ العراقة في النسب مطلوبة في المرأة، مرغوب فيها، خصوصا عند العرب. وقد وردت السنة باعتبار ذلك. ولذلك قال ﷺ: تخيروا لنطفكم فلا تضعوها إلا في الأكفاء[٩٢].

ونهى عن المرأة الدنيئة الأصل فقال: وإياكم وخضراء الدِمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء بالمنبت السوء[٩٣]. والمعنى: أن الدواب إذا راثت بالمرعى ونبت الزرع في منبت الروث تراه أخضرا مرتفعا على ما حوله من الزرع. فشبه النبي ﷺ المرأة الحسنة الدنيئة بالزرع الحسن النابت في الروث على أصل غير طيب. على أنّ الحديث مصرح بضعفه لانفراد الواقدي به، وإن كان المعنى صحيحا. وإن فسرنا الكرم بما يخالف البخل كان في معنى المدح أيضا، إلا أنّه دون الأول، لأن الجود، فيما يقال، من صفات المدح في الرجل دون المرأة والحق أنّ الجود فخر لصاحبه مطلقا، رجلا كان أو امرأة، وإنْ أنشد: فيا لها خلة، على الرواية الثانية، بتقدير: ألا فاعجبوا لها، أو: فيالها خلة، كان التعجب من كونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال. وهي مع ذلك [٢٥ب] مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة. فإن حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الخلائق، ولذلك قال ﷺ: الحوائج عند صباح الوجوه[٩٤]. فإن كانت في نهاية الحسن والجمال وفعالها مخالفة

---

٩٢ - ابن ماجة: النكاح/٤٦.

٩٣ - حديث ضعيف رواه القضاعي في مسند الشهاب ق ١/٨١ عن طريق الواقدي. انظر: الألباني، الأحاديث الضعيفة والموضوعة: الحديث رقم ١٤.

٩٤ - انظر: السيوطي، الجامع الصغير: الحديث رقم ١٥٦٦. وهو عنده ضعيف.

في ذلك كانت في غاية التعجب. وإن أنشد: يا ويحها خلة، على الرواية الثالثة، كان ذلك من باب التأسف عليها، حيث لم تتخلق بأخلاق الكرام، المناسبة لبديع منظرها، وكرم حسبها، بل خرجت عن طورها الملائم لها، وركبت جادة لا تليق بمثلها، فحادت عن طريق الصدق ومالت إلى الإخلاف، فقطعت حبال المودّة وهدمت مباني الألفة، ولله البحتري[٩٥] حيث يقول شعرا:

أحنو إليك وفي فُؤادي لوعةً — وأَصُدُّ عنكِ ووجه ودِّي مُقْبِلُ
وإذا هممت بوصل غيرك ردني — ولهٌ عليك وشافعٌ لك أولُ
وأعز ثم أذل ذلة وامقٍ — والحب فيه تعززٌ وتذللُ

وإن أنشد: يا ويلها، على الرواية الرابعة، كان من باب الدعاء على المحبوب المطلوب فيه عدم الإجابة، كما قيل شعرا:

وادعو عليك وقلبي — يقول: يارب لا، لا

وكأنه لمّا أضجره إعراضها وأعياه صعوبة مراسها هفت منه هفوة فقال: يا ويلها، إلا أنّه قصد بذلك حقيقة الدعاء، وإذا دَعا المحب على المحبوب بالويل فما عسى يدعو به العدو على عدوه، وما أحسن قول ديك الجن[٩٦] شعرا:

كيف الدعاء على من خان أو ظلما — ومالكي ظالمي في كلّ ما حكما
لا آخَذَ الله مَنْ أهوى بجفوته — كَلا ولا اقتصّ لي منه ولا انتقما

[٢٦أ] ثم إن جعلت لو في قوله: لو أنها صدقت موعودها، في التمني، فتقدير

---

٩٥ ـ هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري، ولد بمنبج وبها نشأ، سكن بغداد وتوفي في منبج سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م. له ديوان شعر والحماسة ومعاني الشعر. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/ ١٧٠، الزركلي، الأعلام: ٨/ ١٢١. وانظر: الديوان: ١/ ٣٠.

٩٦ ـ هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي. سمي ديك الجن بسبب لون عينيه الأخضر. ولد بحمص، وتوفي فيها سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٥/ ٢٢٤، الزركلي، الأعلام: ٤/ ٥، وانظر: الديوان: ١١٧.

البيت: لو صدقت كان حسن الخلة ثابتا لها في كل حال، سواء أنشد: أكرم بها خلةً، أو يا ويحها خلة، أو يا ويلها، على اختلاف الرواية. غير أنه إنْ أنشد: أكرم بها خلة، على معنى ما أكرمها خلة، كان قد أثبت لها وصف الكرم. وإن أنشدها: فيالها خلة، أو يا ويحها، أو يا ويلها، كان فيه معنى التأسف على عدم كمال خلالها و معاطاتها ما يناقض أسباب الوفاء مالا يليق بجمالها وجلالها. وإن جعلت لَوْ بمعنى الشرط كان قد علق الأمر بكل التقدير على صدقها الوعد. فإن أنشد: أكرم بها خلة، كان كرمها معلق على شرط صدق الوعد، فلا يكون الكرم ثابتا لها إلا مع صدق الوعد. وإن أنشد: فيالها، أو يا ويحها، أو يا ويلها، كان التقدير: لو أنها صدقت موعودها لكملت خلالها، أو لو كان خيرا لها. ثم إنْ جعل الكرم في كلامه بمعنى الجود كان المعنى أنّها مشتملة على الجود، متصفة بالسخاء إلا أنها لم تَجُدْ له بالوصل، فكانت كما قال ابن الوكيع[(٩٧)]:

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعاً　　فقلت: هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان، وإن الجود عادته　　وإنما عزّ، لمّا عزّ مطلبه

وإنْ جعل الكرم بمعنى الحسب والشرف كان المراد التأسف عليها، كيف لم تحسن طريقتها ولم تصف في الود خلائقها! كما أجاد وقال جميل[(٩٨)] شعرا:

وما عسى الواشون أن يتحدثوا　　سوى أن يقولوا: إنني لك عاشقُ
نعم، صدق الواشون: أنت حبيبة　　إليّ وإن لم تَصفُ منك الخلائقُ

فإن قيل: ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه؟ فالجواب [٢٦ب] أنّ سياق الكلام يقتضي أنه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على أنّه قد تقدم أنّ

٩٧- هو الحسن بن علي بن أحمد الضبي، المعروف بابن وكيع التنيسي، أبو محمد. ولد بتنيس بمصر، وتوفي فيها سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م. انظر:كحالة، معجم المؤلفين: ٢٤٨/٣، الزركلي، الأعلام: ٢٠١/٢.

٩٨- هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبوعمرو. شاعر من العشاق العذريين، عرف بجميل بثنية نسبة الى محبوبته. توفي سنة ٨٢هـ/٧٠١م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٦٠/٣، الزركلي، الأعلام: ١٣٨/٢. وانظر الديوان: ٩٥.

محبتهم مصونة عن الخنا بعيدة عن الريبة. وقد حكى أنّ عزة دخلت على أم البنين ابنة عمر بن عبد العزيز[99] فقالت لها: ما معنى قول كُثيِّر[100]:

قضى كل ذي دينٍ فوفّى غريمه وعزة ممطولٌ معنّى غريمُها

فقالت: ما كانت هذه الديون؟ قالت: وَعَدْتُه بقبلة ومطلته بها، فقالت: إنجزيها له وعليّ إثمها، ففعلت. وكانت أم البنين صالحة فأعتقت أربعين عبدا وقالت عند الكعبة: اللهم إني أبرؤ إليك مما قلت لعزة. ثم لما أشار إلى عدم وفائها بالوعد بقوله:

لو أنّها صدقت موعودها، أتبع ذلك بوصف آخر، وهو عدم قبول النصح وهو محتمل لمعنيين: الأول، أن يكون النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه في الحقيقة إليه، وهو ترك الهجر والمطل، والوفاء بما وعدته من الوصل. فإن المرء مجازى بفعله، والمظلوم منصور فربما رماها الدهر إلى من يوقعها الحب في حبالته، ويأخذ منها بثأره كما قيل:

قلت لمحبوبي وقد مرّ بي محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه من طرفك الوسنان بالثار

وإذا وصلته كانت قد أبقت عليه روحه، وفازت بأجره، كما قيل شعرا:

فَدَيْتُ مَنْ ترحم عشاقَها وراحم العشاق مأجورُ

بل ربما حمله على المحبة تمحص النصح في جانبها، مع إعراضه عن حال نفسه في الوصل، كما قيل شعرا:

وما طلبي للوصل حرصاً على اللقا ولكنه أجرٌ إليك أسُوقُهُ

٩٩- كذا في النسختين «ب» و «ك». وهي أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وقيل ابنة عبد الملك بن مروان. انظر:الزركلي، أعلام النساء: ١/ ١٥٠.

١٠٠- هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي. من الشعراء المتيمين، أبو صخر، وعرف بكثير عزة نسبته إلى من أحبها. توفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م. انظر:كحالة، معجم المؤلفين: ٨/ ١١٤، الزركلي، الأعلام: ٥/ ٢١٩. وانظر الديوان: ٢٠٧.

المعنى الثاني، أن يكون النصح فيها يتعلق [٢٧أ] بخاصتها، وهو ينهاها عن الحالات الذميمة التي أثبتها لها في البيت الذي بعده من الإصابة بالمكروه والكذب وإخلاف الوعد والملال، إلى غير ذلك مما تضمنته الأبيات التي قبله وبعده، ذلك على ما سيأتي بيانه في موضعه، إن شاء الله تعالى، مع ما وصفها به في صدر القصيدة من الجمال والخفر والجلالة التي لا تليق بصاحبها معاطاة ذميم الخلال، وقد قال ﷺ لجرير بن عبد الله، وكان جميلا: أنت امرؤ قد أحسن الله خَلْقَك فاحسن خُلُقَك[١٠١].

ومن كلام بعض الحكماء: لكل شخص حكمان: أحدهما، من جهة جسمه، وهو منظره، والثاني، من جهة نفسه، وهو مخبره، وكثير ما يتلازمان وقلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة، ولله القائل شعرا:

يا حسن الوجه تَوَقَّ الخنا   لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا   لا تجمعن بين قبيحين

إذا علم ذلك، فإن جعلنا أو في كلامه، بمعنى الواو كان حسن خلتّها معلقا على أحدهما فقط. فأيها وجد كانت متصفة بحسن الخلة، على أن قبولها النصح شامل لصدق الوعد، ولا عكس، والله تعالى أعلم.

البيت السابع

لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دَمِها   فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبديلُ

قولها: لكنها، أي سعاد. والخلة خليلة، على ما تقدم في البيت قبله، وقد، هنا للتحقيق، بمعنى ما يذكره عنها من الفجع والولع والإخلاف [٢٧ب] والتبديل محقق الوجود فيها. وقوله: سِيط، بكسر السين المهملة و إسكان الياء آخر الحروف وبالطاء المهملة، معناه خلط. يقال: ساطه الماء وغيره إذا خلطه بغيره وضربها حتى صارا شيئا

---

١٠١ ـ انظر الحديث عند الغزالي، إحياء علوم الدين: ٣/٧٩ـ٨٠.

واحدا. ومنه قيل للآلة التي يضرب بها: سَوط، لأنه يسوط اللحم بالدم، أي يخلطه.
قال ابن هشام[102]: ويجوز أن تقرأ شيط، بالشين المعجمة بدل المهملة لأنه يقال:

شاطه، أي بمعنى ساطه. ومن في كلامه بمعنى في، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[103] أي في يوم الجمعة، والمعنى: قد خلط في دمها هذه الخلال، والدم أحد الخلال الأربعة التي بها قوام البدن، وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء. والفَجْع، بفتح الفاء وإسكان الجيم والعين المهملة، الاصابة بالمكروه والأذى. والوَلْع، بفتح الواو وإسكان اللام والعين المهملة أيضا، الكذب والإخلاف، بكسر الهمزة وإسكان الخاء والفاء في آخره، خلاف الوفاء. والمراد هنا إخلاف الوعد بدليل قوله في البيت الذي قبله: لو أنها صدقت موعودها. والتبديل، إبدال شيء بغيره، والمراد هنا تبديل خليل بخليل، وهو في الحقيقة وصف الملال، والمعنى أنّ هذه المحبوبة التي ابتلي بحبها قد اشتملت على الإصابة بالمكروه والكذب وإخلال الوعد والملال، على ما تقدم بيانه. قال ابن هشام: وموقع البيت مما قبله، لو كان زيدٌ عالماً لأكرمته، لكنه ليس بعالم ولا صالح، بمعنى أنه في البيت الذي قبله أشار إلى وصفين: وهما إخلاف الوعد، وعدم قبول النصح. وفي هذا البيت ذكر أنّها اشتملت على أربع خلال مستلزمة لما في البيت الذي قبله، وزيادة الخلة الأولى، الفجع، وهو الإصابة بالمكروه، على ما تقدم، وهو محتمل لأمور [28أ] منها: الهجر، وما يتبعه من مقاساة اللآلام، ومكابدة الأهوال، ومعالجة الأسقام، فالهجر يذيب القلوب، ويشيب الرؤس. ولله القائل:

---

١٠٢ ـ هو عبد الله بن يوسف بن أحمد، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري أحد أئمة العربية. ولد بمصر وتوفي فيها سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م. له: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وعمدة الطالب و شذور الذهب وأوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك وشرح البردة. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٦/١٦٣، الزركلي، الأعلام: ٤/١٤٧. وانظر: عبد القادر البغدادي، حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام: ١/٧١٤.

١٠٣ ـ من الآية رقم ٩ من سورة الجمعة، وتمامها ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

ألا فاعـجـبـوا من فعـلهـا بحبيبهـا ولا تعـجـبـوا من لمتي ومشـيبـهـا
فإنْ هجـرتـني شيبـتـني بهجـرهـا وإنْ واصـلتـني شيبـتـني بطيبـهـا

ومنها ما يلقاه من الحيف والإساءة، إذ قلّ أنْ يوجد المحب حبيبا. وقد قيل: من العناية أنْ تحب وأنْ يحبك منْ تحب، ومِن الشقاوة أنْ تحب ولا يحبك من تحب. ولله القائل:

وأكـثـر أفـعـال الـغـواني إسـاءة وأكـثـر ما تلقـى الأمـاني كواذبـا

ومنها ما يقاسيه من الخوف من أهلها وعشيرتها، كما قال ابن خفاجة[١٠٤]:

ولـيـلٍ طرقـتُ المـالـكـية تحتـه أَجَـدُّ على حُكـمِ الـشّـبـابِ مزارا
فخـالـطت أطرافِ الأسنَّـةِ أنجـمـا ودُسْـتُ لهالات الـبـدورِ دِيارا

ومنها ما يناله من العذّال من اللوم والتوبيخ، كما قال ابن بسّام[١٠٥] شعرا:

لقــد صبرت على المكــروه أسمعـه من معشر، فيك، لولا أنت ما نطقـوا
وفـيك داريت قومــا لا خلاق لهم لولاك ما كنـت أدري أنّهم خُلقــوا

ومنها ما يقاسيه من الوشاة والرقباء الذي لا يتهنأ معهم بعيش، ولا يلذ بوصال. ومما قلته في ذلك شعرا:

احـرص على طرد الـرقيب وبُعـده أن تغـتـنـم وصـل الحـبيب تلاعبـه
كم ليلةٍ بات الحـبـيب بجـانـبي لكـنـني، خوف الـرقيب، أُجـانبـه

---

١٠٤ ـ هو إبـراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجه المراوي الأندلسي. توفي سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١/٧٤، الزركلي: الأعلام: ١/٥٧. وانظر الديوان: ٣٤٩.

١٠٥ ـ علي بن محمد بن بسام، أبو الحسن. من أهل بغداد. توفي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٧/٢٣٦، الزركلي، الأعلام: ٤/٣٢٤.

الخلة الثانية، الولع، وهو الكذب، على ما تقدم، محتمل لأمور أيضا، منها كذبها، في إخفاء محبته، وإظهار كراهته، وتغاضيا عن وصله، كما قلت مضمنا لبيت الرشيد، شعرا:

مَنْ منصفي من فتاة قد علقتُ بها، أضحت يمازجها، وصل وهجرانُ
تبدى صدودا بحبٍّ تحته شَغَفٌ فالنفس راضيةٌ، والطرف غضبانُ

ومنها كذبها في دعوى العوائق عن الوصل، وإقامة الحجج المانعة منه، كما قلت أيضا شعرا: [٢٨ب]

تقيم معاذيراً وتزعم وصلها[١٠٦] وتطمع آمالي بها فألينُ
وتحلف: لو تستطيع جادت بوصلها ، وليس لمخضوب البنان يمينُ

ومنها كذبها في الوعد، ويكون قوله ما بعد: وإخلاف، تأكيد لقوله: وولع، وسيأتي الكلام عليه في البيت التاسع. الخلة الثالثة، إخلاف الوعد، على ما سبق فَتَعِدُهُ وتُمَنِّيه وتمطله ولا تفِيْهِ، كما قال ابن نباته[١٠٧]:

وخُلْفُ وعدِك خُلْفٌ منك أعرفُه فليت كان التجافي منك موعودي

الخلة الرابعة، تبديل خليل بخليل. وهو محتمل لأمرين: أحدهما، أن يكون ذلك حقيقة، ويكون قد وصفها بالملال حتى لا تبقى على محبوب، كلما خاللت خليلا ملته وانتقلت منه إلى آخر، وإلى ذلك يشير العباس بن الأحنف[١٠٨]:

---

١٠٦ ـ كذا في «ب» و في «ك»: «وتزعم صدقها».

١٠٧ ـ هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبوبكر، جمال الدين، ابن نباته، أصله من ميافارقين، ولد في القاهرة، وتوفي فيها سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦هـ. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١/٢٧٣، الزركلي، الأعلام: ٣٨/٧. وانظر: الديوان: ١٢٦.

١٠٨ ـ هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي. أبوالفضل. شاعر غزل رقيق، نشأ في =

يا قوم لم أهجركم لملالة منا ولا لمقال واش وحاسدِ
لكنني جربتكم فوجدتُكم لا تصبرون على طعام واحدِ

الثاني، أنْ يكون ذلك خبالا منه قد خيلته له الغيرة، وصوّره في نفسه من شدة الحب، كما في قول القائل شعرا:

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها كما آثرت بالعين تؤثر بالقلب
وإني لأرجو أنْ تدوم لعهدها ولكن سوء الظن من شدة الحبِّ

فإن قيل: لأي معنى خص الخلال الأربعة؟ فالجواب على وجهين: الأول، أنّ الدم هو الغاذي للأعضاء بمفرده، على مذهب أرسطو ومن تابعه من الأطباء، فإذا اختلت [٢٩أ] هذه الخلال به كانت قد غذيت به جميع الأعضاء وامتزجت به فصارت طبعا انفكاك عنه. الثاني، أنّه قد تقدم في الكلام على البيت الأول، أنّ في القلب تجويفاً يحوى الدم والروح الحيواني، ومنه ينبث في الشرايين، ويسري إلى سائر الأعضاء، وإذا كانت هذه الخلال متصلة ومخالطة بالدم كانت متصلة بالقلب الذي عليه مدار الجسد.

البيت الثامن

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بهاَ كما تَلوّنُ في أثوابِهَا الغُولُ

قوله: فما تدوم على حال تكون بها أي: فلما جبلت عليه من الإخلاف والتبديل ما تدوم على حال، والحال يُذكر ويؤنث، يقال: هذا حال صالح، وهذه حالة صالحة، وقد يقال: حال، والتأنيث لغة أهل الحجاز، وعليها جرى الناظم، ولذلك قال:

= بغداد وتوفي فيها وقيل بالبصرة سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٥/٥٩، الزركلي، الأعلام: ٣/٢٥٩.

تكون بها، ولم يقل به. وقوله: كما تلوّن في آثوابها الغول، أي بل تتلون كما يتلون الغول في أثوابها. وأصل تلوّن تتلرن بتائين في أوله، فحذفت إحدى التائين على عادة العرب في ذلك، كما حذفت من قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[109]. والأثواب جمع ثوب وهو معروف، والغول واحد الغيلان، وهو نوع من الشياطين، قيل:

سميت بذلك لأنها تغتال الشخص، أي تأخذه من حيث لا يدري فتهلكه، وكل شيء اغتال الإنسان فأهلكه قيل له: غول. أو لأنها تتغول، بمعنى تتلون، أخذا من قولهم: تغولت على البلاد إذا اختلفت، تزعم العرب أنها كانت تتراءى لهم في الفلاة بألوان شتى، وتأخذ جانبا [٢٩ب] عن الطريق فيتبعها من يراها ظانا أنها على طريق فيضل عن الطريق فيهلك. وربما قالوا أنها تعترضهم في الطريق فتحاربهم، وإلى ذلك يشير تأبط شرا بقوله[110]:

الأَ مَنْ مُبْلغٌ فِتْيانَ فَهْمٍ ... بما لاقيتُ عندَ رحا بِطَان
بأنّي لقيتُ الغولَ تَهْوى ... بسيفٍ كالصفيحة صَحْصَحان
فقلتُ لها: كِلانا نضْو أيْنٍ ... أخو سفرٍ فَخَلِّ لي مكاني
فشدَّتْ شدة نَحْوي فأهْوَى ... لها كفّي بمصقولٍ يمَاني
فأضرِبُها بلا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صريعاً لليديْن وللجِرانِ

وقد اختلفوا في وجودها حقيقة، فذهب قوم إلى أنها لا حقيقة لها وإنما هي من خرافات العرب، التي تلهج فيها غيرها من الأمور المستحلية التي هي على غير مسميات، واحتجوا لذلك بما ثبت في صحيح مسلم من رواية جابر، أن رسول الله ﷺ قال: لا طيرَةَ ولا نوء ولا غول[111]. فنفى ﷺ الغول، كما نفى الطيرة ووقوع المطر

١٠٩ ـ من الآية رقم ٨ من سورة الملك، وتمامها: ﴿تكاد تميز من الغيض كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾.

١١٠ ـ هو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي. ولقبه تأبط شرا، شاعر جاهلي عدّاء. توفي سنة ٨٠ ق.هـ/٥٤٠م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٩٩/٣، الزركلي، الأعلام: ٩٧/٢. وانظر الديوان: ١٠٦-١٠٧.

١١١ ـ مسلم: السلام ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ابن حنبل: ٣٩٣/٣، ٣١٢، ٣٨٢.

بنوء الكواكب. وإلى ذلك يشير بعض الشعراء بقول يؤكد نفي الجود بمقارنته في النفي لبعض المحالات:

الجود والغول والعنقاء ثالثها أسماء أشياء لم تُخلق ولم تكن

وذهب آخرون إلى وجودها حقيقة بقوله ﷺ: إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان[112]، وفي حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذها[113]. وقوله ﷺ: ولا غول، ليس نفيا لوجود الغول بل المراد إبطال زعم العرب في تلونه في الصور المختلفة واغتياله، وأنها لا تستطيع [٣٠أ] أن تضل أحداً وتستهويه. وقوله ﷺ في الحديث الآخر: لا غول ولكن السَّعالى، وهي إناث الشياطين وقيل: سحرتهم، وهم الذين لهم قدرة على التلبس والتخيل. وقيل: الغيلان الذي تتراءى في الليل، والسّعالى الذي تتراءى في النهار.

ومعنى البيت: أنّ هذه المرأة لا تدوم على حالة ولا تبقي على خليل، بل تتغير من حال إلى حال، وتنتقل من خليل إلى غيره، وتتلون بألوان شتى، وتتراءى في صور مختلفة. فتارة تصل وتارة تقطع، وتارة ترضى وتارة تغضب، وتارة تجفو وتارة تودد، وتارة ترغب في خليل وتارة ترغب عنه، كما قال بعض الأعراب شعرا:

شَكَوْتُ، فقالت: كل هذا تبرماً بحبي، أراحَ الله قلبك من حُبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتاً: صبرت، وماذا يفعل شجى القلبِ
وأدنو فتعصيني، فأبعد طالبا رضاها، فتعتدُّ التباعد من ذنبي
فشكواي يؤذيها، وصبري يسوءها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم: هل من حيلةٍ تعرفونها، تشيروا بها؟ واستوجبوا الأجر من ربي

---

١١٢ - ابن حنبل: ٣/٣٠٥، ٣٨٢.
١١٣ - الترمذي: ثواب القرآن/٣، ابن حنبل: ٥/٤٢٥.

البيت التاسع

وَلاَ تُمَسِّــك بالعَهْــد الــذي زَعَمَتْ   إلاّ كما يُمْسِــكُ المـاءَ الـغَــرابِيــلُ

قوله: ولا تمسك بالعهد الذي زعمت، أي فما تدوم على حال تكون بها، على ما تقدم في البيت قبله. ولا تُمسك، بضم التاء المثناة فوق وكسر السين المشددة، يقال: مسّك بالشيء، بالتشـديد، تمسَّك [٣٠ب] ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾[114] ﴿ولا تُمَسِّكوا بِعِصَم الكوافر﴾[115] ويجوز أن تكون بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة، والأصل تتمسك، فحذفت إحدى التائين، كما حذفت في البيت الـذي قبله، تتلون، وعليه قُرىء في الشاذ ﴿ولا تَتَمَسَّكوا بِعِصَم الكَوافر﴾ والعهـد هنا بمعنى الحفاظ، ومنه قوله ﷺ: حُسْن العهد من الإيمان[116]. وقوله: زعمت، يجوز أن يكون بمعنى تكلفت، ويكون التقدير: الذي زعمت أنها تفي به، والزعم في أصل اللغة: قول يدعيه المدعي، محتمل للحق والباطل، إلا أنه غلب استعماله في الباطل، ولم يرد في القرآن إلا معناه. ومنه قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[117]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾[118]. من استعماله في الحق قول أبي طالب يخاطب النبي ﷺ:

---

١١٤ - من الآية رقم ١٧٠ من سورة الأعراف، وتمامها ﴿والذين يُمَسِّكُون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنّا لا نضيع أجر المصلحين﴾.

١١٥ - من الآية رقم ١٠ من سورة الممتحنة، وتمامها ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن وتمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾.

١١٦ - البخاري: الأدب/٢٣، الترمذي: البر/٧٠.

١١٧ - من الآية رقم ٧ من سورة التغابن، وتمامها: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربّي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

١١٨ - من الآية رقم ١٣٦ من سورة الأنعام، وتمامها: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾.

وَدَعَوْتَني، وزعمتَ أنكَ ناصحٌ ولقد صدقتَ، ثم كنت أمينا

وقول كثير عزة شعرا: [119]

وقَدْ زعَمَتْ أنّي تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعَزُّ لا يتغيّرُ

فإن عجز البيتين يدل على الصدق. وقوله: كما يمسك الماء الغرابيل، أي ولا تمسك بالعهد إلا تمسكا كامساك الماء الغرابيل. والغرابيل جمع غربال، وهو الذي يغربل به الحنطة ونحوها.

ومعنى البيت: أنها لا وثوق بعهدها ولا اعتماد على قولها، وشبه إمساكها للعهد كإمساك الغربال للماء، إنّ الماء بمجرد وضعه فيه يخرج منه، مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفاء، كما قال ابن السراج[120] النحوى شعرا:

حَلَفَتْ لنا: أن لا تخون عهودنا فكأنّها حَلَفَتْ لنا أنْ لا تفي

وحاصل الأمر أنّه وصفها في البيت [٣١أ] السابع بأربعة أوصاف: وهي الإصابة بالمكروه، والكذب، وإخلاف الوعد، وتبديل خليل بآخر، على ما تقدم بيانه هناك. ثم رتب ذلك على ثلاثة أوصاف أخرى، فوصفها في البيت الثامن بوصفين هما: عدم المداومة على حال واحد، والتلون بألوان مختلفة، ثم وصفها في هذا البيت بأنها لا تمسك على عهد، ولا تقف عنده. فإن قيل: كيف ساغ له، أن يصف محبوبته بهذه الصفات التي لا تليق أن يصف بها الشخص عدوه، فضلا عن حبيبه؟ فالجواب عنه من وجهين: أحدهما، أنّ وصفه لها بهذه الأوصاف، راجع إلى ما يتعلق بأحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك، لا أنّه وصفها بذلك على الإطلاق. وإذا كان ذلك خاصا بأحوال المحبة لم يكن قادحا في الموصوف به، فشأن المحبوب الهجر والتجني والإعراض والتعنت، ولا يكون هجره مؤثرا، ولا تعنته في المحبة قادحا، كما قال أبو نواس:

١١٩ ـ الديوان: ١٠٠، وانظر: الحاشية رقم ١٠٠.

١٢٠ ـ انظر: الحاشية رقم ٢٦.

أســاءَ فزادتــه الإســاءةُ حظوةً ... حبـيب على ما كان منـه حبـيبُ
يَعُـدُّ عليّ الـواشـيان ذنـوبـه ... ومـن أين للوجـه المليح ذنـوبُ[١٢١]

ولله عتيق بن محمد الوراق[١٢٢] حيث يقول: شعرا:

كلما أذنـب أبـدى وجـهـه ... حجـة فهـو مليء بالحـجـجْ
كيف لا يفـرط في إجـرامـه ... من إذا شاء من الـذنـب خرجْ

وما أحلى قول القائل شعرا:

وإذا الحـبـيبُ أتـى بذنبٍ واحـدٍ ... جاءتْ محاسـنُـهُ بألـفِ شفـيعِ

الثـاني، أن يكون وصفها لتنفير الغير عنها، فربما سمع سامع وصفها [٣١ب] بالحسن فبعثه ذلك على حبها، فكان سببا لمباينتهاله، فأراد أن يبين أنّها مع ما وصفها به من الحسن سيئة العشرة، لا تفي بوعد ولا تقف عند عهد لتقل الرغبات في طلبها، وتنفر النفوس عن حبها، ولله علي بن عيسى[١٢٣]:

ولـسـت بواصـف يومـا حبـيبـا ... أعـرضـه لأهـواء الـرجـالِ
ومـا بالي أُشَـوِّقُ قلب غيري ... ودون وصـالـه ستر الحـجـالِ

واعلم: أن هذه الأوصاف تقع من المحبوب على أربعة أنواع: الأول، أن يكون عن دلال وتيه، وعلاجه بالتذلل والاستعطاف والتملق ليأخذ بقلب محبوبه ويستميل بالود خاطره، وإلى هذا المقام أشار بعضهم شعرا:

تذلـل لمن تهوى فليس الهوى سهـل ... إذا رضي المحبـوب صح لك الـوصلُ

النوع الثاني، أن يكون عن ملال وضجر، وعلاجه يتحمل المشقة والإمساك عن

---

١٢١ ـ انظر الحاشية رقم ٦٥. ولم أعثر على البيتين في الديوان.
١٢٢ ـ لم أعثر له على ترجمة.
١٢٣ ـ هنـاك أكثـر من شاعـر باسم علي بن عيسى، انـظر: كحـالـة، معجم المؤلفين: ٧/١٦٢-١٦٣، الزركلي، الأعلام: ٤/٣١٧-٣١٨.

المحبوب، واختياره وقتاً فوقتاً، فكيف ما أحسّ منه بالإمساك أمسك عنه إلى حين يتحقق منه ذهاب الملال، كما قال الوأواء الدمشقي شعرا[124]:

بالله ربكما عوّجا على سكني وعاتباه لعلّ العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما: ما بال عبدك بالهجران تتلفه؟
فإن تبسم قولا في ملاطفة: ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه؟
وإن بدا لكما في وجههِ غضبٌ فغالطاه وقولاً: ليس نعرفه

النوع الثالث، أنْ يكون ذلك عن ذنب صدر من المحب وعلاجه التوبة غن ذلك الذنب والاقلاع عنه حتى لو رماه [٣٢ أ] محبوبه بذنب لا حقيقة له أظهر له منه التوبة والتغفل.

كما قال أبو نواس شعرا:

ألا أيها الجاني ونسأله الرضى ويا أيها المخطي ونحن نتوبُ
لحى الله من يلحاك في القرب وحده ومن لا يرد الغيب حين يغيبُ[125]

النوع الرابع، أن يكون عن بغض من المحبوب له، وهذا هو الداء العضال، الذي يعسر علاجه، ويشق برؤه، ولأهل المحبة فيه مذهبان: المذهب الأول، التحمل والصبر، والمغالطة والخداع، لعله أن ينخدع أو يروق، كما قيل:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالمُ
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغمُ

وما أحسن قول القائل:

---

١٢٤ ـ هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء لأنه «كان مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه » كما ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر. توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. أنظر:كحالة، معجم المؤلفين: ٣٠٧/٨، ٤١٧/١٣، الزركلي، الأعلام: ٣١٢/٥. وانظر الديوان : ١٤٦-١٤٧.

١٢٥ ـ أنظر: الحاشية رقم ٦٥، ولم أعثر على البيتين في الديوان.

إذا مرضـنـا أتـينـاكـم نعـودكـم وتـذنـبـون فنـأتـيكـم فنعتـذرُ

المذهب الثاني، أخذ المحبوب بالقهر إن لم يسمح بالوصل، كما قال السلطان أبو عبد الله محمد بن الأغلب بالله محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر الاندلسي[١٢٦] في ذلك:

أيا ربـة الـقـرط التي حسنت هتكي على كل حال لا بد لي منـكِ
فإمّـا بذُلّ، فهـو ألـيق بالهـوى وإمّـا بعـزٍّ فهـو ألـيق بالمـُلْكِ

على أن صلاح الصفدي لم يرتض هذا المذهب فقال رادا على [٣٢ب] ابن الأحمر:

تمسـك بِذُلٍّ فهـو ألـيق بالهـوى لتُنظَـمَ مع أهـل المحبـة في سلك
متـى لاق بالـعـشـاق عزٌّ وسـطوةٌ؟ كأنـك من ذُلِّ المـحـبـةِ في شكٍّ

ولا شك أن ابن الأحمـر تكلم على قدر مقامه وعزيز مكانه في السطوة والقهر، والصـلاح الصفدى تكلم على ما يليق بمقام العشق في نفس الأمر. فالعشق يذل الأشود، ويلين الصلد، إلا أنه إذا دار الأمر بين الذل والوصل فالوصل بالعز أولى، كما قلت منتصرا لابن الأحمر ورادا على الصفدي:

إذا لم يكـن وصـلٌ إلى الحب مُسعفٌ وأمسيت تحت الضير في العتق والضنكِ
ولم أستـطع صبرا على الذُّلِّ والهـوى فبـالعـز وصـل الخَوْد أولى من التركِ

البيت العاشر

فَلَا يَغُـرَّنْـكَ ما مَنَّتْ ومـا وعَـدَت إنَّ الأمَـانيَّ والأحْـلامَ تَضْـليـلُ

قوله: فلا يغرنك ما منّت، أي وإذا كانت، على ما تقدم، من الإصابة بالمكروه والكذب وإخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر وعدم الوفاء والمداومة على حال، والتلوّن

١٢٦ ـ توفي سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م. انظر: الزركلي، الأعلام: ١٥٤/٧.

في الودّ وعدم الوفاء بالعهد، فلا يغرنك ما مَنّتك إياه، وما وعدتك إياه. والخطاب في قوله: فلا يغرنك، يحتمل وجهين: الأول، أن يكون خطاباً لكل أحد، كما يقال: فلان لئيم، [٣٣أ] إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه آساء لك، لا يريد مخاطَبا بعينه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(١٢٧). إذ لم نجعل الخطاب فيه متوجها للنبي ﷺ. والثاني، أن يكون خطابا لنفسه، وهذا تسميه أهل المعاني والبيان: التجريد، وهو أن يجرد من نفسه شخصا، ويوجه الخطاب إليه، كما في قول الأعشى مخاطبا نفسه:

(١٢٨)
وَدِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ   وهل تطيق وداعا أيها الرجلُ

وحينئذ فيكون فيه التفات من التكلم إلى الغيبة، ومن حيث أنه صدّر الكلام في البيت الأول من القصيدة بصيغة التكلم بقوله: فقلبي اليوم متبول. ثم رجع هنا من التكلم إلى الخطاب، وهو نوع من الأنواع الستة المذكورة في أنواع البديع أما إذا جعلنا قوله: فلا يغرنك، خطابا لغيره فلا التفات فيه، حينئذ، ومَنّتْ معناه: كذبت. يقال: مناه بكذا يُمنيه إذا كذبه، أخذا من منى يُمني، إذا قدّر الشيء، لأن الكاذب يقدر الحديث لنفسه ثم يقوله. وقوله: وما وعدت، أي ولا يغرنك ما وعدتك إياه أيضا، ويقال: وعَدَ بغير ألف في جانب الخير، كما هو في هذا الموضع. ومنه قوله تعالى ﴿وَوَعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾(١٢٩) ربما وقع في جانب الشر بغير ألف أيضا، وإذا دلت عليه قرينته، كما في قوله تعالى ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾(١٣٠). وقوله: إن الأماني والأحلام تضليل، بكسر الهمزة، من أن تعليل لقوله: فلا يغرنك ما منت

---

١٢٧ ـ من الاية رقم ١٢ من سورة السجدة، وتمامها: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنّا موقنون﴾.

١٢٨ ـ انظر الأعشى: الديوان ١٤٤. والحاشية رقم ٦٤.

١٢٩ ـ من الآية رقم ١٤٧ من سورة الأعراف، وتمامها ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾.

١٣٠ ـ من الآية رقم ٢٨ من سورة غافر، وتمامها ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾.

[٣٣ب] وما وعدت، والأمانيّ، بتشديد الياء، جمع أمنية. يقال: تمنيت الشيء أتمناه، إذا اشتهى حصوله، وحدثته به نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾[١٣١] والأحلام، جمع حُلُم، بضم الحاء واللام، وهو ما يراه في السر. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾[١٣٢]، ومن ذلك قول النبي ﷺ: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان[١٣٣].

والتضليل تفعيل من الضلال، والمراد التضييع والإبطال، ومنه قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾[١٣٤] والأصل أن الاماني والأحلام ذوات تضليل فيجعلها هي نفس التضليل للمبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١٣٥] أي ذو درجات عند الله.

ومعنى البيت: لا تغتر بما توجيه إليك من زخرف القول، وكذب الوعد، ولا تعلق خاطرك بذلك، فإن الأماني التي يتمناها الإنسان، والأحلام التي يراها في منامه تضييع، زمان لا فائدة فيه، ولا طائل تحته. وذلك أنه وصفها في البيت السابع والثامن والتاسع بتسعة أوصاف، وهي: الإصابة بالمكروه، والكذب، وإخلاف الوعد، وتبديل خليل بآخر، وعدم المداومة على حالة، والتلون في الودّ، وعدم الوفاء بالعهد، على ما تقدم بيانه في مواضعه. وكان بهذه الصفة لا يبتغي أنه يوثق له بقول، ولا يتعلق له بوعد، ومن تعلق بالأماني ووقف مع التمنيّ فقد طمع في المحال، وأمل مالا يُرجى، فأتعب وشتت خاطره. ولّما نهى عن الاغترار بما تمنيه وما تعده أكد ذلك بقوله: إن الأماني والأحلام تضليل، بمعنى أن الأماني راجعة إلى قوله: [٣٤أ] وما وعدت، ويكون من باب اللف والنشر الأول للأول والثاني للثاني، ويكون قد شبهها في

١٣١ - سورة النجم/ الآية رقم ٢٤.
١٣٢ - من الآية رقم ٤٤ من سورة يوسف، وتمامها ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾.
١٣٣ - البخاري: التعبير/٣، ٤، ١٠، ١٤، بدء الخلق/ ١١، الطب/ ٣٩، مسلم: الرؤيا/ ٢٠١، أبوداود: الأدب/ ٨٨، الترمذي: الرؤيا/ ٥، ابن ماجة: الرؤيا/ ٤، الدارمي: الرؤيا/ ٥، ابن مالك، المؤطا: الرؤيا/ ٤، ابن حنبل: ٢٩٦/٥، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠.
١٣٤ - سورة الفيل/الآية رقم ٢.
١٣٥ - من الآية رقم ١٦٣ من سورة آل عمران، وتمامها ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعلمون﴾.

الأمـرين بسـببـين باطلين لا حقيقـة لهما. أمـا الأمـاني فأنها مخايل فاسـدة، وضياع زمان في غير ما لا فائدة فيه. قال علي بن عبيد: الأماني مخايل الجهل. وقال أفلاطـون: الأمـاني حُلم المتيقظ. ومن كلام بعض الحكماء: الأماني تجدك وعند الحقائق تدعك. وقال رجل لابن سيرين[١٣٦] : رأيت كأني أسبح في غير ماء، وأطير في غير هواء، فقال: أنت رجل تكثر الأماني. ولله الخالديّ حيث يقول شعرا:

ولا تكن في الـدنى عبـد المنى أبـدا   إن المُنـى رأس أمـوال المفـاليسِ

إلا أن العاشق ربما استراح إليه وعلل به نفسه، كما يعلل نفسه في طول العمر بالأمل. كما قال بعضهم شعرا:

في المـنـى راحـة وإن عللتـنـا   من هواهـا ببـعض ما لا يكـون

ولله الحارثي حيث يقول شعرا:

أمـاني من سُعـدى حسـانـا كأنـما   سقـتـنـا بها سُعـدى على ظمـأ بردا
منًى إن تكن حقـا تكن أحسن المنى   وإلا فقـد عشـنـا بها زمـنـا رغـدا

أما الحُلُم بالمحبوب وزيارة طيفه في المنام فإنه الحال الحائل والوصال الذي لا تحته طائل. ولله قول القائل:

قد زارني طيفٌ من أهـوى على جلد   من الـوشـاة وداعي الصبـح قد هتفـا
فكـدت أوقظ من حولي به فرحـا   وكـاد يهتـك سترا الحب بي شغفـا
ثم انـتـبـهـت وآمـالي تخيبـني   نَيل المنى واستحـالت غبـطتي أسفـا

وقول ابن القطان البغدادي [٣٤ب]:[١٣٧]

١٣٦ ـ هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبوبكر. تابعي، ولد في البصرة، وتوفي فيها سنة ١١٠هـ/٧٢٩م. ونشأ بزازا، في أذنه صمم. ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا» ونسب إليه أيضـا كتـاب «منتخب الكلام في تفسير الأحلام» انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٠/٥٩، الزركلي، الأعلام: ٦/١٥٤. انظر: ابن سيرين، تفسير الأحلام: ٥١٨.

١٣٧ ـ هو هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز، أبو القاسم ابن القطان البغدادي. شاعر هجاء =

زار الخيال بخيلا من مرسله   لما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يوافقني   على الرقاد فيغنيه ويرتحل

ولما كان الطيف بهذه المثابة لم يرضه بعضهم، بل نفاه وطرده، كما قال طرفة بن العبد[١٣٨] شعرا:

فقل لخيال الحنظلية ينقلب   إليها فإني واصل حبل مَنْ وصل

على أن بعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به، كما قال البحتري:[١٣٩]

إذا ما الكرى أهدى اليّ خيالها   شفى علة التبريح لو نفع الصدى
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا   نُعَذَّبُ أيقاظا ونَنْعَم هجَّدا

بل بالغ التهامي[١٤٠] حتى فضله على اليقظة فقال:

وصْلُ الخيال ووصل الخَوْدِ إن بخلت   سيان، ما أشبه الوجدان بالعدمِ
والطيف أحسن وصفا إنَّ لذته   تخلو من الإثم والتنغيص والندمِ

= ومجون وظرف. ولد ببغداد ونشأ وتوفي فيها سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٤٣/١٣، الزركلي، الأعلام: ٧٥/٨.

١٣٨ ـ هو طرفة بن سفيان بن سعد البكري الوائلي. أبو عمرو. أحد شعراء الطبقة الأولى الجاهليين، وصاحب المعلقة. ولد في بادية البحرين، وقتل حوالي سنة ٦٠ ق.م/٥٦٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٤٠/٥، الزركلي، الأعلام: ٢٢٥/٣. وانظر: الديوان/ ١٨٨.

١٣٩ ـ هو الوليد بن عبيد بن يحي الطائي، أبو عبادة البحتري. هو والمتنبي وأبو تمام أشعر شعراء عصرهم. ولد بمنبج وتوفي فيها سنة ٢٨٤هـ/٨٩٨م، انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٧٠/١٣، الزركلي، الأعلام: ١٢١/٨. وورد البيتان في الديوان وبينهما بيت، مع اختلاف في الرواية. انظر الديوان: ١٥٣.

١٤٠ ـ هو علي بن محمد التهامي، المتوفى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٣٢٧/٤ وانظر الديوان: ٥١٣.

البيت الحادي العشر

كانَتْ مواعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً   وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ

قول: كانت أي صارت، ومواعيد جمع ميعاد كموازين وميزان، وعُرْقُوب، بضم العين وإسكان الراء وضم القاف وبعد الواو باء موحدة، رجُل عرف عند العرب بإخلاف الوعد.

واشتهرت حكايته واختلف في نسبه فقيل: هو عرقوب بن معبد بن زهير، وقيل عرقوب بن صخر، ثم اختلف [٣٥أ] فيه، فقيل: من الأوس، وقيل: من العماليق، وقيل: من بني عبد شمس بن ثعلبة. وكان من أمره أنه وعد أخا له، بيثرب، شيئا، وقال: ائتني اذا أطلع النخل، فلما أطلع أتاه قال: ائتني إذا أبلح، [فلما أبلح][١٤١] أتاه. قال: ائتني إذا رطب، فلما رطب أتاه قال: ائتني إذا صار تمرا، فلما صار تمراً جذّه من الليل، ولم يعطه شيئا، فضرب به المثل في الإخلاف، فقيل: أخلف من عُرقوب. وتداوله شعراء العرب في شعرهم.

وقال الشماخ شعرا[١٤٢].

وعدتني مالا أحاول نفعه   مواعيد عرقوبٍ أخاه بيثربِ

وقال علقمة الأشجعي[١٤٣] شعرا:

---

١٤١ ـ ساقطة من «ب».

١٤٢ ـ هو الشماخ بن ضرار الذبياني، شاعر مخضرم من طبقة لبيد بن أبي ربيعة والنابغة. توفي في غزوة موقان سنة ٢٢هـ/٦٤٣م، انظر: الزركلي، الأعلام: ١٧٥/٣، وانظر الديوان: ٤٣٠، وورد فيه البيت «أو اعدتني مالا أحاول نفعه..» البيت.

١٤٣ ـ هو علقمة بن عبدة، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، توفي سنة ٢٠ق.هـ/ ٦٠٣م. تقريبا. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٢٩٤/٦، الزركلي، الأعلام: ٢٤٧/٤. وانظر البيت في الديوان: ٢٩. وقد ورد كالآتي:

ولقد وعدتك موعودا لو وفت به   كموعود عرقوب أخاه بيثرب

وعـــدتَ وكـــان الخلف منـــكَ سجيةً مواعـــيد عرقـــوب أخـــاه بيثـــرب

والمثل: ما حاكيت به شيئا كان، ولذلك قيل للصور المنقوشة تماثيل. وقوله: وما مواعيدها أي وما مواعيد سُعاد. ويروى: وما مواعيده، بمعنى وما مواعيد عرقوب. والأباطيل جمع باطل، والباطل ضد الحق.

ومعنى البيت: أن هذه المرأة اشتهرت بإخلاف الوعد، كما اشتهر به عرقوب فصارت شبها له في ذلك. حتى لو ضُرب بها المثل كانت جديرة به، ثم أنشد: وما مواعيدهـا، على الـرواية المشهـورة كان ذلـك تأكيدا لإخـلافهـا الوعد، فإنه بعد أن ضرب لها عرقوب مثلا في الإخلاف ذكر إن مواعيدها باطلة لا حقيقة لها، ولم يكن يضرب المثـل بها حتى وصف مواعيدهـا بالأبـاطيل. فكـانت أسوأ حالا في المطل والإخلاف منه، وما أولاها حينئذ بقول القائل شعرا:

لو أنّ الـبـاخـلين وانـتِ منهـم رأوك تعـلمـوا منـك المـطالا

[٣٥ب] وإن أنشد: وما مواعيده، على الرواية الأخرى كانت مماثلة لعرقوب في المطل، من غير زيادة عليه. واعلم: أن المحبين اختلفوا في مطل المحبوب على مذاهب: فقـوم يحملهم طلب اللقاء وعدم احتمال الجفاء على مناقشة الحبيب على إخلافه ولومه على عدم موافاته، كما قال ابن سناء الملك[١٤٤] يخاطب محبوبه شعرا:

وأنـت الـذي أخـلفـتني ما وعـدتني وأشـمـتَّ بي من كان فيك يلومُ

وعـلى هذه الـطريقـة جرى الناظم، رضي الله عنه، في قصيدته وأكثر فيها من إخلاف الوعد وتقريعها من قوله في البيت السادس: أكرم بها خُلة لو أنها صدقت موعودها. . . البيت. وقوم يستعذبون المطل، ويستحلون كواذب الأماني، ويتسلون به عن الوصل، كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض شعرا:

---

١٤٤ ـ هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدي، المصري، أبـو القاسم. توفي سنة ٦٠٨هـ/١٢١٢م، انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/١٣٥، الزركلي، الأعلام: ٨/٧١. ولم أعثر على البيت في الديوان.

عديني بِوَصْلٍ وامطُلي بنجازه فعندي إذا صَحّ الهوى حسن المطل[145]

وآخرون يعدون إن الوعد والأماني سبب الحياة عند فوات الوصل، كما قال العفيف إسحاق[146]:

لولا مواعيد آمالٍ أعيشُ بها لَمتُّ يا أهل هذا الحي في زَمَنِ

وكل ذلك باختلاف رتب المحبين في القرب والبعد، والقوة والضعف.

البيت الثاني عشر

أرجو وآمُلُ أنْ تدنُو مودَّتُها وما إخالُ لدينا منكِ تنويلُ

قوله: أرجو، أي يغلب علمي ظني، تقول: رجوت الشيء أرجوه رجاء بالمد [٣٦أ] إذا غلب على ظنك حصوله، وقوله: وآمُلُ، بمد الهمزة وضم الميم، معناه أرجو أيضا، يقال: أملت الشيء أوَمُّله، بضمها مع المد، إلاّ أن الرجاء لا يكون إلاّ في الممكن. والأمل يكون في الممكن والمستحيل. ولذلك حسن الجمع بينها لحصول مغايرة ما. ثم إنْ جعل قوله في البيت العاشر[147]: فلا يغرنك، خطابا لنفسه، وإن التفت من الخطاب في قوله في أول القصيدة: فقلبي اليوم متبول، إلى قوله: فلا يغرنك، على ما تقدم، كان في قوله التفات أيضا من الغيبة في قوله: فلا يغرنك، إلى التكلم في قوله: أرجو وآمل. ويكون قد رجع إلى حال التكلم الأولى. وإنْ جعلنا قوله: فلا يغرنك، خطابا لغيره فلا التفات، كما لا يكون التفات هناك. وقوله: أن

---

١٤٥ ـ انظر الديوان: ١٣٨. والترجمة رقم ٢٨.

١٤٦ ـ لعله سليمان بن علي بن عبد الله الكومي التلمساني، عفيف الدين، المعروف بالعفيف التلمساني. له ديوان شعر مخطوط. توفي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٤/ ٢٧٠، الزركلي، الأعلام: ٣/ ١٣٠.

١٤٧ ـ كذا في «ب»، وفي «ك» الحادي عشر.

تدنو، أي أن تقرب. وقوله: مودتها، أي مودة سعاد. والمودة خلاف العداوة. وقوله: وما إخال، أي وما أظن، وإخال، بكسر الهمزة على الأفصح ويجوز فتحها، وهي لغة شاذة. وقوله: لدينا، أي عندها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾[148] أي عند الباب. وقوله: منك، والتقدير: أرجو وآمل أن تدنو مودتها، وما إخال لدينا منك تنويل، والتنويل العطاء، والمراد هنا الوصل.

ومعنى البيت: أن مع اتصافها بالجفاء، وإخلاف الوعد، وعدم الوفاء بالعهد لا أقطع الرجاء من مودتها، ولا أيأس من وصلها، بل أرجو ذلك وآمله، وإن كان فيه بُعد. وبيانه من وجهين: أحدهما، أنه لما وصفها بأوصاف القطيعة والجفاء، من أول البيت السابع إلى آخر البيت الحادي عشر، على ما تقدم بيانه في مواضعه، أخذته دهشة المحبة فذهل عما هي عليه من ذلك [٣٦ب] فتعلق بالرجاء، وجنح إلى الأمل فقال: أرجو وآمل أن تدنو مودتها، إذ لا يليق بالشخص أن يقطع رجاءه من مطلوبه، فقد قيل: من طلب شيئا ناله أو كاد. بل ربما كان غير المرجو أقرب إلى الحصول من المرجو. قال الحسين بن علي، كرم الله وجهه: كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه، فإن موسى، عليه السلام، خرج يقتبس نارا، فلم يظفر بها، ورجع نبيا مرسلا. ورحم الله القائل شعرا[149]:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ثم آب إلى عقله فتذكر ما هي عليه من الأوصاف المخالفة لذلك فقال: وما إخال لدينا منك تنويل. وهذا النوع يسمونه أهل البديع الرجوع، لأنه يرجع إلى كلامه السابق بالنقض، كقول ابن الطثرية[150] شعرا:

---

١٤٨ - من الاية رقم ٢٥ من سورة يوسف، وتمامها ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.

١٤٩ - البيت لمجنون ليلى، انظر الديوان: ٢٠٣.

١٥٠ - هو يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، نسبة الى أمه من بني طثر من عنز بن وائل، ابو المكشوح. قتل سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/٢٣٧، الزركلي، الأعلام: ٨/١٨٣. وانظر البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام: ٤٠٨، القصيدة =

ألـيس قليلا نظرةٌ إنْ نظرتهـا إلـيكِ، لكـن ليس منـك قليلُ

فإنـه أولا، استقل النظرة، ثم تذكر أن ذلك ذهول منه، حيث عدّ النظرة من محبوبه قليلا فقال، وليس منك قليل. الثاني، أن يكون الرجاء والأمل وقعا منه على سبيل تعليل النفس ومراوحتها كي لا يغلب عليها اليأس، كما قيل شعرا:

أعـلل بالمـنـى قلبـي لعـلي أروّح بالأمـاني الهـمَّ عنّي
وأعـلم أن وصـلك لا يرجّـى ولـكـن لا أقـلَّ من الـتـمـني

فإن قيل: كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله: وما إخال لدينا منك تنويل، بعد رجائه، بقوله: أرجو وآمل أن تدنو مودتها؟ فالجواب عنه من وجهين: أحدهما، ما أجاب به ابن هشام: أن المودة والتنويل [٣٧أ] شيئان لا شيء واحد، ولا يمنع أن توده بقلبهـا وتمنعه من نوالها(١٥١). الثاني، أن يكون نفي حصول التنويل من حيث بُعدها، ونزوح أرضها، كما أشار إليه في البيت الذي يليه، والله أعلم.

البيت الثالث عشر

أمْسَـتْ سُعـادُ بأرضٍ لا يبَلِّغُـهـا إلا العِتـاقُ النُّجَيْـبـات المـراسِيـلُ

قوله: أمست، يحتمل معنيين: أحدهما، أن يكون المراد: دخلت في وقت المساء، فيكون مقابلا لغداة، من قوله في البيت الثاني من القصيدة: وما سعاد غداة البين إذ

= ٥٣٩، وفيها ورد في البيت قوله:

«وكلا ليس منك قليل».

١٥١ - ابن هشام هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، أبو محمد. أقام بمكة وتوفي بمصر سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٦٣/٦، الزركلي، الأعلام: ١٤٧/٤. وعن النقل من ابن هشام انظر: شرح ابن هشام على قصيدة بانت سعاد: ٤٩.

رحلوا، ويكون المعنى: أنها ارتحلت غدوة، وأمست بأرض بعيدة، ويكون قد وصفها في رحيلها بسرعة السير، بحيث سارت في اليوم الواحد إلى مسافة لا تدرك إلّا بالعتاق النجيبات المراسيل من الإبل، على ما يأتي تفسيره، خصوصا، وقد تقدم في البيت الثاني، أنه عبّر عن رحيلها بلفظ الجمع، إشارة إلى أنها رحلت مع قومها، والقوم إنما يرحلون في الغالب بأثقالهم، فإذا بلغت المسافة البعيدة على الإبل المثقلة كان ذلك في الغاية القصوى من سير الإبل التي رحلت بها وسرعة سيرها. الثاني، أنْ يكون أمست بمعنى صارت، ويكون المراد: أنها وصلت في رحيلها إلى أرض بعيدة في الجملة من غير تقدير، وهو أبلغ في بُعد المسافة، لأن الوصف مستلزم لطول زمن السير، وهذا هو الظاهر. وسعاد هي المحدث عنها أولا، وأعاد اسمها بعد [٣٧ب] قوله: أن تدنو مودتها، بلفظ الغيبة لأنه قصد استئناف نوع آخر من الكلام، وهو وصف أرضها بالبعد، وذكر ما يتوصل بذلك من وصف الناقة. وقوله: بأرض، أي في أرض، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾[١٥٢] أي في جانب الغربي، وقوله: لا يبلغها إلا العتاق، أي لا تبلغ تلك الأرض إلّا النوق العتاق من الإبل. ومعنى: يبلّغها يوصل إليها. والعِتاق، بكسر العين جمع عتيق، وهي الكرام الأصول من الإبل، كأنها عتقت من العيوب. والمراد: ما كان منها منسوبا إلى نتاج فحل كريم، كالمهرية، منسوبة إلى مهرة، قبيلة من قضاعة، والعيدية، نسبة إلى بني العيد، وهي مهرة أيضا، والأرحبية، نسبة أيضا إلى بني الأرحب، وهي قبيلة من همدان، ومن قبائل معروفة بكرام الإبل، والعزيزية، والشذقمية، والجزيلية، وكالداغرية، نسبة إلى عزيز وشذقم والجزيل وداغر، وهي فحول كريمة، والنُّجَيْبَاتُ، بإسكان الياء، جمع نجيْبة، قيل: هي الكريمة الأصل، ويكون تأكيدا لقوله: العتاق، وقيل: القوية الخفيفة السريعة، وقيل النفيسة الفاضلة في نوعها. ويروى: النجيّات، بتشديد الياء، وهي السريعات. والمراسيل، بفتح الميم، جمع مِرسال، بكسرها، السريعات، من قولهم: ناقة رَسْلة، بفتح اراء وإسكان السين، إذا كانت سريعة.

ومعنى البيت: أن محبوبته صارت إلى أرض بعيدة، لا يوصله إليها إلّا النفائس من الإبل القوية، السريعة السير، لبعد مسافة ما بينه وبينها. ثم معنى البيت يرجع

---

١٥٢ - من الآية رقم ٤٤ من سورة القصص، وتمامها ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾.

إلى مقصدين: الأول، بفراقها، بقوله: بانت سعاد، ثم أتبعه بالثاني، بذكر رحيلها، بقوله: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا [٣٨أ] وأتى على ذكر أوصافها المحمودة من الحسن والجمال الذي لا يلوم على العشق معه لائم، ولا يليق عند الاتصاف به أن يعذل معه عاذل، ثم أعقبه بذكر أوصافها في العشرة، من الصد والجفاء، وما في معناه في الأبيات المتعددة بعد ذلك. ثم أعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والأمنية بقوله: أرجو وآمل أن تدنو مودتها، ثم استبعد ذلك في تبيينه، لو كانت قريبة ربما أمكن استعطافها بالتودد والتملق وغيرها من أسباب الوصلة، واكتفى بالنظر إن أمكن، وإلا قنع بقرب الدار، ولله القائل شعرا:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا — يمل، وأن النأي يشفي من الصدّ
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا — على أن قرب الدار خيرٌ من البعدِ

واعلم: أن بعد الأحباب عذاب، وإذا كان المحب مع قرب الدار لا يشفي غليله ولا يشفي عليله، فكيف يصبر على البعاد؟ أو يلذ له طيب الرقاد؟ وكيف يطيق البعدُ[153] مَنْ يقول شعرا:

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له — من شدة الحب: قد أبعدتَ فاقتربِ

أو من يقول شعرا:

سريت إليه في الظلام كأنّه — صريع كرى، والنجمُ في الأفق شاهدُ
فلو أن روحي مازجت ثَمّ روحه — لقلت: إدن مني أيّها المتباعدُ

أو من يقول شعرا:

ومن عجبي انّي أحن إليهم — وأسأل عنهم مَنْ رآني وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سواده — ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

المقصد الثاني، المبالغة في ذكر البعد، بحيث لا يبلغ المقصد [٣٨ب] إليها إلاّ

---

١٥٣ ـ البيتان لمجنون ليلى، انظر الديوان: ٦٩.

بالإبل، دون غيرها، بالأوصاف المتقدمة. والإشارة في البعد فيه من وجهين: الوجه الأول، اختيار الإبل لها دون غيرها من أنواع المراكب، فإن الخيل وإن كان أسرع منها سيرا فإنها في العدو والإسراع على المسافاة القصيرة، بخلاف الإبل، فأنها لها قوة على طول السير مع الإسراع مع ما ينظم إلى ذلك من طاقة حمل الأثقال، وناهيك ما أخبر الله تعالى به عنها من تبليغ المسافة البعيدة بقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[١٥٤]. الوجه الثاني، وصف الإبل الموصلة إليها بالأوصاف العديدة التي ذكرها. لأن كل نوع من الإبل يوصل إليها، وقد وصف الإبل الموصلة إليها بثلاثة أوصاف وهي: العتاق، النجيبات، المراسيل. وإلى هذا الوصف ترجع سائر الأوصاف المحمودة، وهي راجعة باعتبار تفاسيرهما المتقدمة إلى أربعة أوصاف وهي المعتبرة في أوصاف الإبل، كونها كرام الأصول، وهو المعنى بالعتاق. وذلك أن الكريم الطيب الأرومة لا يصدر عنه إلاّ كريم الفعال، كما أن لئيم الأصل لا يصدر عنه إلاّ ضد ذلك، كما قيل شعرا:

كل امرىءٍ يوما راجع لشيمته   إن التخلق يأبى دونه الخلقُ

ومازالت العرب تعتبر طيب الأصل وكرم المجد في إبلها وخيلها، كما تعتبره في نفسها. الوصف الثاني، كونها قوية، لأنها كلما كانت أقوى وأصلب كانت على الحمل أقدر على السير منه، فتكون على القصد أعون، بخلاف ما إذا سلبت وصف القوة فإنها [٣٩أ] لا تبلغ إلى المقصد، وإن كانت سريعة لأنها ربما تكون لا تطيق الحمل، ولكنها خفيفة في السير.

البيت الرابع عشر

وما يُبَلِّغُها إلا عُذَافِرَةٌ   فيها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ

قوله: وما يبلغها إلاعذافرة، أي وما يبلغ الأرض التي أمست بها سعاد إلا ناقة

---

١٥٤ ـ من الآية رقم ٧ من سورة النحل، وتمامها ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾.

عذافرة، والعُذافرة، بضم العين وإسكان الذال وبعد الألف فاء وراء مفتوحات، الناقة الصلبة العظيمة، والجمل عذافر، إذا كان كذلك. وقوله: لها، أي لتلك الناقة. والأيْن، بفتح الهمزة وإسكان الياء تحت وبعدها نون، الإعياء والتعب، والإرقال، بكسر الهمزة وإسكان الراء المهملة وقاف بعدها ألف ولام، ضرب من السير سريع. قال الجوهري[155]: هو نوع من الخبب، وتبعه على ذلك ابن هشام[156]، كما قال ذلك، في بيت من قصيدة الصرصري[157]، شعرا:

هل يبلغني إليها جسرة أُجُدُ يحلو بها في الفلا الإرقال والخببُ

وقال ابن الأثير:[158] هو فوق الخبب، وفسر في كفاية المتحفظ[159] الخبب بأن يرتفع عدو البعير حتى يراوح بين يديه. واعلم: أن سير الإبل في الإسراع على مراتبها، فأولها: العنق، بفتح العين والنون وقاف في آخره، وهو الذي يتحرك، فيه اختلاف لا يحمله هذا الشرح. والذي ذكره ابن إصبع الأزدي[160] في أرجوزته: أن أعلاه التَشعُّر، بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة [٣٩ب] المشددة وبعدها راء مهملة، وهو غاية الطاقة في السير. قال: والإرقال دونه في الرتبة، والتبغيل، بفتح التاء وإسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام، ضرب من السير أيضا، فيه اختلاف بين العنق المقدم ذكره وبين الهملجة، فيكون أعلا من العنق، وكأنه شبيه بسير البغل، لشدته.

---

١٥٥ ـ انظر: الجوهري، الصحاح: ١٧١٢/٤.

١٥٦ ـ ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٥٢.

١٥٧ ـ هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، أبو زكريا، جمال الدين، الصرصري. نسبه إلى صرصر القريبة من بغداد. شاعر ضرير، وله ديوان شعر صغير. توفي يوم دخول التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/٢٣٦-٢٣٧، الزركلي، الأعلام: ١٧٧/٨.

١٥٨ ـ انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٣/٢، وانظر: الحاشية رقم ٧٦.

١٥٩ ـ كفاية المتحفظ في اللغة للقاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الخويني، المتوفي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/١٥٠٠.

١٦٠ ـ لعله عثمان بن محمد بن يوسف الأزدي، أبو الإصبغ، المتوفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٦/٢٧٠.

ومعنى البيت: أنه لا يبلغ أرض سعاد إلا الناقة الشديدة التي لا تكل بالتعب، ولا يضعف سيرها بالإعياء، يلوّح بذلك لناقته. ولما توسم موصل له إلى محبوبته، وبالغة به إلى قصده أطنب في مدحها، وأمعن في وصفها، في هذا البيت بوصفين من أوصاف الإبل الحميدة: الوصف الأول، كونها عظيمة صلبة، وهو المعنى بالعذافرة، وأما كونها [عظيمة][161] فلما فيه من الزين والجمال الممتن في الإبل بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[162] وربما كان أيضا دليل القوة، وأمّا كونها صلبة فلأنه دليل القوة وكثرة الحمل، وناهيك أن الله تعالى قرنها في الذكر والامتنان بالسفن، إشارة الى عظم خلقتها وطاقتها على الحمل فقال عز وجل﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[163]. الوصف الثاني، كونها لا تضعف بكثرة السير، وهو المعنى بقوله لها: على الأين إرقال وتبغيل، وذلك أنه إذا كان سيرها مع الأيْن، وهو التعب، على هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها إذا كانت في حال نشاطها؟ ثم قد تقدم أنّ غاية الطاقة في السير التشعير، والإرقال دونه في الرتبة، والتبغيل فوق العنق، فيكون سيرها في حالة التعب قائما بين الإرقال، الذي [٤٠أ] هو أعلا مراتب السير بعد التشعير، والتبغيل الذي هو فوق العنق. والمعنى: أنه إذا اشتد بها التعب يكون غاية ما ينتهى إليه في تقليل السير والتبغيل، وإذا خف تعبها ترقت إلى الإرقال، وفي حالة النشاط يكون سيرها التشعير، فكذا كانت عظيمة صلبة، مع اشتمالها على الخفة والإسراع وعدم الإعياء وجهدت نفسها في السير على هذا الأسلوب، بلغ بها المدى البعيد في الزمن القصير.

البيت الخامس عشر

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ   عُرْضَتُها طامِسُ الأعلام مَجْهُولُ

---

١٦١ ـ ساقطة من «ب».

١٦٢ ـ سورة النحل الآية رقم ٦.

١٦٣ ـ من الآية رقم ١٢ من سورة الزخرف، وتمامها ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾. وقد ورد خطأ في «ب» و «ك» وخلق لكم من الفلك... الآية.

قوله: من كل نضاخة الذفرى، أي الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة الذفرى بالعرق إذا عرقت، ثم هو محتمل معنيين: إما أن يريد أنها ناقة من النياق المتصفة بهذه الصفة، وإما أن يريد أن أصل وجودها من كل ناقة، هي كذلك، ويكون ذلك وصفا لها، لأنه وصفها بكرم الأصل، وهذا هو الذي رجحه ابن هشام في إعرابه القصيدة[١٦٤]. والنضاخة، بفتح النون وتشديد الضاد وبعد الألف خاء ثم تاء التأنيث، الكبرى الكثيرة السيلان، يقال: عين نضاخة، إذا كانت كثيرة الماء، الفوارة. ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[١٦٥]، والذِّفْرى، بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاء والراء المهملة، وهي النقرة التي خلف أذن الناقة والبعير، وهي أول ما يعرق منها. وأقام المفرد فيه مقام التثنية. والمعنى: نضاخة الذفريين لأن لكل ناقة ذفريين. وقوله: [٤٠ب] إذا عرقت، أي أنها إذا عرقت ينفح ذفراها بالعرق، وكأنه يصفها بشدة جهد نفسها في المسير حتى يصير العرق يسيل من ذفريها. وقوله: عُرْضَتُها طامس الأعلام مجهول، أي عرضتها طريق طامس الأعلام، أي عُرْضَة تلك الناقة، وهو بضم العين وإسكان الراء وفتح الضاد. وقد ذكر التبريزي[١٦٦] في تفسير هذا البيت معنيين: الأول، أنه من قولهم: بعير عرضة للسفر، أي قوي عليه، وعلى هذا اقتصر ابن الأثير في نهايته[١٦٧]، ويكون المعنى: أن لها قوة معرفة الطريق الدارسة. الثاني، أنه من العارض الذي يعرض للشيء فيمنعه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا ﴾[١٦٨] أي لا تجعلوا الحلف بالله متعرضا ما بقي لكم أن تبروا، ويكون المعنى: إذا عرض لها طريق دارس

---

١٦٤ - ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٥٣.

١٦٥ - سورة الرحمن/ الآية رقم ٦٦.

١٦٦ - هو يحيى بن علي الخطيب التبريزي، أبو زكريا. أديب، نحوي، لغوي، عروضي. توفي ببغداد سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/٢١٤، الزركلي، الأعلام: ٨/١٥٧، وعن شرح البيت انظر: الخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ١٩.

١٦٧ - أنظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٢٠٨ وما بعدها، وانظر: الحاشية رقم ٧٦.

١٦٨ - من الآية رقم ٢٢٤ من سورة البقرة، وتمامها ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾.

استخرجته. قال ابن هشام: ولا مساغ لواحد من المعنيين[169]، فالعرضة هاهنا بمعنى الهمة فيكون عرضتها في البيت معناه همتها. ومنه قول حسان بن ثابت[170]، رضي الله عنه:

قد أعددت جندا من الأ نصار عرضتها اللقاء

والطامس الأعلام، المراد به الطريق الدارس الذي محيت آثاره، والأعلام العلامات، والمراد ما يستدل به على الطريق من أثر مشي وغيره. والمجهول الذي لا يعرف، وهو تأكيد لقوله: طامس الأعلام، مجهول ضرورة.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة لها اهتمام بالسير ومعرفة بالطريق المجهولة التي لا تدرك، وذلك أنه وصفها فيه بوصفين: الوصف الأول، كثرة العرق من ذفرتها، والعرق لا يكون إلّا مع اشتداد في السير، واهتمام به، خصوصا مع ما تقدم [٤١أ] من وصفها بالقوة والصلابة. لأن العرق مع القوة لا يكون إلّا من كثرة كد وشدة سير، وناهيك ما وصف به من ذفرييهامن النفح الذي هو في غاية الكثرة، على ما تقدم تفسيره. الوصف الثاني، المعرفة بالطرقات الطامسة الأعلام، الذاهبة الآثار، لكثرة الأسفار، وسلوكها المفازات، وهذا وصف شريف من أوصاف الإبل، فربما ضل الراكب عن الركب، لنوم أو غيره، فتذهب عليه معرفة الطريق فيهلك، فإذا كانت ناقته لها دربة بمعرفة الطريق نجت به من تلك المفازة، وخلصته من الهلكة. وقد حكى أبو علي بن سينا[171]: أنه كان في ركب فضلوا الطريق في مفازة عظيمة، كادوا

---

١٦٩ - انظر: ابن هشام الانصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٥٥.

١٧٠ - هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. صحابي جليل، وشاعر الرسول. توفي سنة ٥٤هـ/٦٧٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/١٩١، الزركلي، الأعلام: ٢/١٧٥. وورد البيت في الديوان:

وقال الله: قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء

انظر الديوان: ٩.

١٧١ - هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس. أصله من بلخ، وولد بقرية في بخارى، ومات في همذان سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٧م. له مؤلفات كثيرة في الفلسفة والطب والمنطق والطبيعة. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣/٢٠، الزركلي، الأعلام: ٢/٢٤١.

يهلكوا فيها، فعمدوا إلى بعير كان معه، فالقوا زمامه على غاربه وأرسلوه، فسار بهم وهو يقفو الطريق، حتى خلص بهم إلى المقصد الذي كانوا يقصدون، فسبحان الملهم.

البيت السادس عشر

ترمي الغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لهِقٍ   إذا توقَّدَتِ الحِزَّازُ والمِيلُ

قوله: ترمي الغيوب، أي ترمي تلك الناقة الغيوب، بضم الغين والياء وبعد الواو باء موحدة، جمع غيب، كفلوس جمع فلس، أو جمع غائب، كشهود جمع شاهد، والمراد آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون وخفيت عن الأبصار. وقوله: بعيني مفرد، أي ترى الغيوب بعينين مثل عيني مِفرد، وهو الثور الوحشي الذي انفرد عن [٤١ب] أنثاه، وغلب عليه وصف المفرد، كما غلّب الأغن على الظبي، واللّهق، بفتح الهاء وكسرها، الأبيض، وصف الثور بكونه أبيض، والتوقد المراد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار. والحزاز، بكسر الحاء وفتح الزاي وبعد الألف زاي أيضا، جمع حزيزة، بحاء مهملة مفتوحة وزائين بينهما ياء مثناة تحت، الغليظ الصلب من الأرض. والمِيل، بكسر الميم جمع مِيلا، بفتحها، وهو ما تعقد من الرمل وتراكم. ومعنى البيت: أن هذه الناقة إذا اشتد الحر وتوقدت الرمال والأمكنة الصلبة بحر الهواجر وقرت العيون لشدة تأثير الشمس كانت حينئذ في غاية تحدق البصر لمعرفة الطرق الدارسة الآثار، وذلك أنه لمّا ذكر في البيت الذي قبله، أن همتها الطريق الطامس الأعلام المجهوا المسالك، بيّن في هذا البيت وجه اهتمامها بذلك فشبهها بالثور الوحشي الذي قد ألف البراري والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها، واعتاد الصبر على شدة الحر فلم يكن الحر يقدح في بصرها ولم يؤثر في عينها بان كان همتها ما هي عليه من استخراج المغيبات في الطريق، وخفي المسالك حتى أنها بمجرد رمي بصرها إلى الأرض تدرك الطريق وتبين السبيل، فما ظنك بها في غير هذه الحالة! فإن قيل: لِمَ خصّ الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة البصر دون غيره من الحيوانات؟ ولِم خصه بذلك في حالة تفرده دون غيره؟ الجواب: أن الثور الوحشي من أحدّ الوحوش

نظرا، وإذا انفرد عن أنثته يكثر حينئذ تحديقه في النظر ويقوي نشاطه وخفته. فإن قيل: لم خصه بالبياض ولا مدخل للون في تشبيهه الناقة بالثور في حدة البصر؟ فالجواب: في ذلك معنى آخر غير تحديق [٤٢أ] النظر وحدته، وهو الحسن، لأن عين البقر الوحشية في غاية من السواد، فإذا كان الثور منها مع سواد عينيه أبيض كان في غاية من الحسن.

البيت السابع عشر

ضَخْمٌ مُقَلَّدُها عَبْلٌ مُقَيَّدُها   في خَلْقِها عَنْ بنات الفَحْلِ تَفْضِيلُ

قوله: ضخم مقلدها، أي ما يبلغها إلا ناقة عذافرة ضخم مقلدها، والضخم، فتح الضاد وإسكان الخاء، الغليظ، والمقلد، بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام، موضع القلادة من العنق. ويجوز أن يريد جميع العنق، تشبيه للكل باسم الجزء، ويؤيده في البيت الذي يليه غلْباء، فإن المراد بها الغليظة العنق، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى. وقال أبو هلال العسكري، رحمه الله تعالى، في كتابه الصناعتين: إن وصف المقلد بالغلظ من خطأ الوصف، وإنما توصف النجائب برقة المذبح، فتعين حمله على جميع العنق[١٧٢]. وقوله: عبل مقيدها، أي مقيد تلك الناقة، والعَبْل، بفتح العين وإسكان الباء، الغليظ أيضا، والمقيد، بضم الميم وفتح القاف وتشديد الياء، موضع القيد منها. ويُروى: فَعْمٌ بفتح الفاء وإسكان العين المهملة بدل عبل وهو معناه. وقوله: في خلقها عن بنات الفحل تفضيل، أي في خلق تلك الناقة عن بنات الفحل والخَلْق، بفتح الخاء وإسكان اللام، بمعنى الخلقة، والمراد بها الإناث من الإبل والفحل، المراد فحل الإبل المعد للضراب. والتفضيل المراد به [٤٢ب] الزيادة في الفضل، وهو محتمل لمعنيين: الأول، أن يريد أنها مفضلة على غيرها في عظم الخلقة والضخامة. الثاني، أنها مفضلة على غيرها في حسن التكوين، ويحتمل أن يريدهما جملة.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة في غاية القوة والضخامة والحسن على ما يقتضيه تفسير كلامه. وذلك أنه وصفها بثلاثة أوصاف: الوصف الأول، ضخامة المقلد، وقد

---

١٧٢ ـ انظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين: ١٠٧. وانظر: الحاشية رقم ٤٨.

تقدم أن الظاهر أن المراد به جميع العنق، وضخامة العنق دليل ضخامة جميع هامتها وعظمها. الوصف الثاني، عبالة المقلد على ما تقدم تفسيره وغلظ ذلك منها مؤذن بقوتها وصبرها على السير، وطاقتها على أكثر الحمل. الوصف الثاني، تفضيلها على غيرها من الإبل، فإن حملناه على عظم الخلقة وكبر الهامة، كان في معنى ما تقدم من ضخامة المقلد وعبالة المقيد، ويكون بين أجزائها مناسبة، وهو من صفات المدح أيضا، بخلاف ما إذا كان بعض أعضائها لا يناسب بعضا في الضخامة والرقة، فإنه مما يذم. وإن حملناه على حسن التكوين كانت قد جمعت بين ذلك وبين القوة في قوله: عبل مقيدها، كما تقدم وإن حملناه على عظم الخلق وحسن التكوين جميعا كانت قد جمعت بين القوة وعظم الخلق وحسن التكوين، والله تعالى أعلم بالصواب.

البيت الثامن عشر

غَلْبـاءُ وَجْـنـاءُ عَلْكُـومٌ مُذَكَّـرةٌ   في دَفِّـهـا سَعَـةٌ قُدَّامَـهـا مِيْـلُ

قوله: غلباء وجناء علكوم مذكرة، أي وما يبلغها إلا ناقة عذافرة غلباء، [٤٣أ] إلى آخره. والغلبة بفتح الغين وإسكان اللام وبعد الباء الف، وهي الغليظة العنق، وقد يجري في غير العنق أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾[١٧٣] أي غليظة الأشجار. والوجناء، بفتح الواو وإسكان الجيم وبعد النون ألف، محتملة معنيين: أحدهما، أن يريد به العظيمة الوجنتين وهما طرفا الخد. الثاني، أن يريد الصلبة أخذا من الوجنتين وهو ما صلب من الأرض. والعلكوم، بفتح العين وإسكان اللام الشديدة، وهو من الأوصاف المختصة بالإبل، ويستوى فيها الذكر والأنثى. والمذكرة، بالذال وفتح الكاف المشددة، التي هي في عظم خلقها كالذكر من الأباعر. وقوله: في دفها سعة، والدف، بفتح الدال وتشديد الفاء، الجنب، والمراد جنباها جميعا. والسعة، بفتح السين، ضد الضيقة. قوله: قدامها ميل، ضد خلف، والميل، بكسر الميم، مد البصر. وهو مقدر بالذرع بأربعة آلاف ذراع بالها شميّ، وهو ذراع قدّره بنو العباس، حين أفضت الخلافة إليهم، لقياس الأرضين. ونسب

---

١٧٣ - سورة عبس/ الآية رقم ٣٠.

إلى بني هاشم لكون بني العباس من جملتهم. وما وقع لبعض أصحابنا الشافعية من نسبته إلى هاشم جد النبي ﷺ نسب فيه إلى الوهم. وقال أبو القاسم الزجاجي[174] في شرح مقدمة أدب الكاتب: وهو ذراع وثلث، بذراع اليد. ووقع في كلام الجيلي الشافعي: أنه ذراع، بذراع اليد. والظاهر الأول، وهو أربعة وعشرون إصبع، كل إصبع سبع شعرات معترضات بطن إحداهن لظهر الأخرى، والشعيرة سبع شعرات من شعرات البِرْذَوْن معترضات بطنا لظهر، وبالخطى بأربعة آلاف خطوة، [٤٣ب] كل خطوة ثلاثة أقدام. وبالبرد بأربعة برد، كل بريد ثلاث فراسخ، وبالزمن سير يومين معتدلين لا ليلة بعدهما بسير الأثقال ودبيب الأقدام. قوله: قدامها ميل، يحتمل معنيين: أحدهما، أن يريد طول العنق، وأن عنقها مدّ ميل، للمبالغة في طوله. وعليه اقتصر ابن هشام في شرحه[175]. الثاني، أن يريد سعة الخطو، وأن مقدار خطوتها مد البصر. قال بعضهم، يصف فرساً، شعرا:

كَمْ سابحٍ أعددته فوجدته عند الكريهة وهو نسر طائرُ
لم يرم قط بطرفه في غاية إلا وسابقه إليها الحافرُ

ومعنى البيت: أنها مشتملة على القوة والصلابة وذلك أنه وصفها بستة أوصاف: الأول، غلظ العنق، وهو المعنى بقوله: غلباء، على ما تقدم ذكره. وقد تقدم في البيت الذي قبله ما يوافقه من تفسير قوله: ضخم مقلدها، فيكون هذا الوصف قد تكرر معه في بيتين متواليين، وهو أخف من تخصيص المقلد بموضع النجائب، إنما توصف برقة المذبح. الوصف الثاني، عظم الوجنتين، وهو المراد بالوجناء، على ما تقدم، وهو من الأوصاف المحمودة، فالإبل، بخلاف الخيل، فإنه يحمد فيها قلة لحم الخدين.

---

١٧٤ ـ هو عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، ولد بنهاوند، ونشأ ببغداد وتوفي بطبرية سنة ٣٣٧هـ/٩٤٩م. له عدة مؤلفات، أشهرها: كتاب الجمل الكبرى والأمالي واللامات وشرح أدب الكاتب لابن الجواليقي. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٢٤/٥، الزركلي، الأعلام: ٢٩٩/٣. وأدب الكاتب لموهوب بن أحمد بن محمد، أبو منصور ابن الجواليقي. ولد في بغداد وتوفي فيها سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م. وهو عالم باللغة والأدب، وله عدة مؤلفات أشهرها: أسماء خيل العرب وفرسانها، وشرح أدب الكاتب. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٥٣/١٣، الزركلي، الأعلام: ٣٣٥/٧.

١٧٥ ـ انظر: ابن هشام الانصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٠

فإن حمل لفظ الوجناء على الصلبة، وهو التفسير الثاني فيها، كان ذلك موافقا لأحد أمرين في العذافرة، في البيت الرابع عشر، المراد بها الصلبة العظيمة، على ما تقدم. الوصف الثالث، كونها شديدة وهو المراد بالعلكوم وهو المراد بالقوة، وقد تكرر وصفها به فلا شك أنه أعلا أوصافها. الوصف الرابع، كونها عظيمة الخلقة، وهو [٤٤أ] المعنى بالمذكرة، وقد تكرر الوصف به أيضا، على أنه قد يراد بالمذكرة ما هو أعم من عظَم الخلقة. فقد قال بعض الحكماء إن المذكر من الإبل أحسن خلقا، وأقل عبثا، وأعـز نفسا، وأكرم عهداً، وأدوم وداً، وأصبر على المكروه النازل به، من الأنثى. الوصف الخامس، كونها واسعة الجنبين، وهو المؤكد للوصف الرابع لاستلزام عظم الخلقـة. الوصف السادس، طول العنق وهو المراد بقوله: قدامها ميل، على أحد التفسيرين فيه، وفيه من تمام حسنها، ويكون قد وصفها في أول البيت بغلظ العنق، وفي آخره بطوله، فأكمل لها الوصفين جميعا. وفي إن حملنا: قدامها ميل، على سعة الخطو كان وصفا لها بسرعة السير الذي هو المقصود الأعظم وقد تكرر.

البيت التاسع عشر

وجِـلْدُهـا من أَطُـومٍ ما يُؤَيِّسُـه طِلْحٌ بَضَـاحِيـة المتَنَـين مَهْـزُول

قوله: وجلدها من أطوم، أي جلد تلك الناقة. والأطوم بضم الطاء، بكل حال، وهو بفتح الهمزة، الزرافة، وقيل: السلحفاة البحرية، أو سمكة غليظة الجلد تشبه جلد البعـير الأملس، يتخـذ منها الخفاف للجمّالين، ويخصف بها النعال. ويكون التقـدير: وجلدهـا من جلد كجلد أطوم. وقوله: ما يؤيسه طلح، أي ما يؤثر فيه طلح، و يُؤَيِّسُه، بضم الياء المثناة من تحت المكسورة وضم السين، والطلح، بكسر الطاء وإسكان اللام وبعدها حاء مهملة، القراد. وقوله: بضاحية المتنين، أي ما يؤثر الطلح المذكور في ضاحية المتنين، والمراد [٤٤ب] بالضاحية البارزة للشمس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[١٧٦] أي ولا تبرز للشمس. والمتنين

---

١٧٦ ـ سورة طه/ الآية رقم ١١٩.

جانبا ظهرها، وهو ما اكتنف صلبها من اليمين و الشمال من لحم و عصب[177] وقوله: مهزول، ما يؤثر فيه طلح مهزول.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة في غاية الصلابة لسمنها وضخامتها بحيث أن القراد لايؤثر جلدها، وذلك أنه إن فسرت الأطوم، الذي جعل جلدها منه، بالزرافة أو السلحفاة البحرية أو السمكة الغليظة الجلد كان وصفها بأغلظ جلد وأصلبه. وإن فسرناه بالحصون المبنية بالحجارة كان أبلغ في الصلابة، ثم أكد ذلك من ثلاثة أوجه: الأول، أنه جعل ظهرها في هذه الحالة بارزا للشمس، وهو المراد بالضاحية، على ما تقدم ذكره. والمعنى فيه: أن القراد في الشمس تقوى همته وتهيج حركته واشتداده على امتصاص الدم بخلاف حالة البرد فأنه تضعف قوته، فإذا عجز عن التأثير فيها في حالة بروزها للشمس، فلأن يضعف في البرد أولى. الوجه الثاني، لا يستطيع التأثير في جلدها مع شدة الجوع الذي هو فيه أشد انهماكا على امتصاص الدم، وأكثر ولوعاً، والله أعلم بالصواب.

البيـت العشـــرون

حَرْفٌ أَخُـوهـا أَبُـوهـا من مُهَجَّنَةٍ وعَـمُّـهَـا خالُهـا قَوْدَاءُ شِمْـلِيـلُ

قولـه: حرف، أي تلك النـاقة. والمراد بالحرف هنا حرف الجبل، وهو القطعة الخارجة عنه، شبهها به لقوتها، وأنها لا تتأثر بما يأتي عليها. كما أن حرف الجبل لا يتأثر بما يأتي عليه لصلابته، [٤٥أ] إذ يتصدع ما حوله ويتساقط لطول الزمن، وحرارة الشمس، واحجاف السيل ولا يبقى فيه إلا أصلب الحجر وأشده. ولا يجوز أنْ يراد بالحرف، في كلامه حرف الكتابة، إشارة إلى رقتها وضمورها، لأن ذلك ينافي ما تقدم من وصفها بعظم الخلقة، وسعة الجنب، وغير ذلك. وقوله: أخوها أبوها، يحتمل معنيين: الأول، أن يكون «أخوها» يشبه أباها في الكرم فتكون موصوفة بكرم النسب وجودة الأصول. والثاني، أن يريد «أخوها» «أبوها» حقيقة، ويكون المعنى: أنها من

---

١٧٧ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: «من يمين ومن شمال ومن لحم وعصب».

إبل، كرام يحمل بعضها على بعض لحفظ أصولها. وتصويره ظاهر وهو أن يضرب فحل أمه فتأتي بناقة، فيكون ذلك البعير أباها، وهو أخوها لأمها. وقوله: من مهجنة، أي تلك مولدة من ناقة مهجنة أو من نياق مُهَجَّنة، بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون، الكريمة الأبوين من الإبل، وهو مما يمتدح هاهنا. وأصل المهجنة عظم الخلق، وغلظ العنق، والهجين من الخيل ما كان أبوه عربيا وأمه أعجمية، وهو عيب ونقص في الخيل. وقوله: وعمها خالها يحتمل أيضا وجهين: الوجه الأول، أنّ عمها يشبه خالها في الكرم، الوجه الثاني، أنّ عمها هو خالها حقيقة، وصورته أن يضرب أبو أبيها أم أمها فتأتي ببعير، فذلك البعير عمها، لأنه أخو أبيها لأبيه، وخالها، لأنه أخو أمها لأمّه. ويمكن أن يصور بصورة أخرى: وهي أنّ أخاها من أبيها ضرب أختها من أمها فأتت ببعير، فيكون ذلك البعير عمها، لأنه أخو أبيها لأبيه، وخالها لأنه أخو أمها لأمّه، على أنّ مثل هاتين [٤٥ب] الصورتين تتأتى في الأدميين في الأنكحة الشرعية، أما تصور أن يكون أخوها أبوها، وعمها خالها، في صورة واحدة، وهو أن يضرب فحل بنته فتأتي ببعير فيضربها أحدهما فتأتي بناقة، فأبوها أحد البعيرين، وهو أخوها لأمها، وعمها البعير الثاني لأنّه أخو أبيها لأبيه وأمه، وخالها لأنه أخو أمها لأبيه. وقوله: قوْداء، بالمد، وهو بفتح القاف وإسكان الواو وبالدال المهملة، الطويلة الظهر والعنق. وقوله: شمليل، بسين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء ولام، الخفيفة السريعة.

معنى البيت: أن هذه الناقة مع كرم أصلها خالصة النسب، لم يشبها شائبة في نسبها، ولا نزعها عرق في كرمها، وذلك أنه جعل علامتها في النسب في الأبوة والأمومة والأخوة راجع إلى أصل واحد لم يخالطه غيره من إبل أخرى يوشك أن تكون غير حسبية. واعلم: أنه قد صدّر البيت بقوله: حرف، وقد تقدم أن المراد بالحرف الصلبة القوية، ثم أتبعه بذكر تداخل نسبها إشارة إلى أن مثل ذلك يؤثر في الإبل القوية لرجوعها إلى نسب محقق فيه ذلك، إلاّ أن مثل ذلك إذا وقع في الأدميين أثر الضعف ونحافة البدن. وقد رُوي أن رسول الله ﷺ قال: لا تناكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا[١٧٨]. والضاوي الشديد النحافة. والمعنى فيه: أن

١٧٨ - قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلا معتمدا. وأورده الغزالي. انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين: ٢/ ٦٣.

الشهوة إنما تثور بقوة الإحساس بالنظر واللمس، وإنما يقوي الإحساس بالنظر بالأمر الجديد الغريب، أما المعهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحسّ من تمام إدراكه والتأثر به فلا تثور الشهوة. وهذا المعنى مفقود في الإبل، فإنها [٤٦أ] مجرد شهوة من غير عقل، فكانت شهوتها في الغريب وغيره على حد واحد، وإنما يعتبر فيها بقوة الفحل وأصالته، ثم إنه لما أثبت للناقة كرم الأصل بقوله: من مهجنة، وخلوص النسب بقوله: أخوها أبوها، وعمها خالها، رتب لها ذلك على صفتين من صفات كرائم الإبل: الصفة الأولى، طول الظهر والعنق، وهو المعنى بقوله: قوداء، على ما تقدم تفسيره، وهو من أوصاف الإبل التي يمتدح بها. الصفة الثانية، الخفة والسرعة، وهو المراد بقوله: شمليل، وهو من أجمل الأوصاف التي فيها. فإن قيل: قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله: النجيبات المراسيل، على ما تقدم، ثم أعاده هنا ووصفه بطول العنق بقوله قوداء؟ الجواب: أن ذكر السرعة أولا راجع إلى الوصف العام في الإبل، حيث قال: أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق... البيت، وذكره هنا مقصورا على هذه الناقة المخصوصة وكيف ما كان فالخفة والسرعة هي المطلوبة في الناقة لهذه الحالة، إذ الغرض سرعة توصله إلى محبوبته، مع بعد مسافة ما بينه وبينها. وأما وصف طول العنق فإنه في قوله: قدامها ميل، جعله وصفا مستقلا بهذا المعنى. وفي قوله: قوداء، أراد به طول الظهر وطول العنق خاصيته.

البيت الحادي والعشرون

يمشي الـقُـرادُ عليهـا ثم يُزلـقُـه منهـا لَبَـانٌ وأقْـرابٌ زَهَـالِـيـلُ

قولـه: يمشى القراد عليها، أي الناقة، والقُراد، بضم القاف، أحد القردان، كالغلام واحد الغلمان. وقوله: ثم يزلقه منها لبان وأقراب، واللبان، بفتح اللام قيل: هو الصدر، وقيل: وسطه، وقيل: ما بين القدمين، والمراد: [٤٦ ب] أن القراد يزلق من هذا المكان. والأقراب، بهمزة مفتوحة وقاف ساكنة وراء مهملة وبعد الألف باء موحدة، الخواصر، كأبعاد جمع بُعد، وقوله: زهاليل، والزهاليل، بفتح الزاي، الملس.

ومعنى البيت: أن جلد هذه الناقة في غاية الملاسة لسمنها، بحيث أن القراد لا يثبت عليها بل إذا وقع على جسدها زلق وسقط عنه، وذلك مما يستحسن في أوصاف الإبل. وهذا البيت في الحقيقة مؤكدة لقوله: وجلدها من أطوم . . . البيت المتقدم. قال ابن هشام: ولو ذكره، إلى جانبه، كان أولى[179]. وذلك أنه في ذلك البيت وصف جلدها بالصلابة، بحيث أنّ الطلح الذي هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته. وهذا قدر زائد على ذلك وهو ملاسة جلدها، بحيث أنّ القراد يزلق من عليه. فإن قيل: لم خصّ الصدر والخواصر بإزلاق القراد دون غيرها من سائر بدنها؟ الجواب: أن هذين الموضعين أحسن ما يكون في الناقة لملامستها الأرض إذا بركت. فإذا كان القراد يزلق عنها لملاستها فلأن يزلق عن غيرهما من باب أولى. فإن قيل: عطف قوله: يزلقه بثم، وهي للتراخي، لأنك إن قلت: جاء زيد ثم عمرو، وكان يقتضي ذلك أن بين مجيئها زمن مهلة، فإن كان كذلك فمقتضى قوله: يمشي القراد عليها ثم يزلقه منها لبان . . إلى آخره، أن القراد لا يزلق عنها بسرعة، بل يبقى زمانا؟ الجواب: أنّ ثم قد تقع في كلام العرب لغير الإمهال، كما في قول الشاعر:

كهـز الـرديني تحت الـعـجـاج جرى في الأنـابـيب ثم اضـطـرب[179ب]

إذ ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان هذه الأنابيب، فكذلك لا يراد هنها تطاول زمن مشي القراد عليها، وتراخي الإزلاق عنها، والله أعلم بالصواب.

[٤٧أ] البيت الثاني والعشرون

عَيْرانَـةٌ قُذِفَت بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ مِرْفَقُهـا عن بنـاتِ الـزَّورِ مفتُـول

قوله: عيرانة: أي تلك الناقة عيرانة، والعيران، بالعين المهملة وإسكان الياء وبعد الألف نون ثم هاء التأنيث، المشبهة في صلابتها عير الوحش، وهو حماره. وقوله:

---

١٧٩ - انظر: ابن هشام الانصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٣ وعبارة ابن هشام: «ولكان أليق».

(١٧٩ب) البيت لأبي دؤاد الأيادي راجع شرح شواهد شروح الألفية للعيني لهامش الخزانة =

قذفت بالنحض، أي رُميت به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ﴾[180]. ويروى: قذّفت، بتشديد الذال، للمبالغة. والنحض، بفتح النون وإسكان الحاء المهملة وبالضاد المعجمة، اللحم. وقوله: عن عرض، أي جانب. والعُرض، بضم العين والراء وبالضاد، الجانب والناحية. والمراد: أنها رميت باللحم من جوانبها ونواحيها من شدة السمن. وقوله: مرفقها عن بنات الزور مفتول، عن بنات زورها. والمِرفَق، بكسر الميم وفتح الفاء، معروف، وهو مما قام فيه المفرد أيضا مقام المثنى. لأنّ لها في الحقيقة مرفقان. والبنات جمع بنت. والمراد هنا: ماحول الزور، وما يتصل به من الأضلاع. والزور، قيل: جميع الصدر، وقيل: أوسطه، وقيل: أعلاه. والمفتول، المتجافي، والمراد: أنّ مرفقها جاف عن صدرها.

ومعنى البيت: أنّ هذه الناقة تشمل على ثلاث صفات في الإبل المحمودة الصفة: الأولى، شدة الصلابة، بحيث أنها تشابه حمار الوحش في قوتها وصلابتها، وذلك أن حمار الوحش من أشد الحيوانات قوة، وأصلبها جسداً. وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير موضع، إلا أنه بألفاظ [٤٧ ب] مختلفة، فحسن التكرار في موقعها. وقد يريد بذلك التأكيد، فإن هذا الوصف هو المقصد الأعظم من الإبل، على ما تقدم ذكره قبل ذلك. الصفة الثانية، السمن، وهو المعنى بقوله: قذفت بالنحض عن عرض، على ما تقدم تفسيره، وقد تكرر له هذا الوصف أيضا بألفاظ مختلفة. والمعنى بتكراره: أنه قد وصفها بالسرعة والخفة وجهد نفسها في السير، فإذا كانت خفيفة في السمن، وسمنها لا يتأثر ولا ينقص مع طول السير وقوته كانت في غاية النفاسة التي تكون خارقة للعادة. الصفة الثالثة، تجافي مرفقيها عما حول زورها، وهو المعنى بقوله: مرفقها عن بنات الزور مفتول، والمعنى فيه: أنه إذا كان مرفقاها متجافيين عن صدرها، لا يصيبها ضاغط ولا حازٌ، فيكون أسلم لها في السير، وأبعد لها في العطب. والمفتول، المدمج المحكم.

= ١٣١/٤.

١٨٠ - من الآيتين ٨، ٩ من سورة الصافات، وتمامها ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب﴾.

كأنَّما فاتَ عَيْنَيْهَا ومَذْبَحها مِنْ خَطْمِها ومِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطيل

«ما» في كأنما، اسم بمعنى الذي، موضعه نصب بكأنَّ، والخبر قوله: برطيل. وفات، قال أبو عمرو[١٨١]: معناه: تقدم. وقال الاصمعي[١٨٢]: الوجه كله فائت العينين إلّا الجبهة. وقال: هو ما انقطع من المذبح، وفات العينين. ومذبحها منصوب بالعطف على عينيها. والمذبح والمنحر واحد. والخطم قال أبو عبيدة[١٨٣]: الأنف، ورد عليه ذلك فإنه لا يختص بالأنف بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام. فيشمل الأنف وغيره، ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن مرسنا. وقد يستعمل في الآدمي كقول العجاج[١٨٤] يصف امرأة: [٤٨أ]

أزْمانَ أبْدَتْ واضحاً مُفَلَّجا أَغَرَّ برّاقاً وطْرفاً أبْرَجا
ومُقْلَة وحاجِباً مزَجَّجا وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا

الأبرج الذي بياضه محدق بالسواد كله، فلا يغيب من سواده شيء. يقال منه: امرأة برجاء بينة البرج، ورجل أبرج، وجمعها برج، بوزن البرج، واحد البروج. ولم

---

١٨١ ـ انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٥، والحاشية رقم ٧٥.

١٨٢ ـ هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. إمام في اللغة والشعر والبلدان. ولد بالبصرة وتوفي فيها سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. له عدة مؤلفات أبرزها: الإبل، والأضداد، خلق الإنسان، الخيل، وغيرها. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٨٧/٦، الزركلي، الأعلام: ١٦٢/٤. انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد ٦٥.

١٨٣ ـ هو معمر بن المثنى التيمي ولاء، أبو عبيدة النحوي. توفي سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣٠٩/١٢، الزركلي، الأعلام: ٢٧٢/٧. وانظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٥.

١٨٤ ـ هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجّاج. أحد الرجاز العرب الجاهليين. توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م تقريبا. انظر: الزركلي، الأعلام: ٨٦/٤. وانظر البيت عند ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٥، وابن منظور، لسان العرب: ٢٩٨/٢. وديوان العجاج: ٢/ ٣٣-٣٤.

يسمع وصف الأنف بالمسرج قبل العجاج. واختلف أهل اللغة في معناه على ثلاثة أقوال: أحدها، كالسراج في البريق. والثاني، أنه يحسن من قولهم: سرج الله وجهه، أي حسنه. ولم يذكر صاحب المحكم[185] سواه. والثالث، أنه كالسيف السريجي في الدقة والإستواء، وهو منسوب إلى قَيْنٍ يقال له سريج[186] ولم يذكر التبريزي[187] غير هذا القول. وقال الأصمعي: ما كنت أعرف المسرج ولا اسمه إلاّ في بيت العجاج فسألت عنه إعرابيا فقال: أتعرف السريجيات، يعني السيوف؟ فقلت: نعم، فقال: ذلك أراد، انتهى. وأرجح الأقوال من حيث الصناعة، الثاني لأن صيغة المفعول لا تشتق من أسماء الأعيان كالسراج. وشذ نحو قولهم مدرهم، ولا من أسماء النسب كالسريجي، وإنما تشتق من الفعل، وأرجحها من حيث المعنى الأخير، لأنه تفسير بأمر يختص بالأنف، واللحيان، بفتح اللام، العظمان اللذان ينبت عليهما اللحية من الإنسان، ونظير ذلك من بقية الحيوانات. والبرطيل، بكسر الباء، معول من حديد أيضا، وحجر مستطيل، وصفها بكبر الرأس وعظمه»[188].

البيت الرابع والعشرون

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النخْلِ ذا خُصَلٍ   في غارِزٍ لم تُخَوِّنْهُ الأحَالِيلُ

[٤٨ب] تُمر، بضم التاء المثناة من فوق، مضارع أمر منقول بالهمزة من مر، وفاعله ضمير الناقة. ومثل، صفة لمحذوف، أي ذنبا مثل عسيب النخل، وعسيب النخل جريده الذي لم ينبت عليه الخوص، فإن نبت يسمى سعفا. وأما عسيب في

---

١٨٥ ـ هو علي بن إسماعيل، أبو الحسن، المعروف بابن سيده. إمام في اللغة. ولد بمرسية، شرق الأندلس، وتوفي في دانية سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م. من أشهر مؤلفاته: المخصص، والمحكم، والمحيط الأعظم وغيرهما. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٣٦/٧، الزركلي، الأعلام: ٢٦٣/٤. انظر: مادة سرج عند ابن منظور، لسان العرب: ٢٩٨/٢.

١٨٦ ـ كذا عند ابن هشام الأنصاري، وفي «ب» و«ك»: منسوب إلى قبيلة يقال لها سريج.

١٨٧ ـ انظر: الخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ٢٤.

١٨٨ ـ شرح هذا البيت كله، باستثناء تحريف في كلمتين، من ابن هشام. انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٥-٦٦.

قول امرىء القيس[189] شعرا:

أجـارتـنـا إنّ الخـطوبَ تنـوبُ وإني مقـيمٌ ما أقـام عسـيبُ
أجـارتـنـا إنـا غريبـان ها هنـا وكـلُّ غريبٍ للغـريبِ نسـيبُ
فإن تصلـيـنـا فالـقـرابـة بينـنـا وإن تهجـرينـا فالـغـريب غريبُ

هو جبل دفن فيه امرؤ القيس. وذا، صفة ثانية، أو هو المفعول. ومثل، حال منه، وكانت في الأصل صفة له، ثم تقدمت عليه. والخصل جمع خصلة، وهي لفيفة من الشعر. وفي، بمعنى على، كما في قوله تعالى: ﴿ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[190] وقول الشاعر شعرا:

بطل كأن ثيابـه في سرحـة يحذى نعـال الـسبـت ليس بتـوأم

والغـارز، معجم الـطرفين، المراد به هنا: الضرع. وجعل التبريزي أصله من قولـه: غَرزت الناقة[191]، بالفتح، تغرز بالضم، إذا قلّ لبنها. ولا أدرى ما معنى الأصل: وتخونه، أصله تتخونه، أي تنقصه، لأنه يقال: تخونني فلان حقي[192]، بتائين فحذفت إحـداهمـا كما حذفت من تتلون في قوله: كما تلون في أثوابها الغول. والأحاليل، بفتح الهمزة وبالحاء، مخارج اللبن من الضرع أو الثدي. والمعني: أنها حائل لا تحلب حتى ينقص الضرع بالحلب، وجعل نفي النقص عن بعضها نفيا له عن جميعها.

---

189 - هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشعر العرب. وصاحب المعلقة. توفي سنة ٨٠ ق.هـ/ ٥٤٥م تقريبا. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٢/ ٣٢٠، الزركلي، الأعلام: ٢/ ١١. وانظر الديوان: ١٧٦.

190 - من الآية رقم ٧١ من سورة طه، وتمامها ﴿قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحـر فلأقـطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم إلى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾.

191 - انظر: الخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ٢٤.

192 - تجدر الإشارة هنا إلى أن شرح السيوطي لهذا البيت من بدايته إلى هذه الفاصلة منقول حرفيا من شرح ابن هشام الأنصاري للقصيدة. راجع: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٦.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة تشتمل على ثلاث صفات من الصفات المحمودة في الإبل: الأولى، غلظ ذنبها وطوله، مستفاد ذلك من قوله: مثل عسيب النخل، على ما تقدم بيانه [٤٩أ]، وهو من الصفات المحمودة التي تكون في الإبل. الصفة الثانية، كونه كثير الشعر، وهو المعنى بقوله: ذا خصل، وهو من الصفات المحمودة في تكوينها أيضا. الصفة الثالثة، كونها حائلا لم تُحلب اللبن، لأن ذلك يكون أقوى لها في السير، وهو من الصفات المحمودة أيضا.

البيت الخامس والعشرون

قَنْــواءُ في حُرَّتَــيْـهَــا للبَـصــيرِ بها عِتَـقٌ مبــين وفي الخَــدَّيْـن تَسْـهيــل

قوله: قنواء في حرتيها، القنو، بفتح القاف وإسكان النون وبالمد، هي المحدوبة الأنف، ومنـه قيل للرجـل: أقنى، إذا كان كذلـك. ويروى: وجناء بدل قنواء. والحرتان، بضم الحاء وتشديد الراء وبعدها تاء مثناة من فوق ثم ألف ونون، الأذنان. وقد روى أن النبي ﷺ لما سمع هذا البيت قال للصحابة رضي الله عنه: ما حرتيها؟ قال بعضهم: عيناها، ثم سكت الباقي. فقال النبي ﷺ: هما: أذناها[١٩٣]. والبصير بها المراد به العارف بالإبل. والعِتَق، بكسر العين وفتح التاء وفي آخره قاف، كرم الأصـل. والمبـين، الظاهر والخدان، جانباً الوجه. والتسهيل، أن يكونا أسيلين، لا ارتفاع فيهما.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة تشتمل على ثلاثة أوصاف: الوصف الأول، كونها قنواء وقد عده في جملة الأوصاف المحمودة من الإبل، لكن المنقول عن العرب أن

١٩٣ ـ وعن الحديث انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٦٧، والخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ٢٦، وقال البغدادي: «روى أبو سعيد السكري بإسناده أن النبي ﷺ إلخ، لم أقف على تخريج هذا الحديث، ولا على إسناده، ولا على صحابيه، وقد راجعت الروض الأنف والنبراس وغيرهما من كتب السير فلم أر فيهما شيئا عن السكري، والله أعلم» انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشـام: ٥١٩/٢. وانـظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٦٣/١.

القناعيب في الإبل كما هو عيب في الخيل. وإن أنشد على الرواية الأخرى وهي: وجناء، لزم منه التكرار [٤٩ب] لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر في قوله: قلباء، إلّا أنه تقدم هناك تفسير الوجناء بمعنيين: أحدهما، الصلبة، والثاني، العظيمة الوجنتين. فيجوز أن يكون قصد هناك معنى الصلبة، لأنه هناك تكلم في عظم خلقها، والمناسب لعظم الخلقة هو الصلابة والقوة، وأن يكون قصد هنا العظيمة الوجنتين، لأنه هنا تكلم في حسن الوجه والرأس والأنف والاذنين والخدين فلا يلزم منه تكرار، إذ المعنى وإن تكرر في اللفظ وهو أولي الوصف بها يعد عيبا في الإبل، الوصف الثاني، حسن أذنيها بحيث أنه إذا تأملها من له معرفة بكرام الإبل حكم عليها بأنها من النوق العتاق الكرام الأصول. واعلم: أن المستحسن من الإبل، مما يدل على كرم الناقة، طول أذنيها. والمحاسن الدالة على كرم الأصل لا يدركها إلا العالم بشأنها، كما في الخيل. وأشار إلى قوله: مبين على أن دلالة أذنيها على عنقها لا يخفىٰ على ذي بصيرة، الوصف الثالث، تسهيل خديها بحيث لا نتوء فيها، ولا ارتفاع، وهو من الصفات المحمودة في الإبل. فإن قيل: كيف يجمع الوصف بتسهيل الخدين مع الوصف بكونها وجناء، على تفسيره بعظم الوجنتين، وهو ينافي تسهيل الخدين؟ الجواب: أنه قد تقدم هناك أن المراد بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز أن يكونا خداها في نفسهما أسيلين مسترسلين وطرفاهما فيهما غلظ وارتفاع، ويكون كل منهما معدودا من المحاسن.

البيت السادس والعشرون

تَخْدِي على يَسَراتٍ وهي لاحِقَةٌ ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحليل

قوله: تخذي، بفتح التاء وإسكان الخاء وكسر الذال ثم ياء ساكنة، تسير الوخد [٥٠أ] وهو ضرب مرتفع من السير، يقال: خذى يخذي خذيا، ووخد يخذ وخدا. وقوله: على يسرات، أي على قوائم خفاف. واليسرات، بفتح الياء والسين، مأخوذة من اليَسْر. وقوله: وهي لاحقة، أي تلك اليسرات لاحقة. ومعناها غافلة، لاشتغالها بالسير. وقوله: ذوابل، بالذال والباء، أي وهي ذوابل أيضا. شبهها بالرماح

الذوابل، وأشار إلى صلابتها وقوتها. وقوله: مسهنّ الأرض تحليل، أي مس قوائمها الأرض بخفة، أخذا من قولهم: فعلت تحِلّة قسم، والمعنى: أنها تسرع قوائمها بشدة السير.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة في غاية الإسراع في سيرها، وذلك أنّه وصف قوائمها في السير بخمسة أوصاف: الأول، أنها تسير الوخد، وهو من أسرع أنواع السير، وهو المعنى بقوله: تخذي، على ما تقدم تفسيره. الوصف الثاني، خفة قوائمها باليسرات. الوصف الثالث، الضمور والرقة، وهو المعنى باللاحقة والذوابل. وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية فيكون ذلك أسرع لوقوع قوائمها وبسطها. وإن أنشد، على الرواية الأخرى، وهي لاهية، بدل قوله: لاحقة كان المعنى أنها لاهية عن السير غير مكترثة به مع إسراعها فيه، وذلك سجية لها، فهي تفعله مع غفلتها له، وهو أولى من حيث تعدد المعنى، إذ اللاحقة والذوابل متقاربان في المعنى. الوصف الرابع، صلابة قوائمها وهو المعنى بقوله: ذوابل، على ما تقدم بيانه، لأنها قد تكون ضامرة القوائم، وليست بصلبة. وإذا اجتمع فيها الوصفان كملت حسنا. الوصف الخامس، سرعة رفع قوائمها عن الأرض وهو المعنى بقوله: مسّهن الأرض تحليل. وإن كانت قوائمها مشتملة على هذه الأوصاف [٥٠ب] كانت في غاية إسراع السير. فإن قيل: كيف صاغ أن يصف قوائمها بالضمور والرقة بعد قوله: فيما تقدم: فعم مقيدها، مشيرا إلى غلظ موضع القيد منها، وهو مستلزم لغلظ جميع القامة؟ الجواب: أن المراد هناك غلظ العظم والعصب، وهنا قلة اللحم، فلا منافاة بينهما، انتهى.

البيت السابع والعشرون

سُمْرُ العُجَايَاتِ يترُكْنَ الحَصَا زِيَماً   لم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

قوله: سمر العجايات، السمر جمع أسمر، كحمر جمع أحمر، وهي من أوصاف الرماح. والعجايات، بضم العين وفتح الجيم وبعد الألف ياء مثناة تحت وتاء مثناة فوق، جمع عجاية، وهو من الأعصاب المتصلة بالحافر. وقيل: لحمة متصلة بالعصب

المنحـدر من ركبـة البعـير إلى الفرس. وشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح لقوته وصـلابتـه. وقـوله: يتركن الحصا زيما، ويتركن بمعنى يجعلن، والحصا معروف، وزِيَمًا، بكسر الزاى وفتح الياء، المتفرقة. وقوله: لم يقهن رؤوس الأكم تنعيل، أي ليس بين تلك العجايات وبين الأكم، التي تمر عليها، تنعيل يقيها منها. والأُكْم، بضم الهمزة وإسكان الكاف، الروابي المرتفعة من الأرض.

ومعنى البيت: أن هذه الناقة صلبة الأعلى، صلبة الأسفل، شديدة. وذلك أنه وصفها بثلاثة صفات: الصفة الأولى، صلابة العصب، من قوله: سمر العجايات، حيث شبههـا بالرماح لقوتها، الصفة الثانية، شدة وطئها الأرض بحيث أنها تفرق الحصـا إذا وطئتـه [٥١أ]. وقـد قيل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾[١٩٤] أنها الإبل. وفسر قوله: ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾[١٩٥]. إذا اشتد سيرها وقعت الحجارة بعضها على بعض فقدحت النار، وإن كان المشهور أن المراد في الآية الخيل. الصفة الثالثة، صلابة خفافها، بحيث أنها مع كثرة السير لا تحفى، ولا تحتاج إلى تنعيل، مع طول المد. وإنما خص الأكم، التي هي الروابي، بالذكر دون غيرها من الأرض لأنها قليلة السلوك، فتبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها، فإذا كانت لا تحتاج إلى تنعيل لمثل ذلك فغيره أولى، والله تعالى أعلم بالصواب[١٩٦].

البيت الثامن والعشرون

كأنَّ أَوْبَ ذِراعَـيْـهـا إذا عَرِقَـت   وقَـد تَلَفَّـعَ بالقُـور العَسَـاقِيـل

قوله: كأن أوْب ذراعيها إذا عرقت، إلى آخر قوله: في البيت الحادي والثلاثون، ذراعاً عيطل نصف، وسيأتي هناك أن المراد من التشبيه الإسراع بحركة ذراعيها في السير، إن شاء الله تعالى، والأوْب، بفتح الهمزة وإسكان الواو وبعدها باء موحدة،

١٩٤ ـ سورة العاديات/ الآية رقم ١.
١٩٥ ـ سورة العاديات/ الآية رقم ٢.
١٩٦ ـ كذا في «ك» وفي «ب» والله تعالى اعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

سرعة تقليب اليدين والرجلين. وقوله: إذا عرقت، كنّى به عن وقت الهاجرة، وكأنه يقول: كأن سرعة تقليب يديها في وقت اشتداد الحر ذراعا عَيْطَل.. إلى آخره. وقوله: تَلَفَّع، بفتح التاء المثناة فوق واللام والفاء المشددة والعين المهملة، ومعناه الْتَحَفَ. والقور، بضم القاف وبعد الواو راء مهملة، جمع قارة، وهي الجبل الصغير. والعساقيل، بفتح العين والسين وبعد الألف قاف، المراد به: السراب. والتقدير:

وقد تلفعت [١٥ب] بالقور العساقيل، إذ الجبال الصغار هي التي تلتحف بالسراب، لأن السراب يلتفع بها، فوقع القلب في كلامه، كما تقول: أدخلت القلنسوة في رأسي، والمراد أدخلت رأسي في القلنسوة.

ومعنى البيت: أنّ سرعة حركة ذراعي هذه الناقة في السير يكون في شدة وقت الهاجرة، وقوة وقت الحر، في غاية الإسراع، فما ظنك بها في غير هذا الوقت، وإن لم يصرحّ بالحر فقد أشار إليه من وجهين: الأول، عرقها، مع ما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة، والناقة التي بهذه الصفات لا تعرق لإعياء ولا تعب، وإنما تعرق لشدة الحر، وإن كانت لا تتأثر به. الوجه الثاني، قوة السراب وغلبته بالمفازة، حتى أنه على صغار الجبال وعظامها، وذلك لا يكون إلاّ في وقت الهاجرة، والله أعلم بالصواب.

البيت التاسع والعشرون

يَوْماً يَظَلُّ به الحَرْباء مُصْطَخِدا كأنَّ ضَاحِيَه بالشمس مَمْلول

قوله: يوما، أي كأن أوب ذراعها إذا عرقت يوما، بمعنى أن الأوب والعرق وقع في ذلك اليوم بصفةٍ. وقوله: يظل، بفتح الياء والظاء، بمعنى يصير. والحَرْبَاء، بفتح الحاء وإسكان الراء والباء الموحدة، هو حيوان له سنام كسنام الإبل، يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت، وهو في الظل أخضر ويتلون ألوانا بحر الشمس، وكنيته: أبو قرة، وكنية أنثاه: أم حُبَيْن. والمصطخد، بضم الميم وإسكان الصاد وفتح الطاء وكسر الخاء وبالدال المهملة، المصطلي بحر الشمس، وقوله: كأنّ ضاحيه، أي [٥٢أ] كأن ذلك الحرباء، والضاحي بالضاد والحاء، البارز للشمس، كما تقدم في

قوله: بضاحية المتنين. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[197] أي ولا تبرز للشمس. والمراد هنا: ما برز من الحرباء للشمس. وقوله: مَمْلول، بفتح الميم الأولى وإسكان الثانية وضم اللام بعدهما، المتلظي بحرّ الرمضاء، أخذا من قولهم: مللت الخبز، إذا جعلته في المَلّة، بفتح الميم، وهي الرماد الحار.

ومعنى البيت: أنّ هذا اليوم الذي حصل من هذه الناقة فيه غاية الإسراع في السير من شدة حره وهواجيره يصير الحرباء مصطليا بالشمس لتعشقة بها، حتى كان ما يبرز منه للشمس خبز ملة قد أنضجته النار بشدة حرها. وإذا كان هذا سيرها في هذا اليوم الشديد الحر ففي غيره أقوى وأشد وأسرع حركة.

البيت الثلاثون

وقـال للقَـوْم حَاديِـم وقـد جعَلَتْ وُرْقُ الجَنـادِب يركُضْنَ الحصا: قِيْلوا

قوله: وقال للقوم حاديهم، المقول لهم: هو قوله في آخر البيت: قيلوا، والمراد: أن الحادي في تلك الحالة التي تلفع فيها الجبال بالسراب أمرهم بالقيلولة. والوُرق بضم الواو وإسكان الراء وبعدها قاف، الخضرة المائلة للسواد. والجنادب، بجيم مفتوحة وبعدها نون وألف ثم دال مهملة مكسورة وباء موحدة، ضرب من الجراد. وقوله: يركضن الحصا، يدفعنه، ومنه قوله: ركض الدابة، أي دفعها في جنبها برجليه لتسير. إذ المعنى: أن الجنادب تقفز على الحصا فتدفع بعضه إلى بعض لقوتها. وقوله: قيلوا، أمر بالقيلولة، وقد تقدم في الإشارة [٥٢ب] في أول البيت، ومعناه: أنّ هذا اليوم من شدة حره وهواجره كأنّ الحادي، الذي من شأنه ينشط الإبل بالسير هو الأمر[198] للقوم بالقيلولة إشفاقا على الإبل. وأكد ذلك بوصف الجنادب بكونها ورقاء، فإنها لا تكون بهذا اللون إلا في القفار الموحشة الشديدة الحر البعيدة الماء، كما تقدم. فتكون مع سيرها في الحر الشديد فيها صبر على العطش، والسير في القفار عند عجز غيرها.

١٩٧ ـ سورة طه، الآية رقم ١١٩.
١٩٨ ـ كذا في «ك»، وفي «ب» ينشط الإبل بالسير ناظرا أهوالها مر للقوم. . ».

البيت الحادي والثلاثون

شَدَّ النهارِ ذراعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ   قامت فجاوبَها نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

قوله: شدّ النهار، بفتح الشين وتشديد الدال المفتوحة، والمراد بشد النهار ارتفاعه، تقول: جئتك شد النهار، أي وقت ارتفاعه. والمعنى: أن ذلك كان وقت ارتفاع النهار، وهو مبالغة في شدة الحر. قوله: ذراعا عيطل: هو خبر كأن في قوله في البيت الثامن والعشرين: كأنّ أوْب ذراعيها إذا عرقت، كما تقدمت الإشارة إليه، والتقدير: كان أوب ذراعي هذه الناقة كالعيطل. والعيطل، بفتح العين وإسكان الياء وفتح الطاء بعدها اللام، الطويلة. والمراد هنا: المرأة المدادة البساطة القائمة[199]. والنَصَفَ، بفتح النون والصاد المهملة وبعدها فاء، التي بين الشابة والكهلة. وقوله: قامت، أي قامت المرأة فجاوبها نِكْد، بكسر النون وإسكان الكاف وبعدها دال، التي لا يبقى لها ولد. والمثاكيل، بفتح الميم وثاء مثلثة بعدها ألف ثم كاف مكسورة ثم [٥٣أ] ياء ساكنة بعدها لام، الكثيرة الخيال بالشراب. واصطلاء الحرباء للشمس حتى ينضح جلده، من شدة حرها، وضجر الحادي وإشفاقه على الإبل من شدة الحر والسير في المفاوز وقت النهار. والمعنى: أن ذراعيها في سرعة السير كذراعي امرأة طويلة قامت تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها، فجاوبها نسوة فَقَدْن أولادهن، وذلك أنها إذا رأت حزن غيرها على ولدها وشدة ما عليها من اللطم اشتد فعلها، وقوي ترجيع يدها عند النائحة، وهذا التشبية في غاية الحسن. فإن قيل: ما المعنى في وصفها بالطول في قوله: عيطل، وبالتوسط في السن في قوله: نَصَف؟ الجواب: أن الطويلة تكون أطول ذراعا، فتكون أوسع خطوة، فإذا وافقها سرعة الحركة مع ذلك كان في غاية الإسراع. وأما التوسط بالسن فإنه حين اكتمال قوتها، وبلوغ أشدها وتمام قامتها، إذْ تكون قد انتهت في الطول، فتكون أمد للخطوة، وأمكن للسرعة.

---

١٩٩ ـ كذا في «ب»، وفي «ك»: المدادة البساطة القائمة.

البيت الثاني والثلاثون

نَوَّاحَــةٍ رِخْــوَةِ الـضَّـبْعَــين ليس لها   لَمَّا نَعَى بِكْــرَهــا النــاعُــونَ مَعْقُــول

قوله: نواحة، أي كأنّ ذراعيها في تلك الحالة ذراعا عيطل نواحة، والنواحة، بفتح النون وتشديد الواو بعد الألف حاء مهملة مفتوحة ثم تاء التأنيث، التي بالغت في نوحها على ميتها. الرخوة، بكسر الراء وإسكان الخاء وفتح الواو، المسترخية، والمراد بالضبعين العضدان، بفتح الضاد وإسكان الباء وفتح العين وبعدها ياء ثم نون، وقوله [٥٣ب]: ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول، أي ليس لها لما نعى بكرها من أولادها معقول. والنعي عبارة عن الإخبار بموت الميت وإذاعته وندبه. والبِكر بكسر الباء وإسكان الكاف، أول أولاد الأم. والناعون المخبرون بالموت، النادبون له. والمعقول هنا بمعنى العقل.

ومعنى البيت: أنّ هذه النـائحـة، التي شبـه ذراعي النـاقـة في سرعـة الحركة بذراعيهـا، مع كثـرة نوحها، مسترخيه العضدين، فيداها سريعة الحركة، وأنها لما أخبرها الناعون موت ولدها لم يبق لها عقل فهي، مع استرخائها وسرعة حركة يديها وقوة نياحتها، ليس لها من العقل رادع يردعها، ولا زاجر يزجرها، ولا تحس بالإعياء والتعب، فكانت نياحتها حينئذ أشد وأبلغ، وكذلك هذه الناقة في سيرها. ويؤكد قوله في البيت السادس والعشرين: وهي لاهية، على أحد الروايتين، كما تقدم هناك. وقد وقعت المبالغة من أربعة أوجه: أحدها صيغة نواحة، مبالغة مقتضية لكثرة النوح. الثاني، أن الرخوة الضبعين أسرع حركة من غيرها. الثالث، أن ولدها المنعي إليها هو بكرها وأعز أولادها. الرابع، أنه نُعي إليها وجاءها خبره من بعد، ولم تكن ممرضة له فتتسلى بتمريضه.

البيت الثالث والثلاثون

تَفْـرِي اللُّبـــان بِكَفَّيهـــا ومَـــدْرَعُها مُشَـــقَّـــقٌ عن تَرَاقيـــهـــا رَعَـــابيـــل

قولـه: تفـري، بفتح التاء وإسكان الفاء وكسر الراء وبعدها ياء، أي تقطع. واللُّبان بفتح اللام، الصدر، وقد تقدم في قوله: يمشى القراد عليها ثم يزلقه لبان. وقوله: ومدرعها، أي ومدرع تلك النواحة. والمدرع، بفتح الميم وإسكان الدال وفتح الراء، القميص. والمشقق، المشقوق بكثرة. والتراقي، بفتح التاء والراء [٥٤أ] وبعد الألف قاف وياء، عظام الصدر التي يقع عليها القلادة. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾[٢٠٠] بلغت الروح عظام صدره. والرعابيل، بفتح الراء والعين وبعد الألف باء موحدة ثم ياء مثناة تحت وفي آخره لام، القطع.

ومعنى البيت: أن هذه النائحة لمّا ذهب عقلها بنعي ولدها إليها صارت تقطع صدرها بكفيها وقميصها مشقق قطع عن صدرها، وهو كالمؤكد للذي قبله في ذهاب العقل، والمراد تشبيه الناقة بها في هذه الحالة أنها صارت مسلوبة الإدراك لما تلاقيه من المحذور في سيرها، كما أنها صارت مسلوبة العقل لا تحس بما تلاقي من الألم في بدنها، وما يفسد من ثيابها، وهذا آخر ما أتي عليه من أوصاف الناقة.

البيت الرابع والثلاثون

تَسْعَى الــوُشَـــاةُ جَنَـــابَيْهـــا وقَـــوْلُهُمُ إنَّـــكَ يا ابـــنَ أبي سُلْمَـــى لمقتـــول

تسعى، تحتمل ثلاث معان: الأول، أن يكون من قولهم سعى به إلى السلطان سعاية إذا وشى به. الثاني، أن يكون من باب الإسراع في السير. ومنه قوله ﷺ أنه قال: إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون[٢٠١]. ويحتمل أن يكون منه قوله تعالى:

---

٢٠٠ - سورة القيامة/الآية رقم ٢٦.

٢٠١ - انظر: البخاري، الجمعة: ١٨، مسلم، المساجد: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، أبوداود، =

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[٢٠٢]. الثالث، أن يكون من قولهم: سعى إليه، إذا أتاه. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[٢٠٣]. والوشاة، بضم الواو، جمع واش، وهو الذي يمشي بالنميمة ليغير الخواطر، وسموا: وشاة، لأنهم يوشون الحديث، أي يزينونه، أخذا من الوشي. وقوله: جنابيها، أي جانبي سعاد لا الناقة [٥٤ب]، وواحدها جانب، بفتح الجيم، وهو فناء الشيء وما حوله. والمراد هنا: ناحيتا الناقة. ويروى: حواليها، بدل جنابيها، وهو بمعناه. ومنه قوله ﷺ في دعاء الاستسقاء: اللهم حوالينا ولا علينا[٢٠٤]. وقولهم حينئذ هذا القول. ويروى: وقيلهم، بكسر القاف وهو بمعنى القول أيضا، يقال: قال يقول قولا وقيلا. وأراد بابن أبي سلمى وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى، نسب بنوته إلى جدّه، كما في قوله ﷺ: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب[٢٠٥]. وسُلمى، بضم السين، قال علماء الحديث: وليس في العرب سُلمى، بضم السين، غيره. والمراد بقوله: لمقتول، لصائر إلى القتل. كما في قوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٢٠٦] أي لصائرون إلى الموت.

ومعنى البيت: ما كفاه ما لاقاه من صد محبوبته، وإعراضها عنه، وبعدها عنه، بحيث صارت إلى مسافة في البعد لا يبلغها إلا الناقة التي وصفها حتى إن الوشاة يسعون به عندها، ويغيرون خاطرها عليه، وينفرونها عنه، ثم يرجعون إليه فيخوفونه بالقتل، ويضيقون عليه سبيل النجاة. والحاصل أن أمر الوشاة يرجعون في شأنه إلى مقصدين: المقصد الأول، سعيهم به عندها، وإبعاد صدها عليه، وهو المعني بقوله:

= الصلاة: ٥٤، النسائي، الإمامة: ٥٧، ابن ماجة، المساجد: ١٤، الدارمي، الصلا: ٥٩، مالك، النداء: ٤، ابن حنبل: ٢/٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٧٠، ٣٨٢، ٤٢٧، ٤٥٢، ٤٦٠، ٥٢٩.

٢٠٢ ـ من الآية رقم ٢٠ من سورة القصص، وتمامها ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾.

٢٠٣ ـ من الآية رقم ٩ من سورة الجمعة، وتمامها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

٢٠٤ ـ انظر: ابن ماجة، الإقامة: ١٥٤، أبوداود، الاستسقاء: ٢، النسائي، الاستسقاء: ٩، ١٠، ١٧، ١٨، ابن حنبل: ٣/١٠٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٦١، ٢٧١، ٤/٢٣٦.

٢٠٥ ـ انظر: البخاري، الجهاد: ٥٢، ٦١، ٩٧، ١٦٧، المغازي: ٥٤، مسلم، الجهاد: ٧٨، ٨٠، الترمذي، الجهاد: ١٥، ابن حنبل: ٤/٢٨٠، ٢٨٩، ٣٠٤.

٢٠٦ ـ سورة الزمر/ الآية رقم ٣٠.

تسعى الوشاة جنابيها. وهذا ابتلي به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقلّ أنْ يظفر الإنسان بمن يحبه إلا حُسد عليه، وتطرقت عيون الوشاة إليه، فاستمالوه عنه وصرفوا نظره إلى رؤية محاسنه، وإن كان الصادق في المحبة لا يغيره على من يحبه إعراض، ولا يصرف قلبه عن محبه صدود، ومادام الناس قديما وحديثا يذمون الوشاة، ويحذرون منهم، ويقرنونهم بالذم بالعاذل والرقيب. ولله در القائل في المعنى شعرا: [٥٥أ]

عندي لكم يوم التواصل دعوة يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

واعلم: أنّ السعاية والمشي بالنميمة وإفساد ما بين الأحبة خصوصا، بالزور والبهتان، أمر مذموم شرعا، وقد ورد الكتاب والسنة بذمه والنهي عنه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٢٠٧]. فأمر بالتبين والتثبيت فيما ينقله الساعي ويمشي به النمّام لما يحمله عليه من الحسد والكذب والاختلاق، مما يلقيه في تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف قوله: وسمّوه: فاسقا، بقوله: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾[٢٠٨]، والمعنى فيه: أنْ إذا نمَّ ومشى في السعاية خرج عن أن يكون ثقة. وقد ذمه الله تعالى، ونهى عن طاعته واتباعه بقوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾[٢٠٩] وأوعد بالويل بقوله ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾[٢١٠] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وقد قال ﷺ: أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة[٢١١]، وعِيبَ إنسان في كلام نقل عنه قال: من أخبرك به؟ فقال: الثقة، قال: لو كان ثقة ما نمّ. ولله در القائل شعرا:

لا تسمعنَّ من الحسودِ مقالة لو كان حقا ما يقول الواشي

---

٢٠٧ - سورة الحجرات/ الآية رقم ٦.
٢٠٨ - انظر: الحاشية السابقة.
٢٠٩ - سورة القلم/ الآيات رقم ١٠، ١١، ١٢.
٢١٠ - سورة الهمزة/ الآية رقم ١.
٢١١ - انظر: ابن حنبل: ٤/ ٢٢٧.

ووشي واش برجل إلى ذي القرنين فقال: إن شئت سمعنا منك ما تقول فيه على أن نسمع منه ما يقول فيك، وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو لا أعود. وبالجملة من قال لك قال عليك، ومن نقل حديث غيرك إليك نقل حديثك إلى غيرك. وهذا مرض يبتلى به كثير من الناس [٥٥ب] فيصير فيه طبعا مركبا، وغريزة ثابتة، فلا يستطيع يسمع حديثا إلا نقله ولا مجلسا إلا حكاه. وهو كما قيل شعرا:

تراه يلتقط الأخبار مجتهداً   حتى إذا ما وعاها زفّ ما لقطا

ولله در القائل:

أَنَمُّ بما استودعته من زجاجةٍ   ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطنُ

المقصد الثاني، إرجافهم وتخويفهم له، وإظهار الشماتة به وهو المعنى بقولهم: إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول. ومن هنا تخلّص إلى ذكر قصة نفسه، وكيف كان ابتداء أمره مع النبي ﷺ، فانتقل من ذكر سعي الوشاة به عند سعاد إلي تخويفهم له بالقتل، الذي كان أوعده به النبي ﷺ حين هدر دمه قبل إسلامه. وهذا هو النوع الرابع من أنواع النسيب، وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببها، كما تقدم في أول الشرح، وهو كالتوطئة لما يأتي بعد من المدح.

البيت الخامس والثلاثون

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمله   لا أُلهِيَنَّكَ إني عنكَ مَشْغُول

قوله: وقال كل خليل، أي وقال كل خليل من أخلائي. والخليل الصديق، وهو مأخوذ من الخُلة، بضم الخاء، وهي الصداقة. وقوله: كنتُ آمله. أي أرجوه لوقت الشدائد والضرورات. وقوله لا ألهينّك، أي لأشغلنك عما أنت فيه بان أسهله عليك وأسألك عنه. يقال: لهى عنه أي تشاغل عنه بغيره. وقوله: إني عنك مشغول، أي شُغْل نفسي يشغلني عنك. ومعنى البيت [٥٦أ] أن أصدقاءه الذين كان يرجوهم لشدائده، ويخبئهم لوقت مصائبه قد تلاهو عنه، وتغافلوا وأعرضوا عن نصرته

وخلاصه من القتل، وتبرؤا منه يأسا من سلامته، وخوفا من سطوة رسول الله ﷺ وغضبه، حين أهدر دمه وأذن في قتله لكل من لقيه. وحق لهم أن يخشوا سطوة النبي ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك، أنه ﷺ، حين نزل بخيبر قال: الله أكبر، خرجت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[212]. هذا وقد هاداه جميع الملوك واتقوا سطوته وخافوه، فهم ما بين مسلم ومسالم، كيف والله تعالى أيّده بالنصر، وحماه بالعصمة.

البيت السادس والثلاثون

فقلتُ: خلُّوا سبيلي لا أبا لَكُم ... فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعُول

قوله: فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم، وخلوا بمعنى اتركوا. والسبيل، الطريق. وقوله: لا أبا لكم، نفي للأب عنه، كما يقولون: لا أبا لك، وهي كلمة تقولها العرب تقصد بها الذم تارة، والمدح تارة أخرى. وأما معنى المدح: فإنهم يريدون نفي نظير الممدوح، إذ نظيره لا يكون من أب مثل أبيه، فإذا نفي أن يكون له أب امتنع أن يكون له نظير. وأما معنى الذم: فإنهم يريدون أنه مجهول النسب لا يعرفون له أبا. وقوله: فكل ما قدر الرحمن مفعول، أي لابد وأن يقع.

ومعنى البيت: أنه لما يئس من نصرة أخلائه، وتحقق أنهم لا يغنون عنه شيئا، ولا يستطيعون أن يمنعوا بأس [٥٦ب] رسول الله ﷺ عنه أمرهم أن يخلوا طريقة ليذهب إلى رسول الله ﷺ ولا يحبسوه عن لقائه، والمثول بين يديه ليمضي فيه حكمه، ذاماً لهم، ومنتهكا لهم بقوله: لا أبا لكم، واستند في أمره إلى اعتماد قدرة الله تعالى، متيقنا إنما قدر له وعليه لابد وأن يستوفيه، لا محيد له عنه ولا براح له عن استيفائه، فأدركته العناية الإلهية من وجهين: الوجه الأول، قوة عزمه على لقاء النبي ﷺ، والمسير إليه،

---

٢١٢ ـ انظر: البخاري، الصلاة: ١٢، الأذان: ٦، صلاة الخوف: ٦، الجهاد: ١٣٠، المناقب: ٢٨، المغازي: ٣٨، مسلم، الجهاد: ١٢٠، ١٢١، الترمذي، السير: ٣، النسائي، المواقيت: ٢٦، النكاح: ٧٩، الصيد: ٧٨، مالك، الجهاد: ٤٨، ابن حنبل: ١٠٢/٣، ١١١، ١٦٤، ١٨٦. وانظر: الآية رقم١٧٧من سورة الصافات.

ليحصل على السعادة الأبدية والنعم السرمدية التي لا تحيد ولا تنفد، وذلك أنه تحقق بما كتب إليه أخوه بجير أنه ﷺ يقبل من جاء إليه تائبا، ولا يطالب بما كان قبل الإسلام، كما تقدم ذكره في أوّل الشرح. وكان ذلك قد شاع عنه ﷺ في قبائل العرب، وطوائف الأمم، وشرح الله صدره للإسلام وهداه، الصراط المستقيم ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٢١٣]. الوجه الثاني، ركونه إلى القدر واعترافه بوقوعه توفيقا لمذهب الحق ومنهج الصدق. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢١٤] وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٢١٥] وقد أخرج أبوداود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه قال لابنه عند الموت: يا بني إنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات [٥٧أ] على غير هذا فليس مني[٢١٦]. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث يحيى بن يعمر قال: أول ما كان في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فاكتنفته، أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، وظننت أنّ صاحبي متكل عليّ في الكلام، فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أُناس يقرؤون القرآن ويقترفون العلم، وذكرت من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر والأمر أُنفٌ، فإذا لقيت أولئك فاخبرهم إني بريء منهم وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل جبل أحد ذهبا فأنفقه ما قَبِلَه الله منه حتى يؤمن بالقدر[٢١٧]. وأخرج أبوداود من حديث بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: لكل أمة

---

٢١٣ ـ من الآية رقم ١٧ من سورة الكهف، وتمامها: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقربهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾.

٢١٤ ـ سورة القمر/ الآية رقم ٤٩.

٢١٥ ـ من الآية رقم ٣٨ من سورة الأحزاب، وتمامها ﴿ما كان على النبي حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾.

٢١٦ ـ انظر: أبوداود، السنة: ١٦، الترمذي، القدر: ١٧، ابن حنبل: ٣١٧/٥.

٢١٧ ـ انظر: مسلم، الإيمان: ١.

مجوس ومجـوس أمتي هؤلاء الـذين يقـولـون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهـدوا جنائزهم، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال[٢١٨]. وحق، على رسول الله ﷺ أن يلحقهم بالدجال. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء[٢١٩]. وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، كأنما فُقىء في وجهه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم أن لا تتنازعوا فيه[٢٢٠].

البيت السابع والثلاثون [٥٧ب]

كـلُّ ابنِ أنْثَى و إنْ طالَت سلامَتُه   يَوْمـاً على آلـةٍ حَدْبـاءَ محْمُـولُ

قوله: كل ابن أنثى، أراد به كل مولود يولد من ذكر وأنثى، وإن كان لفظ الابن لا يقـع في اللغة إلاّ على الذكر. والمراد بالآلة الحدباء النعش، سمى بذلك قيل: لصعوبة مرتقاه، وقيل: لارتفاعه، وقيل: أخذا من قولهم: ناقة حدباء، إذا بدت جوانبها، لأن النعش كذلك. والظاهر سمي بذلك تشبيها بالرجل الأحدب، فإنّ العـرب لم تكن تعرف هذه الأسِرّة المُنَجّرة من الخشب، وإنما كانوا يأخذون عصيا يربعونها تربيعا مستطيلا وينسجون وسطها بالحبال، يحملون عليها موتاهم. والعرب في البوادي على ذلك إلى الأن. وهذه الآلة إذا وضع فيها الميت وثقل على الحبال برزت عن العصي فأشبهت الرجل الأحدب في بروز ظهره.

ومعنى البيت: أن الإنسـان وإن طال في فسحـة الأجـل سلامتـه من الآفـات والعـوارض، فلا بد من وروده حياض المـوت، وحمله إلى الـرمس، ومصـيره إلى

٢١٨ ـ انظر: أبواود، السنة ١٦.
٢١٩ ـ انظر: مسلم، القدر: ١٦.
٢٢٠ ـ انظر: الترمذي، القدر: ١، ١٧.

الأجـداث، وإن كان الأمـر على ذلك فهل يجزع الجازع بمثلة يخوف بها مِنْ قتلٍ وغـيره؟ وحقيق ما قاله، فالموت لا مخلص منه بالفرار، ولا امتناع بالتحصين. وما أحسن قول الشاطبي[٢٢١]، رضي الله عنه، ملغزا في النعش، شعرا:

أتـعـرف شيئـا في الـسـماءِ يطيرُ ... إذا سارَ صاحَ الـنـاسُ حيثُ يسـيرُ
فتـلقـاه مركـوبـاً وتلقـاه راكبـاً ... وكـلّ امـرىء يعـتـليه أسـيرُ
يحضّ على الـتـقـوى ويُكـره قُرْبـهُ ... وتـنـفـرُ منـه الـنفسُ وهـو نذيرُ
ولم يسـتزر من رغـبـةٍ في زيارةٍ ... ولـكـن على رغـم المـزور يزورُ

البيت الثامن والثلاثون [٥٨ أ]

أنـبئـتُ أنّ رسـولَ الله أوعَـدني ... والعَفْـوُ عِنْـدَ رسـولِ الله مأمـولُ

جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت، فإن غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف. ومعنى أنبئت، أي أخبرت. ويروى: نبئت، وهو بمعناه، وترك ذكر الفاعل هنا لأمرين: الأول، أنه لا يتعلق بتعيينه غرض، ومثله قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾[٢٢٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾[٢٢٣]، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾[٢٢٤]. الثاني، أن مقام الاستعطاف يناسبه أن لا يحقق الخبر بالوعيد بل أن يؤتى به عرضا، كما يقال: روى كذا، وإن وصلتها، إما على تقدير الباء، وهو الأصل مثل: ﴿أَنْبِئْهُم

---

٢٢١ ـ لعله القاسم بن فيّره بن خلف الرعيني، أبو محمد الشاطبي. إمام القراء. ولد بشاطبة بالأندلس، وكان ضريرا، وتوفي بمصر سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ٨/١١٠، الزركلي، الأعلام: ٥/١٨٠. والأبيات ذكرها ابن هشام. انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٨٢.

٢٢٢ ـ من الآية رقم ١١ من سورة المجادلة، وتمامها ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾.

٢٢٣ ـ من الآية رقم ١١ من سورة المجادلة، انظر: الحاشية السابقة.

٢٢٤ ـ من الآية رقم ٨٦ من سورة النساء، وتمامها ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾.

﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[٢٢٥]، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾[٢٢٦] وإما سادة مسد المفعولين على تضمين أنبأ أو نبأ معنى أعلم وأرى، والوعد في الخير والإيعاد في الشر. وقال الشاعر شعرا:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه: يا من إذا وعد وفَى، وإذا أوعد عَفَى. وما أحسن قول ابن الفارض شعرا:

متى أوعدت أوْلتْ وإن وعدت لوت وإن أقسمت لا تبرىء السقم برّتِ[٢٢٧]

وإنما يستعمل وعد في الشر مقيدا، كقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٢٢٨] وفي البيت إعادة ذكر رسول الله ﷺ لإظهار التفخيم والتعظيم، ولهذا أتي بعند، ولم يأتِ بمن، لأن عند أدل في التفخيم، ولقوة الرجاء، لأنه قد ثبت وتواتر أن الصفح من أخلاق رسول الله ﷺ[٢٢٩]، وغريزة من غرائز الكرم. وكان النبي ﷺ أبعد الناس غضبا، وأسرعهم رضا، والأحاديث بحلمة [٥٨ب] واردة، والأخبار والآثار بعفوه وصفحه الجميل مشاهدة. قالت عائشة، رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظُلمها ما لم تكن حرمة من محارم الله عزوجل، وما ضرب بيده قط شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما ضرب خادماً ولا امرأة[٢٣٠]. وفي

---

٢٢٥ ـ من الآية رقم ٣٣ من سورة البقرة، وتمامها ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

٢٢٦ ـ من الآية رقم ١٤٣ من سورة الأنعام، وتمامها ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آذكرين حرّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾.

٢٢٧ ـ انظر الديوان: ٣٥، والحاشية رقم ٢٨.

٢٢٨ ـ من الآية رقم ٧٢ من سورة الحج، وتمامها ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾.

٢٢٩ ـ وتجدر الإشارة أيضا إلى أن شرح هذا البيت من أوله إلى هذه الفاصلة منقول حرفيا، مع تحريف في بضع كلمات من ابن هشام، انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٨٣.

٢٣٠ ـ أنظر: أبوداود، الأدب: ٤، ابن ماجة، النكاح: ٥١. وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ١/٣١١.

حديثها الآخر: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة من محارم الله تعالى فينتقم لذلك[٢٣١]. وجيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ﷺ: لن تُراع، لن تُراع، ولو أردت ذلك لم تسلط عليّ[٢٣٢]. وتصدى له غورث بن الحارث في بعض الغزوات، وهو ﷺ منتبذ تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلاّ وهو قائم بالسيف صلتا في يده فقال: مَنْ يمنعك مِنّي؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: من يمنعك منّي؟ فقال: كن خير آخذ، فتركه وعفى عنه، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٢٣٣]. وهبط عليه ﷺ ثمانون رجلا من التنعيم، صلاة الصبح، ليقتلوه فأُخذوا، فأعتقهم ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[٢٣٤]. وجاء زيد بن سعنة، قبل إسلامه، يتقاضاه دَيْناً عليه، فجذب ثوبه بمنكبيه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له القول: ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مَطْل، فانتهره عمر، وشدد له في القول، والنبي ﷺ يتبسم، فقال له النبي ﷺ: أنا إلى غير هذا أحوج منك، [٥٩أ] تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، ثم قال: بقي من أجله ثلاث، وأمر عمر يقضيه من ماله، ويزيده عشرين صاعا، لما روّعه، فكان ذلك سبب إسلامه[٢٣٥]، وعن أنس، رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي ﷺ، وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي بردائه، حتى أثرت حاشية البردة في صفحة عاتقة، وقال: يا محمد احملني علىّ بعيرين من هذا المال الذي عندك، فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك. فسكت النبي ﷺ ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده، ثم قال: ويقاد منك يا أعرابي بما فعلت بي؟ قال: لا، قال: لِمَ؟

---

٢٣١ - البخاري، المناقب: ٢٣، الأدب: ٨٠، الحدود: ١٠،، مسلم، الفضائل: ٧٧، ابن مالك، حسن الخلق: ٢. وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٣١٠/١.

٢٣٢ - انظر: البخاري، التعبير: ٣٥،٣٦. ابن حنبل: ١٤٦/٢.

٢٣٣ - انظر: ابن حنبل: ٣٦٥/٣، ٣٩٠. وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ١٦٨/٣-١٦٩.

٢٣٤ - من الآية رقم ٢٤ من سورة الفتح، وتمامها ﴿وهو الذي كفّ أيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾. وانظر الحديث عند مسلم، الجهاد: ١٣٣، أبوداود، الجهاد: ١٢٠، الترمذي، تفسير سورة الفتح: ٣، ابن حنبل: ١٢٤/٣، ٢٩٠.

٢٣٥ - انظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٢٧٨/٦-٢٨١.

قال: لأنك لا تقابل السيئة بالسيئة؟ فضحك النبي ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر[٢٣٦]. وقال له رجل: إعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى. فقال: ويحك، فمن يعدل إن لم أعدل، خبت وخسرت إن لم أعدل؟ فأراد بعض الصحابة قتله، فنهاه عن ذلك[٢٣٧]. وسيق إليه أبو سفيان بن حرب، جَلَبَ إليه الأحزاب، وقتل عمه وأصحابه، فعفى عنه ولاطفه في القول، وقال: ويحك يا أبـا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم: أن لا إلـه إلاّ الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأوصلك وأكرمك[٢٣٨]. وعفى ﷺ عن اليهودية التي سمّته في ذراع الشاة، بعد اعترافها بذلك، على صحيح الرواية[٢٣٩]. ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم اليهودي حين سحره، وأوحى الله تعالى إليه يخبره، ولا عتب عليه، فضلا عن معاقبته[٢٤٠]. ولم يؤاخذ عبد الله بن أبي بن سلول، وأشباهه من المنافقين، بعضهم ما نقله عنهم ﷺ قولا وفعلا، وأشار عليه بعض الصحابة [٥٩ب]، رضوان الله تعالى عليهم بقتل بعضهم: فقال: لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه[٢٤١]. ولما كسرت رباعيته ﷺ، وشج وجهه، يوم أحد، شق على أصحابه، رضي الله عنهم، فقالوا: يا رسول الله: لو دعوت عليهم؟ فقال: إني لم أبعث لعانا، ولكن بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون[٢٤٢]. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة، والأخبار المتواترة في علمه وحلمه وعفوه وصفحه، مع القدرة والظفر بمن لا يأتي عليه حصر، ولا يحويه

---

٢٣٦ ـ انظر: النسائي، القسامة: ٢٣.

٢٣٧ ـ انظر: البخاري، المناقب: ٦١، مسلم، الزكاة: ١٢، أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٦/٤٢٧ـ٤٢٨ وأيضا: ٥/١٨٤ وما بعدها.

٢٣٨ ـ انظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٥/٣٢ـ٣٥.

٢٣٩ ـ انظر: البخاري، الهبة: ٢٨، الجزية: ٧، الطب: ٥٥، الدارمي، المقدمة: ١١، ابن حنبل: ٢/٤٥١، ٣/٢١٨. وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٤/٢٦٠ـ٢٦٢.

٢٤٠ ـ انظر: البخاري، الطب: ٤٧، ٤٩، ٥٠، الأدب: ٥٦، الدعوات: ٥٧، مسلم، السلام: ٤٣، ابن ماجه، الطب: ٤٥، ابن حنبل: ٦/٥٧، ٦٣، ٩٦. وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٦/٢٤٧ـ٢٤٨.

٢٤١ ـ انظر: البخاري، المناقب: ٨ مسلم، البر والصلة: ٦٣، ابن حنبل: ٣/٣٩٣، وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٤/٥٤.

٢٤٢ ـ انظر: البخاري، الجهاد: ٥٦، مسلم، الجهاد: ٣٢، ابن ماجة، الطب: ٣١، وانظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٣/٢٦٠.

طرس. وقد تقرر أن العفو والصفح من أخلاق رسول الله ﷺ فالتخلق به والتمسك بسنته أمر مندوب إليه، ومرغب فيه، تأسيا برسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢٤٣]. وقد أمر الله بالعفو أمرا عاما فقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[٢٤٤]، وقال عزوجل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٢٤٥] إلى غير ذلك من الآثار الواردة في العفو. ثم لطالب العفو من القادر سببان: السبب الأول، غلبة الهفوات في أقوال الناس وأفعالهم. فإن الهفوات قد تعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الأمراض للأجسام السليمة، لأن الناس مع أطوارهم المختلفة وأخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون من الهفوات، فكان الحرج فيها مرفوعا، والعتب بسببها موضوعا، وقد قيل: من رام سليماً من هفوة، والتمس بريئاً من كبوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه. وقال بعض الحكماء: لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه. وقال الأحنف بن قيس[٢٤٦]: حق الصديق أن يُحتمل له ثلاث: الهفوة والزلة والغضب وإذا كانت نفس الشخص قد تعصي عليه فتؤذيه، وأن جسمه قد يسقم قلبه فيؤلمه، وهما أخص به [٦٠أ] و أحنى عليه من صديق قد تميز بذاته، فيريد من غيره لنفسه ما لايجده من نفسه لنفسه، فقد رام المحال. ولله در كشاجم[٢٤٧] حيث يقول شعرا:

أقِلْ ذا الودّ عثرته وقِفْه ... على سَنَنْ الطريق المستقيمة
ولا تُسرعْ بِمَعْتَبةٍ إليه ... فقد يهفو ونِيَّتُه سليمة

---

٢٤٣ ـ من الآية رقم ٢١ من سورة الأحزاب، وتمامها: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.

٢٤٤ ـ من الآية رقم ٢٢ من سورة النور، وتمامها: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾.

٢٤٥ ـ من الآية رقم ٤٠ من سورة الشورى، وتمامها ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾.

٢٤٦ ـ انظر: الحاشية رقم ٢٦ حيث ترجمة الأحنف بن قيس.

٢٤٧ ـ هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهق، أبو الفتح الرملي، وسمي كشاجم لأنه كان كاتبا شاعرا أديبا جميلا مغنيا. فارسي الأصل، استقر بحلب. وتوفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١٢/ ١٥٩، الزركلي، الأعلام: ٧/ ١٦٧ـ١٦٨. وانظر ديوان كشاجم/ ٤٣٥.

السبب الثاني، اختيار العبد وابتلاؤه في حالة عزته وقدرته ليجازيه الله بعفوه وصفحه أكرم عوض في أرفع محل. فقد مدح الله الكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم، وأخبر بمحبته لهم فقال جلت قدرته: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢٤٨)، وورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور ما يشاء(٢٤٩). ويروى أنه ﷺ قال: أربع كلمات من كنّ فيه وجبَتْ له الجنة، وحُفِظَ من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهي(٢٥٠). واغتاظت عائشة، رضي الله عنها، على خادم لها فقالت: لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء، تريد أنها منعتها من الانتقام منها.

البيت التاسع والثلاثون

مهــلاً هداكَ الـذي أعـطاكَ نافِلَةَ الـ ـقـرآن فيـهـا مواعـيظٌ وتـفْـصيـل

قوله: مهلا، أي أمهل عليّ مهلا، يخاطب بذلك النبي ﷺ فالتفت فيه من الغيبة في قوله في البيت الذي قبله: أنبئت أن رسول [٦٠ب] الله أوعدني، إلى الخطاب بقوله: مهلا. وقوله: هداك الذي أعطاك نافلة القرآن، دعاء للنبي ﷺ، وإن كان لفظه على الماضي، كما يقول ﷺ، وهو أبلغ من صيغة الطلب. والنافلة، الزيادة، ومنه سمي مازاد على الفرائض نافلة. والقرآن كتاب الله المنزل على رسوله ﷺ. والمواعيظ جمع موعظة. والتفصيل، بالصاد المهملة، المراد به تبين ما يحتاج إليه من أمر المعاش والمعاد.

ومعنى البيت: طلب الإمهال من النبي ﷺ وأن لا يعجل عليه بالانتقام،

---

٢٤٨ ـ من الآية رقم ١٣٤ من سورة آل عمران، وتمامها: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾.

٢٤٩ ـ انظر: أبوداود، الأدب: ٣، الترمذي، البر: ٧٤، القيامة: ٤٨، ابن ماجه، الزهد: ١٨، ابن حنبل: ٣/٤٣٨-٤٤٠.

٢٥٠ ـ انظر: السيوطي، الجامع الصغير: الحديث رقم ٩١٧، وقال عنه إنه صحيح.

واستعطافه له بذكر ما امتن الله عليه به من إعطائه القرآن الكريم المشتمل على الأوامر والنـواهي وتفصيل الأحكـام. وهو كالتتمة للبيت الذي قبله، لا شتما له على تمام الاستعطاف في ثلاثة أوجه: الأول، طلب الإمهال منه ﷺ إشارة إلى قدرته عليه، وتمكينه منه، وأنه ليس من النبي ﷺ مَخْلَص ولا مهرب وفيه التعظيم والتفخيم لمقام النبوة، ولا خفاء فيه. الوجه الثاني، التذكير بنعمة الله تعالى على رسول الله ﷺ من إعطائه القرآن وتنزيله عليه ليكون أدعى إلي العفو والشكر لنعمة الله تعالى. إذ من جملة المنـزل عليه ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٢٥١]. الوجه الثالث، الإقرار بالتنزيل، وهو من تمام الإسلام الذي به يحقن الدم، ويصان عن القتل، فإن قيل: إذا كان معنى النافلة الزيادة فما المراد بزيادة القرآن هنا؟ فالجواب: ما أشار إليه ابن هشام في شرحه، أن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ آيات عظيمة علّمه إيّاها، [٦١ أ] وجعل الكتاب زيادة كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾[٢٥٢] أي زيادة على العلم الذي أتقنه[٢٥٣].

البيت الأربعون

لا تَأْخُـذَنِّي بأقـوالِ الـوُشـاةِ ولم أُذْنِـبْ وإنْ كثُـرَتْ فيَّ الأقـاويـلُ

قوله: لا تأخذنّي بأقوال الوشاة، سؤال وتضرع لانهي وأمر، إذ النهي لا يكون إلّا من الأعلى لمن دونه، ومقام النبي ﷺ أعلا وأرفع. والأقوال جمع قول. والوشاة جمع واش، قد تقدم القول عليهم في البيت الرابع والثلاثين: أنهم الذين يمشون بالسعاية عند النبي ﷺ. والأقاويل جمع قول.

ومعنى البيت: أن جميع ما رميت به من الذنوب بأقوال الوشاة على كثرتها ليس منّي ما صدر البتة عني، فلا تؤاخذني يا رسول الله بما يثبتونه لي من ذنوب أنا عنها برىء.

---

٢٥١ - سورة الأعراف الآية رقم ١٩٩.

٢٥٢ - من الآية رقم ١٥٤ من سورة الأنعام. وتمامها ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدي ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾.

٢٥٣ - انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٨٤.

وهـذا من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر. وقد وقع التلطف والاستعطاف فيه من ثلاثة أوجه: الأول، تعبيره عن الساعين به بالوشاة إشارة إلى كذبهم وتعريضا بذمهم، إذ السعاية والمشي بالنميمة وإفساد ما بين الأحبة، خصوصا بالزور والبهتان، أمر مذموم شرعا ومرفوض عقلا. وقـد ورد الكتاب والسنة بذمه والنهي عنه، قـال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٢٥٤].

فأمـر تعالى بالتبيين والتثبيت فيما ينقله الساعي ويمشي به النمام، لما يحمله عليه الحسد من الكذب، والاختلاف مما يلقيه من [٦١ب] تضاعيف كلامه، وتوجيه زخرف قوله، وسماه فاسقا بذلك. والمعنى فيه إذا نم ومشى بالسعاية خرج عن أن يكون ثقة. وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته واتباعه بسوء ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ⑩ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ⑪ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[٢٥٥] ووعده بالويل بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢٥٦] ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[٢٥٧]. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: أبغضكم إليّ المشاؤن بالنميمة، المفرقون بين الأحبة[٢٥٨]. ويحكى: أن بعض السلف عتبه إنسان في كلام نقل عنه فقال: له: من أخبرك؟ قال: الثقة، قال: لو كان ثقة ما نَمّ. وإلى هذا يشير بعضهم:

لا تسمعن من الحسود مقالة   لو كان حقا ما يقول الواشي

ويقال: إنه وشى واشٍ برجل إلى ذي القرنين فقال: إن شئت قبلنا منك ما تقول فيه، على أن نقبل منه ما يقول فيك، وإن شئت عفونا عنك! فقال: العفو، لا أعود. وقد قال: ﷺ: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج عليهم وأنا سليم الصدر[٢٥٩]. الوجه الثاني، التبرؤ من الذنب والتنصل منه بقوله: ولم

٢٥٤ ـ سورة الحجرات/ الآية رقم ٦.
٢٥٥ ـ سورة القلم/ الآيات رقم ١٠، ١١، ١٢.
٢٥٦ ـ سورة الهمزة/ الآية رقم ١.
٢٥٧ ـ من الآية رقم ٤ من سورة الأحزاب، وتمامها ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم الائي تظهرون منهن أمهاتكم و ما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.
٢٥٨ ـ انظر: ابن حنبل، ٦/ ٤٥٩، ٤/ ٢٢٧.
٢٥٩ ـ انظر: أبوداود، الأدب: ٢٨، الترمذي، المناقب: ٦٣، ابن حنبل: ١/ ٣٩٦.

أذنب، وذلك أن عدم الانحراف أبلغ في الاحتراف وأدل على الرهبة والخوف. والذنب إذا ظهر عظم خطره وكدر الخواطر ذكره. واعلم: أن للمسيء مع مَنْ أساء إليه ثلاث حالات: الأولى، ستر الذنب، ثم يسترسل إلى الاعتذار والتنصيل من الذنب ويظهر الخوف من الإطلاع عليه، فيوجب قبول عذره، والإعفاء عن ذنبه، ولا يكشف عن باطن عذره، ولا يعنف بظاهر اساءته بشيء فيه [٦٢أ] يظهر بيان ندمه وتبيين خجلته. والندم تقوية والخجل إنابة. ولا ذنب لتائب ولا لوم على منيب. ولذلك لم يثرِّب النبي ﷺ على كعب رضي الله عنه، ولم يوبخه. وقد قال بعض الحكماء: شافع المذنب خضوعه إلى عذره. وما أحسن قول القائل:

اقبل معاذير مَنْ يأتيك معتذرا إنْ برّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

الحالة الثانية، أنْ يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه بإظهار التوبة والندم على ما سقط منه، ولا يكلف عذر عن ذلك فيلجأ إلى الكذب، وتورط خجل التفريط. وقد قال النبي ﷺ: إيّاكم والمعاذر فإن أكثرها مفاجر[٢٦٠]. وقد قال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، كفى فيما يعتذر منه تهمة. وقال بعض الحكماء: شفيع المذنب إقراره. وقال بعض الأدباء: أوسع ما تكون المغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة. وانظر إلى كرم الأخلاق من يوسف عليه السلام حين قال له إخوته ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[٢٦١] إذ كان جوابه لهم ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢٦٢] ولله در القائل شعرا:

والعذر يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أربُ
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت إلا مننت بعفو ماله سببُ

[٦٢ب] الحالة الثالثة، لا يظهر توبة ولا يبدي عذرا وهو على مرتبتين المرتبة

---

٢٦٠ - انظر: الدارمي، الغيرة/ ٣٧.
٢٦١ - من الآية رقم ٩١ من سورة يوسف، وتمامها ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾.
٢٦٢ - سورة يوسف/ الآية رقم ٩٢.

الأولى، أن يكون قد كف عن الذنب وأمسك عن الزلل فلم يتجاوز إلى زيادة عليه فحكمه حكم وقوف المرض عن التزايد في العلة فكأنه قد أصلح نصفا وترك نصفا، فيجب المبادرة بمعالجة صلاح شطره الآخر ليكمل صلاحه، فإنه متى أهمل ربما سرى الداء إلى الشطر الصالح فأفسده فعاد إلى النكس. فإن سقم شطر جسمه فلم يعالجه سرى كالسقم إلى صحيحه، وإن عالجه سرت الصحة إلى سقيمه. المرتبة الثانية، أنْ يكون مستمرا على الإساءة، ويأخذ في الزيادة فيها على مرور الليالي وتعاقب الأيام، فهذا من ألد العضال الذي يعسر مداواته، ويشق الصبر على مقاساته، فإن أمكن استدراكه وتأتي إصلاحه بما أمكن من الملاطفة وإلا فضل فآخر الدواء، بعد العياء الكي، ومن لم تلتفت به الأعـذار إلى غايتهـا فالملامة عليه والمقيم على شقاقه باغ مصروع. وقد قيل: من سل سيف البغي أغمد في رأسه. الوجه الثالث، الإشارة إلى عظيم العفـو باستعظام الذنب بقوله: وإنْ كثرت فيّ الأقاويل، وذلك أنه إذا وقع الصفـح والإعفاء، مع عظيم الذنب وتهويل الأمر، كان ذلك أبلغ في عظم العفو والكرم، مع ما في ذلك من تمام التنصل من الذنب والتبرىء منه. ونسبة الوشاة إلى الزور والبهتان، وأنه لا يليق بذي المقام الأعلى والرتبة السنية أن يقبل قولهم، قولا وفعلا، ولا يحملهم على صدق. والله تعالى أعلم بالصواب.

البيت الحادي والثاني والأربعون [٦٣ أ]

لقَـدْ أقـومُ مَقَـامـاً لوْ يَقُـوْمُ به ... أرَى وأسْمَـعُ ما لو يسمـعُ الفيـلُ
لظَلَّ يَرْعُـد إلاّ أنْ يكـون له ... من الـرسـول بإذن الله تنـويـلُ

هاذان البيتـان مرتبط أحدهما بالآخر، مع تواليهما. فحسن الكلام عليهما جملة واحدة، والتقدير فيهما: لقد أقوم مقاما لو يقوم به الفيل لظل يرعد، إلا أنْ يكون له من الرسول تنويل. وقوله في البيت الأول: لقد أقوم، فيه قسم محذوف لأنه قد لا يكون جوابا للقسم، أو ملفوظ به، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢٦٣] ويروى إني أقوم مقاما. والرواية المشهورة الأولى، وهي أبلغ في

---

٢٦٣ ـ من الآية رقم ٢١ من سورة الأحزاب، وتمامها ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.

المعنى، لتأكدها بالقسم المحذوف. والمقام، بفتح الميم، القيام، والمراد قيامه بين يدي النبي ﷺ. والفيل، الحيوان المعروف. وقوله: في البيت الثاني، لظلّ يرعد، بالظاء المعجمة، معناه لصار. إلّا أنه يقضي ثبوت الفعل ودوامه كما في قوله: تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٢٦٤) وقوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾(٢٦٥)، ونحو ذلك. وقوله: يَرْعُد، بفتح الياء وضم العين، أنه تأخذه الرعدة، والتنويل في أصل اللغة العطية، والمراد هنا إعطاء الأمان.

ومعنى البيتين: أن المقام الذي قمته بين يدى رسول الله ﷺ لو أقام فيه الفيل، الذي هو أعظم من جميع الحيوانات جثة، وأثبتها جأشا، ورأى ما رأيت هنالك، وسمع ما سمعت، لارتعدت فرائصه [٦٣ب]، وتزعزعت قوته، إلّا أن يكون له من النبي ﷺ تأمين يسكن به روعه، ويثبت به نفسه. كل ذلك لما يدركه من هيبة رسول الله ﷺ. وقد جعل الهيبة التي أشار بها ناشئة عن ثلاثة أشياء: الأول، هيبة المقام، وخفر المجلس، وذلك أن مجلسه ﷺ كان في غاية الخفر والاحترام، وعظم الهيبة والجلال. وقد وصف علي، رضي الله تعالى عنه، مجلسه فقال: إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثه. ولا شك أن ذلك من هيبته ﷺ عندهم، واحترامه لديهم. فلم يزل ﷺ عظيم الهيبة عندهم، رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتأنيسه لهم إلّا هيبة، الثاني، هيبة الرؤيا، وذلك أنه ﷺ كان مهيبا في نفسه، محفوفا بالجلالة والخفر، يهابه كل من يراه، ويجله كل من لاقاه. وقد جاء في وصفه ﷺ: من رآه بديهة هابه، ومن عاشره أحبه. وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كنت أطيق أملأ عيني منه إجلالا له، ولو قيل لي: صفه، ما استطعت، لأني لم أملأ عيني منه.(٢٦٦). وربما غلبت الهيبة على رؤيته ﷺ حتى تأخذه الرعدة، ولولا ما يلقاه منه ﷺ من التلطف والتأمين. فقد جاء: أنه دخل عليه ﷺ رجل فأصابته من هيبته رعدة، فقال له: هون عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش

---

٢٦٤ - سورة الروم/ الآية رقم ٥١.
٢٦٥ - سورة الحجر/ الآية رقم ١٤.
٢٦٦ - انظر: مسلم، الإيمان: ١٩٢.

تأكل القديد[٢٦٧]. الثالث، هيبة السماع، وكان يشير إلى سماع القرآن، فإن له [٦٤أ] روعة تلحق قلوب سامعيه، وهيبة تعتريهم عند تلاوته، لقوة جلالته وإنافة خطره، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٢٦٨]، وقال عزوجل: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢٦٩]. وقد ثبت في الصحيح من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢٧٠] إلى قوله ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾[٢٧١] كاد قلبي يطير. وفي رواية: وذلك أول ما قرى الإسلام في قلبي[٢٧٢]. وربما اعترت هذه الهيبة والرعدة من لا يفهم معانيه، إلاّ أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل، بلطفه ﷺ، وإقباله عليه لهلك من شدة الجزع، وغلبة الهيبة. وأعظم شاهد لذلك ما تقدم منه ﷺ أنه دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال: هون عليك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد[٢٧٣]. والله أعلم بالصواب.

البيت الثالث والأربعون

حتى وَضَعْتُ يميني لا أُنازِعُهُ ... في كفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

والتقدير لقد قمت مقاما بحضرة رسول الله ﷺ، أخذني منه الرهبة والهيبة ما أخذني، حتى وضعت يميني في كفّ ذي نقمات قيله القيل، لا أنازعه في شيء.

---

٢٦٧ ـ انظر: ابن ماجة، الأطعمة: ٣٠.

٢٦٨ ـ من الآية رقم ٢١ من سورة الحشر، وتمامها ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خسية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾.

٢٦٩ ـ من الآية رقم ٢٣ من سورة الزمر، وتمامها ﴿الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يظلل الله فما له من هاد﴾.

٢٧٠ ـ سورة الطور/ الآية رقم ٣٥.

٢٧١ ـ من الآية رقم ٣٧، من سورة الطور، وتمامها ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون﴾.

٢٧٢ ـ انظر: مسلم، الصلاة: ٤٦٣.

٢٧٣ ـ انظر: الحاشية رقم ٢٦٧.

والمنازعة مجاذبة، والنَقِمات، بفتح النون، وكسر القاف، جمع نقمة، ككلمات جمع كلمة [٦٤ب] والقيل والقول واحد. والمراد أن أمره نافذ، وقوله ثابت لا يتغير.

ومعنى البيت: أنه وضع كفه اليمين في كف النبي ﷺ، وضع طاعة، تسليما له وانقيادا لأمره، خوفا من سطوته وشدة بأسه. يشير بذلك إلى حاله مع النبي ﷺ حين قدم عليه وهو في المسجد ووضع يده في يده وقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: نعم، فقال: يا رسول الله، أنا كعب(٢٧٤)، على ما تقدم ذكره في أول الشرح. وقد أشار في بعض كلامه إلى ثلاثة مقاصد: المقصد الأول، وضع يمينه في كف النبي ﷺ إشارة إلى الاعتناء بشأن التيمن في تنقله وترحله وشأنه كله. وأخرج أبوداود من حديث حفصة: أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه، ويجعل شماله لما عدا ذلك(٢٧٥)، وحاصل الأمر أن الأشياء الشريفة كالأخذ والإعطاء والأكل والمصافحة تفعل باليمين، والأشياء الجنسية كالاستنجاء ومس الذكر وما شاكل ذلك يفعل باليسار. ولا شك أن مصافحة النبي ﷺ من أعلا الأمور الشريفة وأرفعها رتبة، لا جرم حسن التيمن فيها على الحركة الطبيعية من بني آدم إنما تصدر في الغالب من جهة اليمين، حتى إنه يعسر التناول والرفع ونحوها باليسرى، إلّا لمن اعتاده. وذلك أن منشأ الحركة على الكبد وهي في الجانب الأيمن. قال الصلاح الصفدي(٢٧٦): ولا يبعد أن يكون كبد الأعسر في الجانب الأيسر فتصير حركته عنها على القياس. الثاني، عدم المنازعة للنبي [٦٥أ] ﷺ، والدخول تحت أمره، والانقياد لطاعته، وهو من الأمور اللازمة والواجبات المتجهة. حتى أن الله قرن طاعته بطاعته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(٢٧٧) وقال عزوجل: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

---

٢٧٤ - انظر: عبد الملك بن هشام الحميري، المعافري، السيرة النبوية: ١٤٤/٤ وما بعدها. وانظر: عبد القادر البغدادي، حاشية على شرح بانت سعاد: ٦٦ وما بعدها.

٢٧٥ - انظر: أبوداود، الطهارة: ١٨، ابن حنبل: ٢٨٨/٦.

٢٧٦ - هو خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب ومؤرخ، ولد في صفد وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م. انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١١٤/٤، الزركلي، الأعلام: ٣١٥/٢.

٢٧٧ - من الآية رقم ٣٣ من سورة محمد، وتمامها ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا إعمالكم. =

﴿وَٱلرَّسُولَ﴾[٢٧٨] وقال جلت قدرته: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢٧٩]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته. وفي صحيح البخاري من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سمع أباهريرة رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا ومن يأبى، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى[٢٨٠]. وناهيك أن الله جعل طاعته عليه السلام من تمام الإيمان وكماله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢٨١] الثالث، وصفه النبي ﷺ بأنه:

ذو نقمات، والمراد شدة السطوة وقوة الباس على الكفار والإغلاظ لهم في القول وعدم الضراعة لهم ائتمارا بأمره تعالى حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢٨٢]، ألا وقد وصفه تعالى بالرأفة للمؤمنين والرحمة فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٨٣]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى[٢٨٤] [٦٥ب] الرابع، وصفه ﷺ بأن: قوله القيل، وهو يحتمل لأمرين: أحدهما، أن يكون المراد أنه إذا قال قولا من وعد أو وعيد لابد وأن يقع. وكان كذلك النبي ﷺ. وقد أخرج أبوداود من رواية عبد الله بن أبي الخمشا قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه،

= ومن الآية رقم ٥٩ من سورة النساء، وتمامها ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.

٢٧٨ - من الآية رقم ٣٢ من سورة آل عمران، وتمامها ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾

٢٧٩ - من الآية رقم ٨٠ من سورة النساء، وتمامها ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾.

٢٨٠ - انظر: البخاري، الاعتصام: ٢

٢٨١ - سورة النساء/ الآية رقم ٦٥.

٢٨٢ - من الآية رقم ٧٣ من سورة التوبة، وتمامها ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾.

٢٨٣ - من الآية رقم ١٢٨ من سورة التوبة، وتمامها ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

٢٨٤ - انظر: الحاشية رقم ٢٣٠، ٢٣١.

فنسيت، ثم تذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى: لقد شققت عليّ أنا هنا منتظرك مدة ثلاث[٢٨٥]. ويروى أن أبيّ بن خلف كان يقول للنبي ﷺ حين افتدي يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فِرْقاً من ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عليها، فقال له النبي ﷺ: أنا أقتلك إن شاء الله تعالى. فلما كان يوم أُحُد قال: أين محمد؟ لا نجوت إنْ نجا، وشدّ على فرسه طالبا رسول الله ﷺ، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال لهم النبي ﷺ هكذا، أي خلوا طريقه، وتناول الحربة من الحارث بن الصِّمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تردى منها عن فرسه مرارا، وقيل كَسرَ ضلعا من أضلاعه، فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد، وهم يقولون: لا بأس عليك، فقال: لو كان مابي بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك. والله لو بصق علي لقتلني. فمات بالطريق في قفوهم إلى مكة[٢٨٦]. الثاني، أنه إذا سطا لا يثبت شيء لسطوته فقد ورد: أنه ﷺ كان إذا غضب، ولا يغضب الا لله، لم يقم لغضبه شيء[٢٨٧]. [٦٦ أ] والله تعالى أعلم بالصواب.

البيت الرابع والخامس والأربعون

لَذَاك أَهْـيَـبُ عنـدي إذ أُكَـلِّمُـهُ   وقيـل: إنَّـكَ منسـوبٌ ومسْئـولُ
مِنْ خادِرٍ من لُيـوثِ الأسْدِ مَسْكَنُهُ   مِن بَطْنِ عَثَّـرَ غِيـلٌ دونـه غِيـلُ

الإشارة في قوله: لذاك، للنبي ﷺ، وأهيب معناه: أشد هيبة، ويروى: أرهب. وقوله: إذ أكلمه ، أي: حال كلامي له، ويروى أن يكلمني. وقوله: إنك منسوب، أي: إنك مطلوب بالإعراب عن نسبك. وقوله: مسئول، عما نقله عنك. وقد تقدم في أول الشرح أنه من بني مزينة. وقوله: من خادر، وهو بالخاء المعجمة والدال المهملة المكسورة، المراد الليث الداخل الخدرة، والليوث جمع ليث، وهو الأسد،

---

٢٨٥ - انظر: أبوداود، الآداب: ٨٢.
٢٨٦ - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٨٩ وما بعدها، وأحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٣/٢١١ وما بعدها.
٢٨٧ - انظر: الحاشية رقم ٢٣٠.

ومسكنه موضع سكنه، وعثّر، بفتح العين المهملة وتشديد الثاء المثلثة المفتوحة وراء مهملة في آخره، اسم مكان، ويروى ببطن عثر. والغيل، بالغين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت، شجر ملتف يشبه الأجمة من القصب يأوى إليه الأسد. وقوله: غيل دونه غيل، أي: أجَمَة داخل أجَمَة. التقدير: لذلك أهيب عندي من ليث خادر، ويروى: من ضَيْغَم من ضُرّاء الأسد. والضيغم من أسماء الأسد والضُرّاء، بضم الضاد المعجمة وتشديد الراء المهملة مع المد، جمع ضار، وهو الكاسر، أخذا من قولهم...[288] ومعنى البيتين: أنه لما كلم النبي ﷺ [٦٦ب] لدى مقامه بين يديه والمقام الذي تقدمت الإشارة إليه، وقد أخبر أن النبي ﷺ تكلم معه في نسبه ومن أي قبيلة هو، ومسائلته عما وشي في حقه للنبي ﷺ، ليطالبه بالخروج منه، اشتدت هيبته عليه في خطابه، وعظم في نفسه وقع كلامه حتى وهنت قواه وداخله الروع واشتدت به الرهبة أكثر مما تداخله الهيبة من الأسد. وقد اشتمل البيت على ثلاث مقاصد: المقصد الأول، هيبة النبي ﷺ [لما وشي في حقه للنبي ﷺ][289] ليطالبه بالخروج منه وحقيق بذلك، فقد تقدم من وصفه ﷺ أنه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وخصّ الهيبة بالأسد إشارة إلى أنه أعظم الحيوانات هيبة، حتى يقال إن الإنسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخوف. فإن قيل: لِمَ خصّ الهيبة الواقعة عنده بحالة الكلام؟ فالجواب: أنه لما أخذ ﷺ في الكلام معه، ما هو متوقعه، الكلام مبالغة في مزيد الهيبة وعظم الحرمة. إذ الرجل الجليل إذا أخذ في مخاطبة من هو دونه سكن جأشه وذهب روعه، فإذا كانت الهيبة قائمة في هذه الحالة كان ذلك دليل عظم الهيبة ووفور الحرمة بكل حال. فإن قيل: ما المعنى في مسائلته عن نسبه وأي غرض يتعلق بذلك؟ فالجواب: أن ذلك من باب التوبيخ والتقريع له. إذ كان أوى إلى قبيلة مزينة للجيرة، من النبي ﷺ، فأبت ذلك، على ما تقدم ذكره في أول الشرح. وكأنه يقول: من قبيلتك التي تجيرك عليّ، وقومك الذين يعصمونك مني قد

---

٢٨٨ ـ كذا بياض في «ك» و «ب»، وعند الخطيب التبريزي :«ويروى ضيغم من ضراء الأسد، وضيغم فَيْعَلٌ من الضغم وهو العضّ، وضراء جمع ضارٍ. يقال: أسد ضار والجمع ضراء من قولهم ضري بكذا وكذا إذا لهج به».
انظر: الخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ٣٤-٣٥.

٢٨٩ ـ العبارة ساقطة من «ب».

تبرؤا منك، وتخلوا عنك. فإن قيل: لم وصف الأسد بالخادر [٦٧أ]، والشجاعة تقتضي الزفير؟ فالجواب عنه: من وجهين: الأول، أن الأسد في الوحوش كالملك في الآدميين، كلما كان مختفيا عن العيون كان أشَدَّ هيبة ووقعا في النفوس، ولذلك لا تزال الملوك تحتجب عن الرعية ليعظموا في نفوسهم، ولو خالطوهم أو قربوا منهم لهانوا عليهم. الثاني، إذا لزم الخباء إزداد توحشه، فتعظم جرأته وإقدامه. فإن قيل: إذا كان الليث اسماً للأسد صار التقدير: لذلك أهيب من خادر من أشدّ الأُسد، ولا معنى له؟ فالجواب: أن الليث اسم للأسد تقييد الجلادته كما أن الحسام اسم للسيف بصفة الحسم وهو القطع. يقال: رجل ليث، إذا كان شديد الجلادة، وحينئذ فيكون بين الليث والأسد مغايرة ما، ويكون: لذاك أهيب عندي من خادر من أجلد الأُسد وأقواهم. فإن قيل لم خصّ هذا الأسد ببطن عثر؟ فالجواب: أنه مكان معروف بالأسد. فإن قيل: ما المعنى في جعله في غيل ولا يكون مختفيا في مكان داخل مكان، إلاّ الشديد الخوف؟ فالجواب: أنه قد تقدم أن الأسد كالملك، كلما كان مختفيا كان أبلغ في هيبته. ومقتضى ذلك أنه كلما زاد اختفاؤه اشتدت هيبته. والله تعالى الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

البيت السادس والأربعون

يَغْدُو فَيَلْحَم ضِرغَامَيْن عَيْشُهُما لَحْمٌ من القَومِ مَعْفُورٌ خَرَادِيْلُ

قوله: يغدو من الغدو، وهو الذهاب في أول النهار، وقوله: فيلحم، بفتح الياء وسكون اللام وفتح الحاء وميم في الآخر، ويجوز فيه ضمّ الياء أيضا، والأول أفصح. والمراد يُطعم اللحم. والمراد بالضرغامين: ولداه، وهما تثنية [٦٧ب] ضِرْغَام، بكسر الضاد وسكون الراء، وفتح الغين المعجمة وألف ثم ميم، قال ابن الأثير: وهو الأسد الضاري الشديد الإقدام[٢٩٠]. والمعنى: أنه يُطعم ولديه اللحم الآتي ذكره. وقوله: عيشهما لحم من القوم، والمراد بالعيش: القوت، وبالقوم الرجال. وقوله: مَعْفُور،

٢٩٠ ـ عبارة ابن الأثير: والأسد الضرغام: هو الضاري الشديد المقدام من الأسود. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨٦/٣.

وهو بفتح الميم وسكون العين المهملة وضم الفاء وسكون الواو وراء مهملة في الآخر، الملقى على العَفَـر، بفتح العين والفاء، وهو التراب. وقوله: خَرَادِيْل، بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وألف بعدها وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام في الآخر، وهو القطع الصغار.

ومعنى البيت: أن الأسد المشبه به من الهيبة لشجاعته لا يطعم ولديه إلاّ لحم بني آدم، ولشـدة ضراوتـه يقـطعـه قطعـا صغارا ويعفره في التراب، كأنه غير مكترث بالأدميين، وإذا كان كذلـك كان حقيقا بأن يُهاب. فإنْ قيل: لِمَ خصّ وصف ذهابه إلي الاصطياد بالغدوة، وهو أول النهار؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ من حيث إنه لا يختطف الأدمي ليلا وهو نائم، وإنما يأتيه في النهار وهو مواجهه، وهو في نشاطه وقوته، لم يتعب معه بكثرة الحركة. والحركة في أول النهار أقوى بخلاف آخر النهار. فإن قيل: لم ذكر أولاده بلفظ التثنية بحيث قال: ضرغامين، ولم يقتصر على ذكر واحد، ولم يزد على الإثنـين؟ [فالجواب: أنه لم يقتصر على واحد لأن في إطعام الاثنين][291] زيادة شجاعة على إطعام الواحد، بكثرة الاصطياد، وأما عدم زيادته على الإثنين فلعل الإثنـين أكثـر ما يلد الأسـد. فإن قيل: إذا كان الضرغـام اسما للأسـد الشديد الضاري، كما تقدم، فكيف ساغ أن يصف شبلي هذا الأسد بهذا الوصف؟ [٦٨أ] الجـواب: أنه يجوز أن يكونا قد كبرا كملا حيث صارا أسدين كاملين، ومع ذلك لضراوتـه وشجـاعتـه لا يكلفهما السعي والاصطياد، ويكون احتياجهما حينئذ إلى الطعام أكثر، فيكون أبلغ في شجاعته واصطياده. فإن قيل: لم خص طعمهما بلحم الأدميين؟ فالجــواب: أن الأدمي أشــد جرأة وأكثـر مدافعـة من غيره من سائـر الحيوانات، مع ما خصّ به من العقل الذي يحصل به التحيل والخلاص والهرب، خصوصا وقد خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة من الرجال، مبالغة في الشدة والقـوة. فإن قيل: لم وصف اللحم بكونه يلقى على التراب، وكونه قطعا صغارا؟ فالجواب: أن إلقاءه على التراب دليل على عدم اكتراث به، كما تقدم، وربما دلّ على الشبع والعيافة على أكل اللحم لكثرته، كما في قول امرىء القيس، يصف عقابا:

كأنَّ قلوب الـطير رطـبًـا ويابـسـا لدى وَكْرِهَا العنّاب والحشف البالي[292]

٢٩١ ـ العبارة ساقطة من «ب».

٢٩٢ ـ انظر: الديوان: ٢٦٤.

يعني: أنها لكثرة اصطيادها تصيب قلوب الطير ملقى حول وكرها رطبا ويابسة لعيافتها عن أكلها. وأمّا كونه قطعا صغارا فيحتمل أن ذلك لشدة الجرأة، كما تقدمت الإشارة إليه، ويحتمل أنه يفعل ذلك من باب الحنو على أولاده، ليسهمل عليهم الأكل. والله تعالى أعلم.

البيت السابع والأربعون

إذا يُسَاوِرُ قِرْنـاً لا يحِلُّ لَه ... أن يَتْرُكَ الـقـرنَ إلا وَهْـوَ مَفْـلُولُ

قوله: إذا يساور قرنا، أي يؤاتيه. بمعنى: أنه يثبت كل منهما على الآخر[٦٨ب] وهو بضم الياء المثناة تحت من يساور، وفتح السين المهملة وألف بعدها وكسر الواو وراء مهملة في الآخر. والقِرن، بكسر القاف وسكون الراء المهملة ونون في الآخر، المراد به: المقاوم في الشجاعة. وقوله: لا يحل له أن يترك القرن الا وهو مفلول، أي لا يتـأتى له، بمعنى: أنه يمنع نفسه من النكوص والهرب حتى كان يحرم عليه. والمفلول، بفتح الميم وسكون الفاء وضم اللام وسكون الواو ولام في الآخر، المكسور المهزوم، وأصل الفلل الكسر، ومنه فلل الحسام، وهو ثَلْمُ حدّه. ويروى: إلاّ وهو مَجْدُوْل، بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة وسكون الواو ولام في الآخر، والمراد الملقى بالجَدَالة، وهي الأرض.

ومعنى البيت: أنّ هذا الأسد، إذا التقى مع مقاوم له في الشجاعة لا يستجير في طريق الشجاعة أن يعرض عنه حتى يكسره ويهزمه على الرواية الأولى، أو يدعه طريحا ملقى على الرواية الثانية. وإذا كان بهذه الصفة كان جديرا بأن يُهاب. وقد وقعت فيه المتابعة في الشجاعة من وجهين: الوجه الأول، أنه لا يساور ضعيفا ولا جبانا، بل يقاومه في الشجاعة ويساومه في القوة، وهو طريقة الشجعان في الحرب، حتى كان أحدهما إذا بارزه من هو دونه في الشجاعة لا يبرز له ولا يقابله. الوجه الثاني، أنه يربو بنفسه عن أنْ يعرض عنه أو يوليّ حتى يقهره ويغلبه، وهذه أتم حالات الشجعان. وكذلك كان من خصائصه ﷺ أنه لا يجوز له أن يُوليّ عن العدو ولو كانوا ألوفا، ولم يعرف له ﷺ أنه أدبر يوما في الحرب ولا ولىّ، والله الموفق للصواب.

البيت الثامن والأربعون [٦٩أ]

مِنــهُ تَظَلُّ سِبَـاعُ الجَـوِّ ضَامِـرةً ولا تُمَشِّي بوادِيْـه الأراجِـيـلُ

وقوله: منه تظل سباع الجو ضامرة، أي من ذلك الأسد. وتظلّ، بفتح التاء المثناة فوق والظاء ومعناه: لا تزال، والسباع جمع سبع، وهو في الأصل اسم لكل حيوان كاسر، ثم غلب في الاستعمال على الأسد. والجو البر الواسع، على ما فسره به ابن هشام[٢٩٣]. والضامرة، بالضاد والزاي المعجمتين، الساكنة. وقوله: تُمشي، بضم التاء المثناة وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة المكسورة، بمعنى: تمشي. وقوله: بواديه، أي في واديه. الأراجيل جمع أرجال، والأرجال جمع رَجل.

ومعنى البيت: أن الأسد لشجاعته لا تزال سباع البر ساكنة من هيبته، والرجال لا تخشىٰ بواديه خوفا منه وحذرا، وهذا أعني ما يكون من الهيبة والشجاعة، وهو أن يهابه جنس السباع حتى لا تستطيع حركة منه خوفا وحذرا، وغير جنسه من بني آدم، الذين هم أشد جرأة وإقداما من سائر الحيوانات، لا يستطيع أحد منهم أن يمر بالوادي الذي يقيم فيه. فإن قيل: هل يجوز أن يفسر الجو في كلامه بما بين السماء والأرض؟ فالجواب: لا يمتنع ذلك، وإن خطأه ابن هشام في شرحه[٢٩٤]. لأنه قد يُراد بسباع الجو الطيور الكواسر، كالنسر وغيره، ويكون في ذلك مبالغة في الشجاعة، وهو أن تخافه سباع الطير التي هي ممتنعة عنه بأجنحتها، فما الظن بسباع الوحش، التي هي ساكنة معه في البر. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

٢٩٣ ـ انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٩٠.

٢٩٤ ـ انظر: الحاشية السابقة.

البيت التاسع والأربعون

[٦٩ب]ولا يزال بوادِيه أخو ثِقَةٍ مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسان مأكولُ

قوله: ولا يزال بواديه أخو ثقة، أي: بوادي ذلك الأسد. والمراد بأخي الثقة: الواثق بنفسه في الشجاعة. وقوله: مطرح البز والدرسان أي مطرح كل من البز والدرسان ، والمُطَرَّحُ، بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المهملة المفتوحة وحاء مهملة في الآخر، والبزّ بفتح الباء الموحدة والزاي المعجمة، المراد به هنا السلاح. والدرسان، الثياب الخلقة المقطعة. وقوله: مأكول، أي: مطرح مأكول.

ومعنى البيت: أنّ هذا الأسد، المشبه به، لم يزل يرى في واديه من يثق بنفسه في الشجاعة، إلا وهو مأكول، وسلاحه وأخلاق ثيابه مطرحات حوله، وكأنه لا يولع إلا بالشجعان، ولا يتلفت إلى من عداهم. والله أعلم بالصواب.

البيت الخمسون

إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ به مُهَنَّدٌ من سيوفِ الله مَسْلولُ

لما فرغ من وصف الأسد وجعل هيبته من رسول الله ﷺ أشد [هيبة][٢٩٥] من هيبته له، رجع إلى تمام مدحه للنبي ﷺ. قال التبريزي: وجعله سيفا إستعارة[٢٩٦]. ويروى: إنّ الرسول لنور يستضاء به، قال ابن هشام:وهو حسن.[٢٩٧] والمهند، بضم [٧٠أ]الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة ودال مهملة في الآخر، المنسوب إلى الهند. فقال له رسول الله ﷺ: من سيوف الله مسلول، والمسلول المصلت من غمده.[٢٩٨]

---

٢٩٥ - ساقطة من «ب».

٢٩٦ - انظر: الخطيب التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد: ٣٧.

٢٩٧ - انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٩١.

٢٩٨ - انظر: المصدر السابق: ٩٢.

ومعنى البيت: أنه ﷺ في الاقتداء به إلى الحق كالسيف المهند المسلول. وذلك أنه كان من عادة العرب أنهم إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم، في ليل أو نهار، شهروا السيف الصقيل و برق به، فتظهر لامعته على بعد، فيأتوا إليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهدية. والنبي ﷺ لما جاء بالنور المبين، والمعجزات الظاهرة ودعا الناس إليه أتوا مهتدين بنوره الساطع، ومؤتمين بضيائه اللامع. وقد ورد من هذا المعنى في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[299]

فشبهه بالسراج المنير، عندما وصفه بكونه داعيا. وقد ورد في رواية ابن الأنباري: أن كعبا، رضي الله عنه، لما وصل في إنشاده إلى هذا البيت رمى رسول الله ﷺ إليه بردة كانت عنده[300] وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم[301] وهي البردة التي كانت عند الخلفاء من بني أمية وبني العباس، رضوان الله عليهم أجمعين[302].

البيت الحادي والخمسون

[٧٠ب] في فِتْيةٍ مِنْ قُريشٍ قال قائلهُم ... بِبَطْن مكَّة لمَّا أسْلَمُوا زُولُوا

قوله: في فتية من قريش، الفتية، بكسر الفاء وسكون تاء التأنيث وفتح الياء المثناة، تحت جمع فتى. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾[303] ويروى: في عصبة، وهي الجماعة من الناس ما بين العشرة والأربعين. وقريش: اسم قبيلة، وقد اختلف في أبيها، فذهب قوم إلى أنه النضر بن كنانة،

---

٢٩٩ ـ سورة الأحزاب/ الآيتان رقم ٤٥، ٤٦.
٣٠٠ ـ كذا في «ك»، وفي «ب»: كانت عليه.
٣٠١ ـ انظر: الحاشية رقم ٨.
٣٠٢ ـ وانظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء: ١٥، وعبد القادر البغدادي، حاشية على شرح بانت سعاد: ١/ ٧١ وما بعدها، ففيه تفصيل.
٣٠٣ ـ من الآية رقم ٦٢ من سورة يوسف، وتمامها ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾.

والراجح عند أهل النسب أنه فهر بن مالك بن النضر المذكور. وقوله: قائلهم، معناه: قال قائل تلك الفتية. وبطن مكة، واديها. ومكة، اسم للبلد الحرام، ويقال لها أيضا بكة، بإبدال الميم باء، وبها جاء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ بكة﴾[٣٠٤] وقال جل وعز: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[٣٠٥]. وقيل: بالميم، الحرم كله، وبالباء المسجد. وقيل: بالباء، اسم لموضع الطواف خاصة. قوله: لما أسلموا أي دخلوا دين الإسلام. وقوله: زولوا أي هاجروا عن مكة إلى المدينة. لما فرغ من مدح النبي ﷺ أخذ في مدح المهاجرين من أصحابه، رضي الله تعالى عنهم، وعبّر عنهم بقريش، لأن غالب الصحابة كلهم منهم. والمعنى: أنه لما أسلم بمكة من قريش من أسلم اختاروا الهجرة من أوطانهم بمكة، والخروج إلى غيرها من البلدان، ليفوزوا بدينهم. وقد اتفق المؤرخون وأصحاب السير أن أول من أسلم خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، ثم اختلف [٧١ أ] في من أسلم بعدها، فقيل: علي بن أبي طالب، وعمره تسع سنين، وقيل: عشر سنين، وقيل: أحد عشر سنة، وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام يربيه. ثم أسلم بعد علي زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وكان قد اشتراه وأعتقه. ثم أسلم بعد ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه. وقيل: أول من أسلم أبوبكر، ثم أسلم بعده عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله ثم أبوعبيدة بن الجراح، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل[٣٠٦]، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب بعده، وهو الباعث لهم بالهجرة، والحاث لهم عليها، فإليه الإشارة بقوله في البيت: قال قائلهم، وهذا البيت في الحقيقة مدح [والله أعلم بالصواب][٣٠٧].

---

٣٠٤ ـ من الآية رقم ٢٤ من سورة الفتح، وتمامها ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.

٣٠٥ ـ من الآية رقم ٩٦ من سورة آل عمران. وتمامها ﴿إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾.

٣٠٦ ـ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٢٤٠، وأحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٢/ ١٢٤، ١٧١، ١٧٤، ٢٢١ فهو عندهما سعيد. أما في «ك» و «ب»: فهو سعد.

٣٠٧ ـ العبارة من «ب».

البيت الثاني والخمسون

زالُـوا فَمَا زالَ أنْـكـاسٌ ولا كُشُـفٌ   عنـد الـلقـاءِ ولا مِيْـلٌ مَعَـازِيـل

وقوله: زالوا، أي ذهبوا، يقال: زال يزول إذا ذهب. وقوله: فما زال أنكاس، أي فما ذهب أنكاس ولا كشف. وأنكاس، بفتح الهمزة وسكون النون وسين مهملة في الآخر، جمع نِكس، بكسر النون، وهو الرجل الضعيف المهين، شبه بالنكس من السهام، وهو الذي أنكس فوقه فجعل أعلاه أسفله. والكُشُفُ، بضم الكاف والشين المعجمة وفاء في الآخر، جمع أكشف، وهو الذي لا تُرْسَ معه في الحرب. وقوله: [٧١ب] ولا ميل معازيل، أي ومازال أيضا ميل معازيل. والمِيْل، بكسر الميم وسكون الياء المثناة ولام في الآخر، جمع أميل. وله معنيان: كل منهما يصلح هنا، أحدهما، أنه الذي لا سيف معه، الثاني، الذي لا يحسن الركوب، ولا يستقر على السرج. والمعازيل، بفتح الميم والعين المهملة وألف ثم زاي مكسورة وياء مثناة ساكنة ولام في الآخر، جمع مِعْزَال، بكسر الميم، وهو الذي لاسلاح معه، والمشهور فيه أعزل، ومنه سمي النجم المشهور السِّماك الأعزل لمقابلته السماك الرامح. والرامح في هيئة رجل بيده رمح، والأعزل لا رمح معه. وقال المعري[٣٠٨] في ذلك شعراً:

لا تطلبـن بغـير حظٍ رتـبـةً   قلم الـبـليغ بغـير خط مغـزلُ
سكـن السـماكـان السـماءَ كلاهمـا   هذا له رمـحٌ وهـذا أعـزلُ

ومعنى البيت: أنهم زالوا من بطن مكة، ولم يكن فيهم مَنْ هذه صفته، بل كانوا أقوياء، ذو سلاح فرسان عند اللقاء. والمدح فيه من وجهين: الوجه الأول، أنهم

---

٣٠٨ ـ هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري. ولد في معرة النعمان، وذهب بصره في الرابعة من عمره، ومات في معرة النعمان سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م. من أكبر شعراء العربية، وشعره ثلاثة أقسام: ١ ـ لزوم ما يلزم. ٢ ـ سقط الزند. ٣ ـ ضوء السقط.
انظر: كحالة، معجم المؤلفين: ١/٢٩٠، الزركلي، الأعلام: ١/١٥٧. ولم أعثر على البيت في لزوم مالا يلزم ولا في سقط الزند، فلعلهما في ضوء السقط الذي يبدو أنه لم ينشر بعد.

خرجوا من أوطانهم وفارقوا أحبتهم من الأهل والولد فرارا بدينهم مع ما في ذلك من المشقة العظيمة إلا من وقي بوقاية الله تعالى. وناهيك بأنّ الله تعالى قرن خروج الإنسان من بيته بقتل نفسه فقال جلت قدرته ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٣٠٩) وكفى بذلك مبالغة في شدة فراق الوطن ومفارقة المنزل المألوف. الوجه الثاني، أنهم لم يخرجوا من مكة عن خوف ولا فشل، إذ كانوا أقوياء ذوا هيبة للحرب والقتال، وإنما خرجوا لطاعة الله ورسوله. واعلم: أن للمؤمنين هجرتين: الأولى، إلى أرض الحبشة، فهاجر منهم جماعة [٧٢ أ]. وذلك أنه لما اشتد أذى قريش بمن أسلم بمكة أذن رسول الله ﷺ لمن ليست له عشيرة تحميه بالهجرة إلى أرض الحبشة فهاجر منهم جماعة، وأقاموا بجوار النجاشي فأحسن نزلهم، وعاملهم بالكرامة. وكان من جملة من هاجر منهم إلى أرض الحبشة على التتابع ثلاثة وثمانون رجلا منهم: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وجعفر بن أبي طالب، وجماعة من النسوة منهم: رقية بنت رسول الله ﷺ ومع زوجها عثمان بن عفان. وأرسلت قريش للنجاشي في طلبهم وهادوه على ذلك فلم يمكن منهم. الهجرة الثانية، إلى المدينة الشريفة، وهي التي بُنيَ عليها التاريخ الإسلامي. وكان ابتداء أمرها أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه علَى القبائل في مواسم الحج ويدعوهم إلى الله تعالى ويقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني . فاتفق أنه خرج من الموسم فلقي ستة رجال من الخزرج من أهل المدينة، فعرض عليهم الإسلام وتلى عليهم القرآن، فآمنوا به ثم انصرفوا إلى المدينة، فدعوا قومهم إلى الإسلام، فأسلم منهم الكثير، وفشى الإسلام فيهم، ولم يبق دار إلا وفيها ذكر الرسول ﷺ. فلما كان في العام الآخر لقي رسول الله ﷺ بالموسم اثني عشر رجلا من الأنصار فبايعهم على أن لايشركوا بالله شيئا، ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس [٧٢ب] التي حرم الله إلا بالحق، وبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار،

٣٠٩- من الآية رقم ٦٦ من سورة النساء، وتمامها ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يعضون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾.

فعلمهم شرائع الإسلام والقرآن، فلما قدم مصعب المدينة ودعا من بها إلى الإسلام كان ممن أسلم على يديه سعد بن معاذ سيد الأوس، وحمل قومه على الإيمان بالنبي ﷺ، فآمنوا به على آخرهم، وفشى الإسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دار من دور الأنصار إلا ودخلها الإسلام، ثم عاد مصعب بن عمير إلى مكة بعد ذلك في ثلاثة وسبعين رجلا ممن أسلم من الأنصار، بعضهم من الأوس وبعضهم من الخزرج، فاجتمعوا بالنبي ﷺ عند العقبة، ومعه عمه العباس، قبل أن يسلم، فاستوثق منهم العباس للنبي ﷺ على أنهم لا يخذلونه ولا يسلمونه، فقالوا: مالنا إن قتلنا دونك يا رسول الله؟ قال: الجنة، قالوا: فابسط يدك لنبايعك، فبايعوه على ذلك وانصرفوا راجعين إلى المدينة. وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا متتابعين. وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر حتى يأذن له ربه في الخروج من مكة، ومعه أبوبكر الصديق وعلي بن أبي طالب، ثم خرج النبي ﷺ من مكة ليلا، ومعه أبوبكر الصديق، وأقاما بغار جبل ثور أسفل مكة ثلاث أيام ثم خرجا من الغار وتوجها إلى المدينة، وجَدَّتْ قريش في طلبهما، فلحقهما سراقة بن مالك المدلجي، فدعا عليه رسول الله ﷺ فغاصت فرسه في الأرض إلى [٧٣أ] بطنها، فرغب إلى النبي ﷺ في أن يسأل الله في خلاصه، ففعل، فتركهما ورجع، ورد كل من لقيه عن رسول الله ﷺ، وأقام عليّ بعد النبي ﷺ بمكة إلى أن أدى ودائع للناس كانت عند النبي ﷺ، ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ ثم كان بعد ذلك فتح مكة وغيرها. والله تعالى أعلم[٣١٠].

البيت الثالث والخمسون

شُمُّ الْعَـرانـين أبْـطَالٌ لَبُـوسُـهُـم مِنْ نَسْـجِ داودَ في الْهَيْجـا سَرابِيـلُ

قوله: شم العرانين أبطال لبوسهم، في الهيجا سرابيل، من نسج داود، والشُم، بضم الشين المعجمة جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه.

---

٣١٠ - وقد أورد عبد الملك بن هشام الحميري، وغيره، تلك الأخبار بتفاصيلها في مواضع مختلفة من سيرته فليرجع إليها.

والعرانين، جمع عرنين، وهو الأنف. والأبطال، جمع بطل، وهو الشجاع الذي تبطل [عنـده][٣١١] الدماء وتذهب هدرا ولا يدرك عنده الثأر. واللبوس، بفتح اللام، ما يلبس من السـلاح. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[٣١٢] والنسج. المنسـوج، وداود، النبي ﷺ. والمـراد بنسجـه الـدرع. والسرابيل، جمع سربال. والهيجا، من أسماء الحرب.

ومعنى البيت: أنهم في الناس ذووا رفعة وعلو مقدار، وفي الحرب في غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح. وقد وقع المدح لهم من ثلاثة أوجه: الوجه الأول، كونهم شم العرانين، وهو محتمل لمعنيين: أحدهما، أن يكونوا شم العرانين التي هي الأنوف حقيقـة، وهو من الأوصاف الحميدة في تكوين خَلق الإنسان. وقد جاء في وصف النبي [٧٣ب] ﷺ أنه كان أشم العرنين[٣١٣]. والثاني، أن يكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو، لأنه يقال ذلك للرجل المرتفع القدر في أنفه شمم. ويجوز أن يقال ذلك للرفيع القدر في نفس الأمر. الوجه الثاني، كونهم أبطال، وهو من أوصاف الشجعان المبرزين للشجاعة. ولا شك أن الشجاعة من أحد الأوصاف التي يمتدح بها، ويقع الإطراب بسببها، وفيه تقرر لما تقدم من معنى البيت الذي قبله، من أنهم لم يخرجوا من مكة عن ضعف ولا مهانة، وإنما خرجوا طاعة لله ورسوله. الوجه الثالث، أن لبوسهم في الحرب كانت من أصنع الدروع وأمنعها، لأنه أضافها لنسج داود، نبي الله، صلوات الله عليه، ولا شك أن درعـه أحكم الدروع صنعة، وصيرورة لين الحديد له، وصدور تعليمه له من قبل الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[٣١٤] وقال جلت قدرته: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[٣١٥] وفيه إشارة إلى امتثال أمر الله تعالى

---

٣١١ - ساقطة من «ك» و «ب» ومثبتة عند ابن هشام الأنصاري، الذي يظهر واضحا أن السيوطي قد نقل منه بتصرف. انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٩٤.

٣١٢ - من الآية رقم ٨٠ من سورة الأنبياء، وتمامها: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾.

٣١٣ - انظر: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة: ٢١٥/١. والسيوطي، الجامع الصغير: الحديث رقم ٦٤٩٣.

٣١٤ - سورة الأنبياء/ الآية رقم ٨٠.

٣١٥ - من الآيتين ١٠، ١١ من سورة سبأ، و تمامها ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه =

بقـولـه : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . .﴾[٣١٦] الآية. فإن قيل: كيف حسن مدحهم بلبس الدروع والقتال دون لبسها إعلاء في رتبة الشجاعة؟ وقد أنكر عبد الملك ابن مروان على كُثَيِّر حين امتدحه بقوله:

على ابن أبي العاص دلاصٌ حصينةٌ أجاد المُسَدّي سردَها وأذالها [٧٤ أ]
يؤود ضعيفُ القوم حمل قتيرها ويستضلع الطرف الأشمُّ احتمالها[٣١٧]

ولم يمدحه مثل قول الأعشى في قيس بن معدي كرب:

وإذا تجيء كتيبةٌ ملمومةٌ شهباءُ يخشى الرائدون نهالها
كنت المكرَّمَ غير لابسِ جنةٍ بالسيف تضربُ معلماً أبطالها[٣١٨]

فالجواب: ما أجاب كُثَيِّر عبد الملك من قوله: يا أمير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الأعشى صاحبه بالجنون. على أن بعض الشعراء قد رجح قول كثير من حيث أن المبالغة في المدح أحسن من الاختصار على الأمد الأوسط، وأمّا ما وقع من كثير لعبد الملك هو من باب المبالغة. وفيما قاله يريد نظر الحزم، فإنّ الحزم دليل القوة الذي هو أشرف ما مدح به من الخصال الشريفة. ومن تمام الحزم الاحتراز، كما أشار إليه كثير. ولذلك أمر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٣١٩] فيكون المدح بلبس

= والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾.

٣١٦ - من الآية رقم ٦٠ من سورة الأنفال، وتمامها ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تعلمون﴾.

٣١٧ - انظر: الديوان ١٥٠-١٥١.

٣١٨ - كذا ورد في البيتان في «ك» و «ب» . وفي الديوان/ ١٥٤ وردا، بينهما بيت، كالآتي:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساء تغشى من يذود نهالها
تأوي طوائفها إلى مخضرة مكروهة يخشى الكماة نزالها
كنت المقدم غير لا بس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

٣١٩ - من الآية رقم ١٠٢ من سورة النساء، وتمامها ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى=

الجبة أتم، ولذلك ذهب إليه كعب في مدح المهاجرين. والله الموفق للصواب.

البيت الرابع والخمسون

بِيْضٌ سَوَابِـغُ قد شُكَّـتْ لَهَا حَلَقٌ   كأنها حَلَقَ الـقَـفْـعَـاءِ مَجْدُولُ

قولـه: بيض سوابـغ، والبِيض، بكسر البـاء، جمع أبيض، والمـراد المجلوَّة. والسوابغ، بالسين المهملة وبالغين المعجمة، جمع سابغ، والمراد الطوال السوابيل. وقوله: قد شُكَّتْ لها حلق، بضم الشين المعجمة، من [٧٤ب] شكت، أي دخل بعضها في بعض، ويروي سكت، بالسين المهملة، إذا ضيقت. والحلق، بفتح الحاء المهملة والـلام، جمع حلْقـة، بإسكـان اللام، وخالف الأصمعي فكسر الحاء من حلق، وخالف أبو عمرو ففتح الحاء من حلقة[٣٢٠] [بإسكان اللام، والصحيح عند المحققـين ما تقدم فيها، وقوله: كأنها أي تلك الحلق][٣٢١] وحلق الثانية كالأولى. والقَفْعَاء، بفتح القاف وسكون الفاء بعدها وبالعين المهملة وبالمد، شجر ينبت على وجه الأرض متداخل بعضها في بعض، فشبه به حلق الدروع. والمجدول، بفتح الميم وسكون الجيم الصنعة.

ومعنى البيت: أنّ دروعهم مجلوة صافية طويلة مشتكة الصنعة، تداخلت بعضها في بعض أشد تداخل، ويكون المدح قد وقع فيهم من ثلاثة أوجه: الوجه الأول، أنهم مستقبلون الحرب، لأن الحديد كلما استعمل انصقل وابيض ولم يركبه الصدأ، بخلاف ما إذا تُرك بلا استعمال فإنه يسود ويركبه الصدأ. الوجه الثاني، أنهم في غاية القوة لأن الدروع إذا كانت طويلة تامة كانت أثقل ضراوةً وحملها في الحرب مع ثقلها

= لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الـذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾ وجاء في «ك» و «ب»: خذوا حذركم واسلحتكم. وهو خطأ.

٣٢٠ ـ انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٩٤-٩٥.

٣٢١ ـ العبارة من «ب».

يدل على الشدة والقوة. والوجه الثالث، أن لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم يتخذوا منها إلّا المحكم الصنعة، العزيز الوجود.

البيت الخامس والخمسون

لا يَفْـرَحُـون إذا نالـت رِمَـاحُـهُم قومـاً ولـيْـسُـوا مَجَازِيعَـا إذا نِيْلوا

قوله: لا يفرحون إذا نالت رماحهم، الفرح معروف، وكذلك الرماح. وقوله: نالت، أي أصابت. والقوم تقدم أنهم الجماعة من الرجال. والمجازيع، بفتح الميم والجيم وبزاي معجمة وسكون الياء المثناة وعين مهملة في الآخر، جمع مِجْزاع، بفتح الميم، وهو الكثير الجزع، وهو الخوف. وقوله: نيلوا، أي أصيبوا. والمعنى: أنهم إذا أصيبوا أو غلبوا [٧٥أ] عدوهم لا يفرحون، وإذا غلبوا منه لا يجزعون من لقائه ثانيا.

ويكون المدح قد وقع فيه من وجهين: الوجه الأول، أنهم كثيرو الظفر بالأعداء، فإذا وقع لهم ظفر بعدو لا يفرحون به، لأن ذلك من عاداتهم، والفرح إنما يقع بالشيء النـادر القليل الوقوع. الوجه الثاني، أنهم كثيرو الهمم وفيهم الصبر والجلادة على الحرب، بحيث أنهم إذا ظفر عليهم العدو وغلبهم لا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية خوفا وجزعا، لقلة تقلباتهم بالخطوب وتأثرهم بمكابدة الحروب، والله أعلم.

البيت السادس والخمسون

يَمْشُـونَ مَشْيَ الجمال الزُّهْر يَعْصِمَهم ضَرْبٌ إذا عَرَّد الـسُّـودُ الـتَنَـابِيـلُ

وقوله: يمشون مشي الجمال، أي كمشي الجمال. والزُّهر، بضم الزاي المعجمة وسكون الهاء، جمع أزهر، وهو الأبيض. وقوله: يعصمهم، أي يمنعهم. والمراد: أنهم يمنعون أنفسهم من العدو عند اللقاء بصبرهم له. قوله: عَرَّدَ، بفتح العين وتشـديد الراء المهملة المفتوحة ودال مهملة في الآخر، ومعناه فرّ وأعرض. ويروى

غرْدَ، بفتح الغين المعجمة. قال التبريزي: وهو الطير الشديد الدامن الطرب[٣٢٢]. قال: ابن هشام في شرحه: ولا معنى لهذه الرواية[٣٢٣]، والسود جمع أسود وهو اللون المعروف. والتنابيل، بفتح التاء المثناة ولام، وهي جمع تِنبال. والتنابيل، القصار، والمفرد تنبال والتاء فيه زائدة، وهو أحد ما جاء من الأسماء على تفعال بالكسر كالتِمساح. والأكثر تمسح بالقصر. [٧٥ب] والتِبراك والتِعشار لموضعين. والتِلقاء والتِقصار للقلادة الشبيهة بالمخنقة، ويقال تقصارة أيضا، وجمعها تقاصير، وإذا كان التفعال مصدر فهو بفتح الأول كالتَحوال والتَطوال إلّا كلمتين: التِبيان والتِلقاء، قال الله تعالى: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٣٢٤] وتقول: لقيته تِلقاء أي لقاء، وأما قوله تعالى: ﴿ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[٣٢٥] فهو من باب الأسماء، وانتصابه عل الظرفيه. وقد خطىء من ينشد قوله:

ومــازال تِشْرابي الخـــمــور ولــذّتي وبـيعي وإنفــاقي طريفي ومُتْلَدِي[٣٢٦]

بكسر التاء، والله أعلم بالصواب.

---

٣٢٢ - لم يذكر الخطيب التبريزي هذه العبارة. انظر: الخطيب التبريزي، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٣٩.

٣٢٣ - انظر: ابن هشام الأنصاري، شرح على قصيدة بانت سعاد: ٩٥.

٣٢٤ - من الآية رقم ٨٩ من سورة النحل، وتمامها: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

٣٢٥ - من الآية رقم ٤٧ من سورة الأعراف، وتمامها ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾.

٣٢٦ - انظر: أبو جعفر النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات: ١/ ٢٦١، البيت رقم ٥١، لطرفة بن العبد، وورد في «ك» و «ب»:

ومــازال تشرابي الخـــمــور ولــذتي وبـيعي وإنـفــاقي طريقـي ومـنـكـــري

البيت السابع والخمسون

لا يَقَــع الــطَّعْــنُ إلاّ في نُحــورِهِــمُ   ومــالَهم عن حِيــاض المــوتِ تَهليــلُ

وصفهم بأنهم لا ينهزمون فيقع الطعن في ظهورهم، بل يقدمون على أعدائهم فيقع الطعن في نحورهم. روي: أنه لما أنشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام إلى من كان بحضرته من قريش أن اسمعوا. ومثل هذا البيت قول الحصين بن الحمام[٣٢٧]:

تأخــرت أسـتـبـقى الحياة فلم أجــد   لنـفسي حياةً مثــل أن أتــقــدمــا
فلسنــا على الأعقــاب تدمي كلومُنَا   ولكن على أقــدامِنَــا تقــطرُ الــدمــا
نفــلقُ هامــا من رجــال أعــزةٍ   علينــا وهــم كانــوا أعــقَّ وأظْــلما

يروي تقـطر، بالتاء المثناة من فوق، فالدم أما مفعول به لأنه يقال: قطر الدم وقطرته. والمعنى: تقطر الكلومُ الدمَ، وإما تمييز على أنْ الألف واللام زائدة كقوله:

رأيتــك، لما أن عرفــت وجــوهــنــا   صددتَ وطبت النفس يا قيس عن عمرو[٣٢٨]

[٧٦ أ]
ويروى بالياء المثناة من أسفل، فالدماء فاعل استعمله مقصورا، وهو الأصل فيه وعليه في التثنية دميان قال الشاعر:

فلو أنــا على حجــر ذبــحــنــا   جرى الــدمــيان بالخــبر الــيقــين

ولكن الاستعمال على الكثرة بحذف لامه في الإفراد والتثنية. وقوله: تهليل مصدر هلل عن الشيء، أي: تأخر عنه، يقول: لا يتأخرون عن حياض الموت إذا تأخر غيرهم عنها ونكص. وعن متعلقة بالتهليل وإن كان مصدرا، وقد مضى القول في غير ذلك مرة واحدة، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

٣٢٧ ـ هو الحصين بن الحمام بن ربيعة المري الذبياني، أبو زيد. قيل إنه أدرك الإسلام، وقيل مات قبل الإسلام نحو سنة ١٠ ق. هـ/٦١٢م. انظر: الزركلي، الأعلام: ٢٦٢/١.
وانظر البيت عند عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب: ٤٩٤/٧.

٣٢٨ ـ البيت لراشد بن شهاب اليشكري، انظر: المفضليات/ ٣١٠.

[تم شرح بانت سعاد، في مدح خير العباد، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، في يوم الأثنين المبارك، سابع رجب الفرد الحرام من شهور سنة ألف ومائة وأربع عشر من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد الفقير عمر بن عمر بن على البدراوي الأزهري الشافعي الأجدي، عفي عنه][٣٢٩].

٣٢٩ - هذه نهاية النسخة «ك». أما نهاية النسخة «ب» فكالآتي: «تم شرح بانت سعاد لخاتمة الحفاظ الشيخ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، نفعنا الله به، وعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته، آمين. يوم السبت المبارك، تاسع عشر المحرم الحرام سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين».

فهرس القرآن الكريم

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	٣٠	النور	٥٣
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن	٣١	النور	٥٣
فلو أن لنا كرة	١٠٢	الشعراء	٧٢
ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء	٢٥	النمل	٥٠
وجاء رجل من أقصىٰ المدينة يسعىٰ	٢٠	القصص	١٢٨
وما كنت بجانب الغربي	٤٤	القصص	٩٩
الله الذي يرسل الرياح	٤٨	الروم	٦٧
ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه	٥١	الروم	١٤٤
يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	٥٤	الروم	٤١ـ٤٢
ولو ترىٰ إذ المجرمون	١٢	السجدة	٩٠
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل	٤	الأحزاب	١٤١
لقد كان لكم في رسول الله	٢١	الأحزاب	١٣٨ـ١٤٣
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً	٤٥ـ٤٦	الأحزاب	١٥٥
وألنا له الحديد أن اعمل سابغات	١٠ـ١١	سبأ	١٦٠
ونكتب ما قدموا وآثارهم	١٢	يس	٤٢
ويقذفون من كل جانب دحورا	٨ـ٩	الصافات	١١٤ـ١١٥
قاصرات الطرف	٤٨	الصافات	٥٣
وأرسلناه إلىٰ مائة ألف	١٤٧	الصافات	٧٣
تقشعر منه جلود الذين	٢٣	الزمر	١٤٥
إنك ميت وإنهم ميتون	٣٠	الزمر	١٢٨
وإن يك كاذباً يصبكم	٢٨	غافر	٩٠
وصوركم فأحسن صوركم	٦٤	غافر	٥١
فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله	٤٠	الشورىٰ	١٣٨

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار والأرجاز

- ت -

- ج -

- ح -

ضخم	تفضيلُ	١	كعب بن زهير	١٠٧
غلباء	ميلُ	١	كعب بن زهير	١٨ـ١٠٨
وجلدها	مهزولُ	١	كعب بن زهير	١١٠
حرف أخوها	شمليلُ	١	كعب بن زهير	١١١
يمشي	زهاليلُ	١	كعب بن زهير	١٨ـ١١٣
عيرانة	مقتولُ	١	كعب بن زهير	١١٤
كأن ما	برطيلُ	١	كعب بن زهير	١٦ـ١٩ـ١١٦
تمر مثل	الأحاليلُ	١	كعب بن زهير	١٩ـ١١٧
قنواء	تسهيلُ	١	كعب بن زهير	١١٩
تخذى	تحليلُ	١	كعب بن زهير	١٢٠
سمر	تنعيلُ	١	كعب بن زهير	١٢١
كأن أوب	العساقيلُ	١	كعب بن زهير	١٢٢
يوماً	مملولُ	١	كعب بن زهير	٢٩
وقال	قيلوا	١	كعب بن زهير	١٢٤
شد النهار	مثاكيلُ	١	كعب بن زهير	١٢٥
نواحة	معقولُ	١	كعب بن زهير	١٢٦
تفري	رعابيلُ	١	كعب بن زهير	١٢٧
تسعىٰ	لمقتولُ	١	كعب بن زهير	١٢٧
وقال كل	مشغولُ	١	كعب بن زهير	١٣٠
فقلت	مفعولُ	١	كعب بن زهير	١٣١
كل ابن أنثىٰ	محمولُ	١	كعب بن زهير	١٣٣
أنبئت	مأمولُ	١	كعب بن زهير	٢٠ ـ٣٨

ـ م ـ

فهرس الأعلام

■ د ■

■ ذ ■

■ ر ■

■ ز ■

■ س ■

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

فهرس الأماكن والمواضع

فهرس المصادر والمراجع

ابن الأثيرالجزري، المبارك بن محمد، أبو السعادات.
النهاية في غريب الحديث والأثر. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الأعشىٰ، ميمون بن قيس، أبو بصير. الديوان. بيروت: دار صادر. إقبال، أحمد الشرقاوي. بانت سعاد في إلمامات شتىٰ. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

الألباني، محمد ناصرالدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ.

امرؤ القيس بن حجر الكندي. الديوان. بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

البحتري، الوليد بن عبيد، أبو عبادة. الديوان. بيروت: دار صادر.

البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله. صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

بشار بن برد، أبو معاذ. الديوان. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

البغدادي، إسماعيل باشا. إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: مطبعة المثنىٰ، ١٩٤٦م.

ــــــ. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. استانبول: وكالة المعارف، ١٩٥١م.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر. حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام. شتوتغارت: دار النشر فرنزشتايز، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

البغدادي، عبداللطيف بن يوسف. شرح بانت سعاد. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

البوصيري، محمد بن سعيد، أبو عبدالله. الديوان. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

تأبط شراً، ثابت بن جابر، أبو زهير. الديوان. بيروت: الدار العالمية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. حمص: دار الدعوة.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. الديوان. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م.

التهامي، علي بن محمد، أبو الحسن. الديوان. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الجابي، بسام بن عبدالوهاب. معجم الأعلام، معجم تراجم وأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين. ليماسول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

جرير بن عطية الخطفي. الديوان. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد. شرح القصائد التسع المشهورات. الجمهورية العراقية: وزارة الإعلام. جميل بن عبدالله بن معمر العذري القضاعي، جميل بثينة. الديوان: بيروت: دار صادر.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، أبو نصر. تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبدالله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: مكتبة المثنىٰ، ١٩٤١م.

الحاكم النيسابوري، الإمام الحافظ، أبو عبدالله. المستدرك علىٰ الصحيحين، بيروت: دار الكتاب العربي.

حسان بن ثابت، أبو الوليد. الديوان. بيروت: دار صادر.

ابن حنبل، الإمام أحمد. مسند أحمد بن حنبل. بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م.

الخطيب التبريزي، يحيىٰ بن علي، أبو زكريا. شرح قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨١م.

ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح. الديوان. بيروت: دار الجيل.

الدارقطني، علي بن عمر. سنن الدارقطني. القاهرة: دار المحاسن للطباعة.

الدارمي. عبدالله بن محمد. سنن الدارمي. دار إحياء السنة النبوية.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي.

ديك الجن الحمصي، عبدالسلام بن رغبان. الديوان. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

الرازي، محمد بن عمر، فخرالدين. المحصول في علم أصول الفقه. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

الراعي النميري، عبيد بن حصين، أبو جندل. الديوان. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

الزركلي، خيرالدين. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.

الزمخشري، محمود بن عمر، جارالله، أبو القاسم. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٢م.

زهير بن أبي سلمىٰ. الديوان. بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

السراج، جعفر بن أحمد، أبو محمد. مصارع العشاق. بيروت: دار صادر.

السري الرفاء، السري بن أحمد الكندي. الديوان. بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري. الطبقات الكبرىٰ. بيروت: دار الفكر، دار صادر.

ابن سناء الملك، هبة الله بن جعفر، أبو القاسم. الديوان. بيروت: دار الجيل.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعمري. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

ابن سيرين، محمد بن سيرين البصري. تفسير الأحلام. دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

الشكعة، مصطفىٰ. جلال الدين السيوطي، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الشماخ بن ضرار الذبياني. الديوان. القاهرة: دار المعارف.

طرفة بن العبد. شرح ديوان علقمة، طرفة، عنترة. بيروت: دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

الطغرائي، الحسين بن علي. الديوان. بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٦م.

عبدالباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: مطابع دار الشعب، ٥٨-١٩٥٩م.

ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد، أبو عمر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، دار الفكر، ١٩٨٤م.

العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، أبو هلال. الصناعتين. القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

علقمة بن عبدة الفحل. شرح ديوان علقمة، طرفة، عنترة. بيروت: دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

الغزالي، محمد بن محمد، أبو حامد. إحياء علوم الدين. بيروت ودمشق: دار قتيبة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ابن الفارض، الديوان. بيروت: دار صادر.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة. الديوان. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، مجدالدين. القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.

قيس بن الملوَّح، مجنون ليلىٰ. الديوان. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

كثير بن عبدالرحمن، كثيرة عزَّة. الديوان. بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: مكتبة المثنىٰ، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م.

كشاجم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاه، أبو الفتح الرملي. الديوان. بغداد: وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.

كعب بن زهير. الديوان. الرياض: دار الشواف للطباعة والنشر، جدة: دار المطبوعات الحديثة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي، ١٩٣٦م.

المبرد، محمد بن يزيد. أبو العباس. الكامل في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة المعارف.

المتنبي، أحمد بن الحسين، أبو الطيب. الديوان. بيروت: دار صادر.

مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين، الأفريقي المصري. لسان العرب. بيروت: دار صادر، دار بيروت.

ابن نباتة، محمد بن محمد الفارقي المصري، جمال الدين. الديوان. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

نصيب بن رباح، أبو محجن. شعب نصيب بن رباح، بغداد: ١٩٦٨م.

أبو نواس، الحسن بن هاني. الديوان. بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري. شرح علىٰ قصيدة بانت سعاد. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

ابن هشام، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. السيرة النبوية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١م.

ابن الهمام، محمد بن عبدالواحد السيواسي السكندري، كمال الدين. شرح فتح الغدير للعاجز الفقير. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الوأواء الدمشقي، محمد بن أحمد الغساني، أبو الفرج. الديوان. بيروت: دار صادر.

الفهرس العام


Bibliotheca Alexandrina
0670967